

دير القديس أنبا مقار
برية شهييت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

— ٤ —

القيامة والصعود

الأب متى المسكين

كتاب: الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية.
(٤) القيامة والصعود.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى : ١٩٨٢ .
الطبعات اللاحقة: ١٩٩٢-٢٠١٣ .
الطبعة الخامسة : ٢٠١٤ .
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢ / ٩٢٨٢
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-036-7
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتوى

التراريخ	صفحة	عيد القيامة
١٩٥٨	٥	إنجيل آلام وأبجداد قيامة
١٩٥٩	١٥	لأعرفه وقوة قيامته
١٩٧٠	٢٧	قيامتنا كلنا
١٩٧٠	٣٣	وظهر لبطرس
١٩٧٢	٤٠	القيامة كحياة
١٩٧٣	٤٩	أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟
١٩٧١	٧٠	فرح القيامة
		قيامة المسيح من بين الأموات أنشأت طبيعة جديدة للبشرية
		تستمد كيانه من شخصياً
١٩٧١	٧٩	المقالة الأولى
١٩٧١	١٠٦	المقالة الثانية
١٩٧١	١١٩	قوة القيامة مستترة في الموت الإرادي
١٩٧١	١٣٠	القيامة والعمل الروحي بالنسبة للخليقة الجديدة
١٩٧٣	١٥٢	عيد القيامة يوم الخليقة الجديدة
١٩٧٤	١٧٦	القيامة
١٩٧٤	١٨١	أحد توما وإضافة «حقاً قام»
١٩٧٥	١٨٩	المسيح قام ... حقاً قام
١٩٧٧	٢٠٦	القيامة والمصالحة
١٩٧٨	٢١٩	القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي
١٩٧٨	٢٣٠	وأراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة
١٩٧٨	٢٣٨	الإيمان بالمواعيد

التاريخ	صفحة	
١٩٧٨	٢٤٧	بين الإيمان والرؤيا
١٩٧٨	٢٥٤	يا سمعان بن يونا: أتحبني؟
١٩٧٩	٢٦٣	الروح القدس يمنحنا القيامة
		القيامة حدث فوق الطبيعة وهو مصدر أفعال وسلوك
١٩٧٩	٢٧٦	لا تتبع قوانين هذا العالم
١٩٧٩	٢٨٨	القيامة إيمان قائم على مشاهدة فائقة
١٩٨١	٢٩٦	القيامة حياة وشهادة
١٩٨٣	٣٠٥	ننتظر قيامة الأموات
١٩٨٥	٣٢٩	من الصليب إلى القيامة
		عيد الصعود
١٩٨٥	٣٥٠	من أدنى الإلتضاع إلى أعلى الانتصار
١٩٧٠	٣٦١	ما بين القيامة والصعود
١٩٧٥	٣٦٨	الصعود
١٩٧٩	٣٧٦	صعود المسيح
١٩٩٠	٣٨٢	تأملات في عيد الصعود

إنجيل الآلام وأجساد قيامة

«بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى
السموات نعتزف...». القداس الإلهي.

إنجيل الآلام:

بدأت أحزان المخلص مبكرة جداً، وامتزجت بحياته اليومية صور متعددة من الآلام
الضاغطة، يتحسسها الذين مالوا إلى عشرته فيجدوا فيها ملجأ فريداً في الأحران، وكتاباً
صاغته حياته في أبواب مستوفاة كل نواحي الألم...

وقد زادت قصته روعة، تلك الأيدي التي كتبت في سلاسل وقيود، وراجعت عيون
أنهكتها الدموع — بقصد أن تقرأه تلك الجماعات المبعثرة في زوايا المدن التي أهدت بها
نيران التجارب من كل ناحية... حتى صار إنجيلنا بشكله وموضوعه، بذرة زُرعت في
هوان، ورويت بالدموع، ونمت في وسط لهيب نار الإضطهاد في أنحاء الأرض المتفرقة،
تجمعها نفس الظروف الواحدة... ولكنها انتصرت وقامت واستقامت كباذرها. وأنت
بشمار، نحن لون من ألوانها.

* * *

وإنه وإن كانت هناك أنواع أحران كثيرة نعرفها، إلا أنه ليس فيها كلها ما يماثل
أحران الذي صُلب بالشوك.
ومع ذلك فكثير من أحرانه لازلنا نجهلها...

إنه وإن وُجد مجرّبون كثيرون بتجارب مرة — ولكن ليس كمن جُرّب في أهله وأحبائه وتلاميذه ورؤسائه وحكامه ، وفي مبادئه وتعاليمه وأقواله وآيات رحمته ، وفي جسده وفي طريقة موته .

وإنه وإن كانت طبيعة الألم تزداد بمقدار نبيل الإنسان وحساسيته — فهل يمكن أن يتصور أحد مقدار الآلام التي أصابت نفس المسيح ، وعمقها ...

لذلك فهو بلا شك رئيس الآلام ومكملها .
لذلك استطاع أيضاً أن يأتي بأولاد كثيرين إلى المجد ، مكتملاً خلاصهم بالآلام (عب ١٠: ٢) .

وسار قائد خلاصنا عبر وادي الآلام والدموع ، « وإذ قد تألم مجرباً فهو قادر أن يعين المجربين » (عب ١٨: ٢) ، ويسكب عليهم من أحشاء رحمته عطفاً وحنواً وغفراناً .

من أجل ذلك كم كان لائقاً لنا جداً ، ونافعاً ومفيداً ، أن يتألم المسيح أولاً ، ثم يدخل إلى راحته ...

* * *

ولكن القارئ يلاحظ وهو يتصفح قصة خلاصنا ، أن الآلام تتجمع في سرعة غير عادية ، خلال الصفحات الأخيرة ، كختام سيمفونية حزينة ، تتوارد فيها تعبيرات الحزن شديدة مسرعة ، تنبئ السامع بقرب انتهاء المأساة ، فيها يسكب الموسيقى كل مشاعره على أوتاره المتجاوبة معه ، فتمتزج فيها السرعة والشدة والألم معاً ...

هذه جثسيماني ، بؤرة صغيرة تركزت فيها أكثر آلام عرقها الأرض ، وأقواها ...

وعلى رمية حجر من أقرب أحبائه ، ارتأى أن يحزن وأن يكتئب وحيداً ... لا بمستوى أحزانه الكثيرة التي مرت عليه ، ولكنه حزن حتى الموت .

يقول عنه القديس بولس الرسول إنه كان بصراخ ودموع (عب ٥: ٧).
و يقول عنه القديس لوقا الإنجيلي إنه كان مصحوباً بجهد جسدي عنيف، استنزف
قطرات العرق من جبينه كتنقط الدم — مع أن الليل كان بارداً (لو ٢٢: ٤٤).

ولكن، ما هذا الحزن الشديد...

أكان فرعاً من الآلام القادمة...؟

ولكن الآلام التي لم تُفزع الشهداء، كيف تفزعه !؟

والصليب الذي قبله بطرس منكساً بشجاعة... أيجزع هو منه...؟!

لم يكن قطعاً حزن الرهبة من الآلام، ولا جزءاً من الصليب مهما كانت عذاباته،
فهو لم يخش الموت قط، لأنه جاء ليتممه، بل ولد له. نحن نخشى الموت، لأننا نجهله. أما
هو، فكان يعلم كل شيء، ويعرف أين سيمضي، بل ويرى المجد الذي ينتظره.

كانت أحزاناً حقيقية ثقيلة، واكتئاباً شديداً، ومرارة مميتة — لم يكن مصدرها رهبة
من الموت، أو جزءاً من ألم — فهو رئيس الإيمان ومكمله بالآلام (عب ١٢: ٢)...

اسمع إذن لماذا حزن واكتأب:

لقد كان أبرع جالاً من بني البشر (مز ٤٥: ٢) — ولكن لما وضع عليه الرب إثم
جميعنا (١)، صار منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل (٢) ...
ولما حل الخطية صار محترقاً أكثر من بني البشر (٣).

كان حلقه مملوءاً حلاوة (٤)، ولما تحمل أوجاعنا امتلاً صراخاً وتنهّداً للقادر أن
يخلصه (٥). ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلواً (٦)!!

(٣) إش ٥٣: ٣.

(٢) إش ٥٢: ١٤.

(١) إش ٥٣: ٦.

(٦) إش ٥٣: ٤.

(٥) عب ٥: ٧.

(٤) نش ٥: ١٦.

انسحاق البار ومرارة نفسه حينما يُلعن .

هذا كان كأسه ، طلب لو أمكن أن يرفع عنه (١٦) لأنه لا يستحقه ، ولكن الذي تعلم الطاعة مما تألم به (١٧) كيف لا يشربه وقد أعطاه له أبوه...

كانت ساعة الخطية وسلطان الظلمة (١٨) — طلب أن تجوز عنه ، ولكن من أجل هذه الساعة جاء (١٩) . فكيف لا يقبلها...

لقد انعكس ظل هذه الساعة على كل حياته السابقة ، فكان يتطلع إليها ويئن ، وبكى لما تذكرها على قبر لعازر (٢٠) .
لكنه ثبت وجهه نحوها (٢١) ...

* * *

دخل الموت ليصرعه بجياته ، ونزل القبر ليقوم و يتركه فارغاً — شهادة أبدية .
وانحدر إلى الهاوية ليصعد وفي موكب نصرته ربوات من شهود قيامته .
كان لا بد أن يموت ، ليبطل الموت بقيامته . وكان لا بد أن يظل ميتاً ثلاثة أيام ليخلص الذين في الجحيم ، و يصعد أعظم من منتصر .

كجبار حطّم أسوار الجحيم ، وصعد في يديه المصاريح ومفاتيح الهاوية والموت .
وفي عظمة نصرته نادى : «أنا ... الحي وكنت ميتاً ، وها أنا حيّ إلى أبد الآبدين»
(رؤ ١٧: ١٨) .

«إني أنا هو . جسّوني وانظروا» (لوقا ٣٩: ٣٩)...

كان لا يمكن أن يموت إن لم يكن قد أخذ جسد خطيتنا ...
وكان لا يمكن أن يقوم إذا لم يكن قد غلب الخطية بالجسد...

(١٨) لوقا ٢٢: ٥٣ .

(١٧) عب ٥: ٨ .

(١٦) مت ٢٦: ٢٩ .

(٢١) لوقا ٢١: ٢١ .

(٢٠) يوحنا ١١: ٣٥ .

(١٩) يوحنا ١٢: ٢٧ .

من أجل ذلك تشارك مع الأولاد في اللحم والدم (٢٢)، لكي بالموت الذي يذوقه يبيد من له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق بقيامته الذين بسبب الخوف كانوا كل حياتهم تحت عبودية الموت (٢٣).

وعلى الصليب جرد الرئاسات المظلمة وفضحهم جهاراً وظفر بهم (٢٤). أسقط قاهر الأمم وهوى كما رآه سابقاً كالبرق المنحدر من السماء (٢٥)...

وما أروعها معركة دارت رحاها وراء حجب العالم المنظور، تلك التي طرح فيها رئيس هذا العالم خارجاً (٢٦)، فاقداً سلطانه الأول.

ودُفع للغالب الذي خرج غالباً ولكي يغلب (٢٧) كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض (٢٨).

* * *

داس المعصرة وحده (٢٩)، واعتصر من دمه كأس خلاص للناس، وحية أبدية لكل من يتناول منه.

هو الكرمة ومن عصيره لا زالت تقدم الكنيسة دمه جديداً مهراقاً كل يوم على مذبحها — علامة دهرية لمعهده الجديد لغفران الخطايا، الدم الذي أهرقه بإرادته إيفاءً لكل خطية.

«والدم هو الحياة» (لا ١٧: ٢).

قدّمه على الصليب مرة واحدة، ولكنه لا يزال كما هو — حي إلى أبد الآبدين يعمل في الأرض كلها... وكل من يؤمن بالصليب ويحمل آلامه وعاره يأخذ قوة الدم المسفوك عليه...

(٢٤) كو ٢: ١٥.

(٢٧) رؤ ٢: ٢٠.

(٢٣) عب ٢: ١٥.

(٢٦) يو ١٢: ٣١.

(٢٩) إش ٦٣: ٣.

(٢٢) عب ٢: ١٤.

(٢٥) لو ١٠: ١٨.

(٢٨) مت ٢٨: ١٨.

دمه يتكلم ويغسل ويظهر ويصالح ويفدي ويشترى ويثبت ويحيي إلى أبد
الآبدين ...

* * *

أعجاد قيامة :

وإن قيل أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويموت ، فكم تحتم الضرورة أن يقوم ؟

لأنه تألم من جراء خطايا كثيرة ليست له ، حملها لطاعته ، وتحملها لمحبهه ، فإنه وإن
كان قد صُلب ومات ، فما ذلك إلا لتكميل عقاب آخرين . أما هو ، فكيف يُمسك في
الموت وهو لم يخطئ قط ...

فإن تألم وصلب ومات من أجل ثوب الخطية الذي لبسه ، فلا بد أن يقوم من أجل
الحق والقداسة والبر التي هي أصل طبيعته الحية غير المائتة .

+ فبموت المسيح رفع الحجاب الذي كان يفصلنا عن الله أي الخطية مسمراً إياها
على الصليب بجسده الذي وضع عليه إثم جميعنا .

ولما مات قتل العداوة أي الخطية بموت جسده الحامل لها . فانشق حجاب الهيكل
الذي كان رمزاً للعداوة التي كانت تفصل قداسة الله عن نجاسة الإنسان .

وعوض الحجاب الفاصل صار لنا بجسد المسيح الطاهر حجاب مصالحة — إذ جعل
جسده طريقاً كرسه لنا حديثاً ، حياً (٣٠) ، للدخول بنقطة إلى أقداًس الله ...

وبقيامة المسيح ، استُعلنت للإنسان القوة الجديدة التي أكملها المسيح ، تلك
القوة التي يغلب بها الإنسان طبيعته القديمة ، وينتصر بها على الموت وعلى سلطانه
ليستطيع أن يحيا فيا لله .

(٣٠) عب ١٠: ١٩ و ٢٠ .

+ قام المسيح بقدرة فائقة، بإمكانيات جديدة يستطيع بها أن يهب ذاته لنا بأن يدخل فينا ويتحد بنا بسر عجيب، على شبه دخوله العلية التي كان التلاميذ مجتمعين فيها والأبواب مغلقة.

هذا يشرح لنا في غموض إمكانية دخول المسيح هياكلنا البشرية والحواس مغلقة... لا نحس به في دخوله ولا نشعر به إلا وهو يقول: «سلام لكم» (لو ٢٤: ٣٦)...

وبدخول المسيح فينا واتحاده بنا بالإيمان والمعمودية وأخذ جسده ودمه الإلهي في سر الشركة، تصير حياة المسيح عاملة فينا، لأنه هو يكون حياً فينا. وبذلك نأخذ قوة وثمره عمله الذي أكمله كله من جهة قداسته وطهارته وعدم غشه ونصرته على الخطية وتحمله الآلام وصلبه وموته وقيامته.

وبذلك تتجدد طبيعتنا إلى ما فوق مستوياتها — وهذه الإمكانيات جميعها ليست منا، وإنما هبة عمل حياته المقامة فينا. وهذا ما عبر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد. وما الإنسان الجديد إلا يسوع المسيح فينا، الذي ننسب ذواتنا إليه ونقول بسببه إننا مسيحيون.

وقبول المسيح فينا هو ما عبر عنه بالميلاد الجديد، أي يولد فينا إنسان آخر غير الترابي الآدمي «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي» (١ كو ١٥: ٤٩).

والذي وُلد الميلاد الجديد وصار المسيح عاملاً فيه يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح تأملت. ومع المسيح صلبت. ومع المسيح قت. بل ومع المسيح جلست في السماويات... لأننا صرنا من عظمه ولحمه وأحياء فيه ومعه».

هذه هي هبة القيامة الفائقة الوصف التي كان يحيا فيها بولس الرسول، وعلى محورها تدور جميع إلهاماته ومبادئه. وهذه هي الشركة العجيبة التي كان يحسها إحساساً قوياً في

نفسه، فكان لا يرى أي شيء أو أية هبة أو نعمة أو قدرة—إلا في المسيح. فكان يؤمن في المسيح، ويتبارك في المسيح، وهو مختار في المسيح، ومفدي في المسيح، ويرجو في المسيح، ومخلوق في المسيح، وشريك في الميراث في المسيح، ويستطيع كل شيء في المسيح. وبالإختصار لم يكن يحيا هو بل المسيح كان يحيا فيه.

ذلك لأن الإتحاد بالمسيح يجعل لنا كل ما للمسيح، وهذا هو سر قوتنا الجديدة. وسر عمل الروح القدس فينا هو سر حقيقي لنناه بالقيامة العجيبة بقوة فائقة يعبر عنها بولس الرسول بقوله: «جعل الإثنين واحداً» (أف ٢: ١٤).

إذ قد سبق وأكمل هذا السر في نفسه—باتحاد اللاهوت والناسوت—في شخصه.

ولما أكمل مطالب الغفران والفداء بذبيحة جسده، قام ليعطينا ثمرة هذا السر الرهيب، وهبته، بجلوله فينا، وإعطائه جسده ودمه الإلهي لنا، جاعلاً كل من يأخذه بإيمان، واحداً فيه. وإذ هو لا يتجزأ صار المؤمنون واحداً بواسطته، كأعضاء كثيرة في جسد واحد.

فكل من قبل قيامة الرب ينال سر الشركة فيه، و يصير عضواً في جسده الحي. وكل من لا يقبل قيامته لا ينال شيئاً قط من أعمال المسيح، سواء من جهة آلامه أو موته—إذ يكون حجاب العداوة لا زال قائماً لعدم قبول وسيط المصالحة، والشفيع الذي صار بين الله والناس.

* * *

إذن كم يعوزنا أن نتذوق روح القيامة ونمجدها في ذاتنا، فاحصين بصلاة وطلبة كثيرة عن معرفة أسرار المسيح المقام،... متأيدين بالقوة بالروح في الإنسان الباطن—ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا (أف ٣: ١٦ و١٧)—حتى لا نكون بعد تحت دينونة، بل سالكين حسب ناموس روح الحياة في المسيح يسوع (رو ٨: ٢).

أما في الدهر الآتي، فإننا وإن كنا لا نعلم ماذا سنكون... ولكن نحن واثقون أننا سنكون مثله (١ يوحنا ٢: ٢).

لأننا متنا عن إنسان آدميتنا، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، ومقياً أظهر المسيح حياتنا فحينئذ سنظهر نحن أيضاً معه في المجد (١ كور ٣: ٤).

سلام للصليب طريق القبر

سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة

سلام للقيامة مفتاح الخلود!

(١٩٥٨)

لأعرفه وقوة قيامته

إن قيامة المسيح قوة...

يجب أن ننتبه لثلاث يفوتنا المعنى ونفقد حقنا في هذه القوة، فالرسول لم يقل «لأعرفه وقيامته»، بل «لأعرفه وقوة قيامته». كان إيمان القديس بولس الرسول قائماً على أساس معرفة يسوع شخصياً، ومعرفته بيسوع كانت قائمة على أساس قيامته، أما قيامته فكانت قوة.

ولكي يعرف القديس بولس الرسول قوة قيامة الرب، لزم أن يدخل في مجالها فكان يعيش في قوة قيامة الرب: «أقامنا معه»، «كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً» (رو ٦: ٤).

لذلك، كان إيمان القديس بولس قوياً حياً، وقوة إيمانه كانت ذات فاعلية، ذات كرازة، ذات تأثير للتجديد...
إن كان أحد به ضعف في الإيمان فهذا تنقصه قوة قيامة المسيح.

قوة قيامة الرب:

نحن نؤمن أن الرب قام من الأموات في اليوم الثالث، كما في الكتب، ولكن إن اكتفينا بمثل هذا الإيمان الكتابي الذي استلمناه بالأذن فلن نعرف الرب ولن نحيا في قيامته.

يلزمنا أن نستلم قيامة الرب بالقلب ونختبر مع القديس بولس معرفة «قوة قيامته» .

إن قيامة الرب ليست حادثة تاريخية سجلها الإنجيل من أربع زوايا، ولكنها قوة يعرضها البشيريون والرسول كما أخذوها لا كما عرفوها فقط، حتى نأخذها إذا عرفناها...

«الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (١ يوا: ٣)،
«وأعزفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً
تخلصون... فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات... ودُفن وأنه
قام» (١ كو٥: ١-٤).

القيامة كما اختبرها التلاميذ قوة جديدة عجيبة، دخلت إلى العالم وتسربت إلى
قلوب المؤمنين في فجر اليوم الثالث من موت الرب، فبددت أحزان التلاميذ وقلبت
يأسهم الشديد إلى فرح وهجة وبشارة وإنجيل.

قوة القيامة كانت ذات كيان شخصي في المسيح.
قوة القيامة كان لها أثر مباشر في ربط العالم الحاضر بالعالم الآخر.
قوة القيامة ذات فعل مستمر في الإنسان لإقامته بعد الموت.

أولاً: القيامة قوة كانت في المسيح:

كانت قيامة الرب من الأموات قوة ذاتية كائنة في شخصه قبل أن يُصلب وبعد أن
قَبِلَ الموت في جسده. لم يكن الرب ينظر إلى الصليب إلا في قوة قيامته، ولم يكن يتحدث
عن موته قط إلا و يقرنه بقيامته دائماً.

هذا المعنى أشار إليه القديس بطرس الرسول في خطابه الأول في يوم الخمسين، عندما
تكلم عن الموت الذي ماته الرب كيف أنه «لم يكن ممكناً أن يُمسك منه»
(أع ٢: ٢٤)، أي أن جسد الرب كان يستحيل أن يظل مائتاً، لماذا؟ لأن الجسد
الإلهي كان يحمل قوة قيامته. ويقول الرسول أيضاً أن جسده لم يفسداً، لماذا؟

لأن قيامته كانت حاضرة فيه منتظرة مشيئة الآب .

هذا عن الجسد الميت في القبر، أما عن النفس التي ذهبت إلى الهاوية فيقول الرسول «أنه لم تُترك نفسه في الهاوية» (أع ٢: ٣١)، لماذا؟ — لأن نفسه الإلهية فيها قوة القيامة والصعود من الهاوية بل والصعود إلى السماء أيضاً.

وبالرغم من أن المسيح كان يحمل قوة القيامة في جسده ونفسه إلا أنه ظل في القبر بالجسد وفي الهاوية بالنفس إلى أن «أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت» (أع ٢: ٤٢)؛ لأن في ذلك تكميلاً لمشيئة الآب . وهو جاء ليكمل هذه المشيئة إن بحياته أو في موته !!

وكما كان قادراً في حياته أن يتكلم من نفسه، ويعمل كل شيء من ذاته بسلطانه الخاص، ويتمم مشيئته الشخصية كإبن وحيد للآب مساوٍ له في كل شيء، إلا أنه لم يتكلم قط من نفسه، ولا عمل شيئاً من ذاته، ولا تمم مشيئته له خاصة، بل في كل شيء كان يسمع للآب طائعاً، حتى إلى الموت على الصليب مكملاً الطاعة التي «أخلى نفسه» ليتوفر على تكميلها تماماً، محققاً أنه إبن حقيقي لأبيه الله، مساوٍ له عن فعل ومقدرة وبرهان، وليس اختطافاً.

كذلك في موته، فبالرغم من أنه كان قادراً أن يقوم من الأموات بقوة التي فيه التي لم تفارقه بموته، لأن من صميم طبيعة إبن الله أن يكون قائماً أبداً من الأزل وإلى الأبد، إلا أنه لم يقم من ذاته، بل جعل قوة القيامة التي فيه تحت خضوع الآب لكي يكمل طاعة ذبيحته حتى النهاية، لذلك لا يتبلبل فكري حينما تسمع الكتاب يقول إن «الله أقامه» (رو ١: ٩)؛ لأنه أقامه بالمشيئة؛ إذ لما اقتبل من الآب مشيئة القيامة، قام بقوة قيامته . القديس بولس الرسول عرف هذه القوة التي أقامته متحققاً أنها من صميم كيانه وطبيعته فأدرك لاهوته وأدرك أنه «الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو ٩: ٥).

ومن يدقق يرى ذلك أيضاً ويعرف أن قيامة المسيح أعلنت لاهوته، إذ لم يَقم بلُعاء
آخرو ولا بصلاة تلاميذه، ولا هو قام ضعيفاً يحتاج إلى من يحمل له الأَكفان ويفكوها
كلعازر، ولا احتاج طعماً ليتقوى كإبنة يابرس، ولا وجدوه خائراً من آثار الصليب
يطلب من يداوي جراحه أو يسد جنبه النافذ من طعنة الحربة! ...

بل قام المسيح بقوة وجلال عظيمين، قام ليعلمَ بسلطان كالأول، قام ليوبخ
التلاميذ على عدم إيمانهم، قام وجراحه باقية كما هي، وجنبه مفتوح شهادةً لسلطان
الحياة التي فيه، وأن حياته ابتلعت الموت ابتلاعاً «أين شوكتك ياموت أين غلبتك
ياهاوية» (١ كور ١٥: ٥٥).

قيامته كانت بقوة ومجد على مستوى إلهي كامل، القديس بولس عرف أعماق هذه
القوة وأدرك أثرها ومعناها، لذلك يقول إن المسيح: «تعيّن ابن الله بقوة من جهة روح
القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤).

ونحن يلزمنا أن نلقي نظرة إلى الحوادث التي جرت قبل القيامة حتى ندرك هبة
القيامة وهبة القائم من الأموات. فالشيطان كسب كل المواقع التي تمّت إلى أن دفنوا
الرب في قبر... لقد ساد الشيطان في المحاكمة وانتصر، واستصدر حكماً بيد رؤساء الكهنة
العظام وبيد بيلاطس كقاضي وحاكم وبصراخ وإلحاح الشعب أن المسيح مستحق
الموت كخاطيء ومذنب! ...

أما المسيح فلم يعارض ولم يحتج وسلّم بالحكم، لأنه كان يعلم أنه واقف ليحاكم لا
عن نفسه ولكن عن الخطاة، فلم يدافع عن نفسه أو يُظهر براءته، لأنه كان يعلم أن
قيامته من الأموات كفيلة بذلك...

ثم سار الشيطان في موكب الصليب، وصنع بالمسيح كل صنوف الهوان والفضيحة،
من ضرب بالسياط على جسده العاري، إلى لُكْم بالأيدي، إلى بُصاق في الوجه ولطم،
ودق المسامير في لحمه، وطعنه بالحربة، وهوي تقبل ذلك في مذلة وانسحاق كمغلوب،

حتى أن كل من نظر هذه الحوادث المخزية قال: قد غلب المسيح «عن ضعف».

ولما رفعوه على الصليب بقيت آخر بارقة أمل للذين كانوا يترجون الخلاص على يديه، أن ينزل من على الصليب، ولكن يا خيبة الأمل لم ينزل بل صرخ ومات!...

فرجع التلاميذ وكل أصحابه وعارفي فضله يدقون الصدور، لقد هزم المسيح وانتهى وغلبه الشيطان وقوي عليه في معركة الموت!!

إسمع هذه الكلمات التي صدرت من تلميذين له من الأخصاء التابعين، وقدرما تحويه من حزن وفشل وخيبة أمل في معلمهم المحبوب يسوع عندما رأوه قد مات: «يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدرأ في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك» (لوقا: ٢٤: ١٩-٢١).

لذلك، قيامة الرب من الأموات حدث جلل هزّ قلوب الذين سمعوا الخبر وتحققوه، وملاّت كلمة «المسيح قام» ربوع فلسطين فارتاع لها الحكام واضطرب لها رؤساء الكهنة بشدة...

أما التلاميذ فقبلوا القيامة برهبة عظيمة ما عتمت أن انقلبوا إلى فرح لا ينطق به ومجيد...

لقد كشفت لهم القيامة عن شخصية المسيح، فحينما رجعوا بفكرهم إلى حوادث المحاكمة والصلب والموت أدركوا أنه قبلها عن ضعف اختياري وتيقنوا أنه لم يقبلها عن نفسه وإلا ما قام من الموت...

ثم عادوا إلى ذكريات أقواله وتعاليمه فتحققوا صدقها بل تحققوا أزلتها، وقد أدركوا

في نور قيامته أنه أقام لعازر والباقيين من الأموات بقوته وسلطانه، إذن فهذا هو المسيا الموعود به ابن الله، هذا هو عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

حقاً إن القيامة عظيمة، فقد تحققت بها شخصية المسيح وقوته الإلهية، أعلن بها نصرته الأبدية على الشيطان «لا يسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ٩)، نقض بها حكم الموت الذي صدر ضد الإنسان فصارت القيامة للمسيح للناس من الأموات! ونقض بها حكم الصلب الذي أصدره رؤساء الكهنة مستندين على الناموس، فصارت القيامة حجة ضد الناموس وكشفاً لعجزه وقصوره.

لقد صارت القيامة قوة ذات معنى عميق في أذهان التلاميذ عرفوا بها المسيح!!
«لأعرفه وقوة قيامته».



ثانياً: القيامة فتحت الباب الذي كان يفصل بين العالم الحاضر والعالم الآخِر:
لقد جاء المسيح من السماء «أنتم من أسفل أما أنا فن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فليست من هذا العالم» (يو ٨: ٢٣)، وهو قد حقق بصعوده إلى السماء أنه من السماء نزل أولاً: «وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أولاً» (أف ٤: ٩)، «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣). جاء إلى عالمنا متخذاً جسد إنسان صائراً في شبه الناس، وقضائه الوحيد أن يعيد الإنسان إلى العالم الأبدي الخالد، عالم المعرفة غير المنقسمة، عالم النور والروح والقداسة والحب والحق.

بدأ يسوع كرازته بهذا النداء: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧)، ثم صوّب كل تعاليمه وأمثاله وقصصه ورموزه نحو هذا الهدف «ملكوت السموات». شرح الطريق المؤدي إليه، مع كل مستلزماته وشروطه وصعابه، تكلم عن الباب الذي يفتح على الملكوت، وعن ضيقه كنهاية للطريق. ثم أخذ يكشف قليلاً قليلاً

عن أسرار الحياة في العالم الآخر، فتكلم عن الفرح والسلام هناك، وكيف سيحيا بنو الملكوت كالملائكة، لا يزوجون ولا يزوجون، بلا حزن ولا ضيق ولا كآبة ولا تنهد، موضعاً أن الموت الجسدي عبور إلى هذه الحياة...
وبعد أن أكمل تعليمه عن الحياة الأخرى مات!!

وإلى هذا الحد لم يكن المسيح أكثر من معلم ونبي في اعتبار التلاميذ وجميع الناس... ولكنه بعد أن مات ودفنوه قام من الأموات، قام بجسده الذي مات به بجروحه المميّنة كما هي!! فظهرت حياته التي كانت مستترة في موته، وظهر أنه لم يمُت من أجل نفسه قطعاً وإلا ما قام أبداً...

وظهر أنه لم يكن يعلم بالكلام عن الطريق المؤدي إلى الحياة الأخرى، ولكنه كان يسير بنفسه ليُجمل ذاته الطريق بين العالم الحاضر والعالم الآخر...

ولما رآه التلاميذ حياً بعد القيامة تذكروا كلامه العجيب الذي لم يستطيعوا آنذاك أن يفهموه، أنه قال عن نفسه إنه هو الطريق المؤدي إلى الملكوت، وأنه هو أيضاً الباب الذي يوصل إلى هناك وأنه هو نفسه الزاد اللازم للمسير إلى الملكوت: جسده يكون طعاماً للسائرين ودمه شرباً للعابرين!!

وكان يستحيل على الإنسان أن يعبر إلى ملكوت السموات بواسطة كلمات يسمعها أو حتى تعاليم يسوع!!

لأن معرفة الطريق شيء والسير فيه شيء آخر، ومعرفة الملكوت شيء والحياة هناك شيء آخر!!

ولكن المسيح الذي علم عن الطريق والباب المؤدي إلى الملكوت، هو نفسه عبر إلى هناك.

لقد مكث يسوع أربعين يوماً بعد قيامته يتردد بين العالم الحاضر والعالم الآخر وهو يظهر لتلاميذه، مكملاً تعليمه عن الملكوت كمن يحيا فيه وكشاهد عيان!

ثم أخيراً صعد أمام أعينهم إلى السماء، إلى الآب، إلى العالم الآخر الذي جاء منه .
إذن فلم يكن معلماً لطريق الملكوت فحسب، بل ظهر أنه هو الطريق وهو هو
الباب الذي يؤدي إلى هناك .

يسوع ربنا لم يعبر الطريق إلى الملكوت كأنه كان خارج الملكوت ثم دخله —
حاشا — فهو لم يفارق حضن أبيه قط ولا بارح السماء لما تجسد « الإبن الوحيد الذي هو في
حضن الآب هو خبّر » (يو: ١٨)، « وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من
السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء » (يو: ٣: ١٣) .

ولكنه أراد أن يجعل نفسه طريقاً وباباً...
وصار طريقاً لما تقبل الآلام اللازمة للطريق في جسده، وصار باباً لما تقبل الموت
وبذل حياته بسفك دمه، ثم قام حياً بجسده ودمه وسلم للإنسان سرّ أكل جسده وشرب
دمه، وبذلك صار جسده طريقاً ودمه باباً...
« إذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً
حياً بالحجاب أي جسده » (عب ١٠: ١٩) .

وأخيراً جداً أدرك التلاميذ ما قاله الرب سابقاً أنه هو الطريق، وأنه هو الباب، وأنه
هو الخبز الحي النازل من السماء الذي كلُّ من يأكله يحيا للحياة الأبدية .

إن قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد القيامة حياً لتلاميذه ولكثيرين أربعين
يوماً حدث جلل على وجه الأرض، لأنه بذلك شجب الحجاب الذي كان يفصل
العالمين !!

فإن كان بموته انشقّ الحجاب الذي يفصل الله عن الناس، الذي يرمز إلى الخطية،
فقد انشقّ حجاب آخر بقيامته ذلك الذي كان يفصل العالم الآخر عن عالمنا الحاضر،
الذي كان قائماً بالموت...

فيموته صالح الله مع الناس، وبقيامته أدخل الناس إلى الله!!

لقد تبددت كل المخاوف والوساوس التي كانت تحيط بالعالم الآخر لما رؤي الرب قائماً من الأموات بجسده حياً.

لم يعد العالم الآخر فكرة تخمينية تحيطها الغموض، ولم تعد الحياة الأبدية مجرد اشتياقات نودعها ركناً مظلماً من القلب. قيامه الرب من الأموات جعلت العالم الآخر شديد الصلة بعالمنا، حقيقة متصلة بحياتنا كائنه في أجسادنا، مستترة في موتنا «لأن الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو: ٨: ١١).

قيامه الرب من الأموات بددت الرعب الخفيفة التي كانت تلازم الموت. لم يعد الموت نهاية مظلمة لحياة قصيرة محزنة، بل صار الموت بواسطة المسيح باباً يؤدي إلى حياة أخرى لانهائية وسعيدة...

لقد قام الرب من الأموات، فربط بقيامته بين العالمين وجعل نفسه سكة وطريقاً، وبصعوده لم تنته صلته بعالمنا إذ أرسل الروح القدس، وهذا أثر مباشر لقوة قيامته، وصار الروح القدس مرشد الطريق يأخذ مما للمسيح ويعطينا.



ثالثاً: القيامة ذات فعل مستمر في الإنسان لإقامته من الموت نفساً وجسداً:

كان من نتائج القيامة حلول الروح القدس في الإنسان كقوة إلهية فائقة — هذه القوة عملها الأول الشهادة للمسيح كقائم من الأموات: «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً» (أع: ١: ٨).

ولكن هذه القوة الروحية الجديدة لم تكن للشهادة فقط بل كانت ذات فعل سري في كيان الإنسان تعمل فيه لإقامته من الموت، لأنها هي بعينها القوة التي أقامت المسيح من الأموات، لأن عمل الروح القدس الأساسي أن يعطينا بر المسيح وثمره وموته وقيامته:

«وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣ و ١٤).

إذن، فنحن ننال بواسطة الروح القدس القوة التي أقامت المسيح من الأموات: «إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١).

إذن، فرجاء قيامتنا من الأموات يتعلق رأساً بالإيمان بقيامة المسيح من الأموات: «وللنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ٣: ١).

أي أننا نحيا الآن مترجين القيامة من الأموات، كمولودين ثانية آخذين قوة بالروح القدس، تعمل فينا عملها في المسيح، أي للنصرة على الخطية والآلام والموت...

ولكن إن كان موت الرب على الصليب أكمل كل الكفارة ومستلزمات الفداء لخلاص الإنسان فما قيمة القيامة إذن؟
قد يتهيا للذهن لأول وهلة أن للقيامة هنا عملاً ثانوياً أو تكميلياً ولكن الحقيقة خلاف ذلك:

فالقيامة هي الأساس الذي بنى عليه المسيح خلاص الإنسان لأنه على أساس القيامة قبل الرب الصليب.
وعلى أساس القيامة قبل الرب أن يموت.

في الترتيب الزمني للحوادث نجد أن القيامة لاحقة وتالية للصليب والموت، ولكن في المنطق الإلهي والترتيب الطبيعي بالنسبة لجوهر المسيح نجد القيامة قوة كائنة في المسيح قبل الصليب وقبل الموت. بحيث لو لم تكن القيامة من صميم طبيعة المسيح وكائنة فيه قبل أن يتقدم للصليب والموت، لصار له الصليب خشبة لعنة، ولصار الموت له كقصاص شخصي، وحاشا لله...

ولكنه إذ كان قادراً أن ينزل من على الصليب في أية لحظة، صار احتمالاً وقبوله للصليب فخراً لا لعنة، وإذ كان قادراً أن يقوم من الأموات في أية لحظة صار قبوله للموت تكفيراً عن قصاص آخرين.

هكذا صار الصليب كفارة وصار الموت فداءً، فالقيامة هي جوهر الصليب فهي جوهر الكفارة...

والقيامة هي شرط الموت فهي شرط الفداء...
فالصليب بدون قيامة عار وفضيحة، أما بالقيامة فهو افتخار ومجد «وقوة الله للخلاص»...

والموت بدون قيامة لعنة وقصاص، أما بالقيامة فهو مصالحة وفداء وحياة أبدية!!

إذن، يستحيل أن نتكلم عن صليب ربنا إلا في مضمون قيامته، ويستحيل أن نبشر بموت الرب إلا مقترناً بحياته «المسيح هو الذي مات بل بالبحري قام» (رو ٨: ٣٤).

وهكذا تكون قيامة الرب من الأموات أساساً وبرهاناً لقبول ذبيحة الصليب عنا للتكفير والمصالحة والغفران والخلاص...

قيامة المسيح فداء للأجساد:

كان يمكن أن يكفر المسيح عن نفس الإنسان فتخلص نفس الإنسان دون جسده! ولكن لم يشأ الله الذي خلق الإنسان من نفس وجسد أن يهلك شيء منه، بل كما خلقه من نفس وجسد هكذا يحيا أمامه في ملكوته!

لذلك، وجدنا أن الكلمة ابن الله «صار جسداً»، وأنه أكمل فداء جسد الإنسان بأن «حمل خطايانا في جسده على الخشبة»، ولكنه إذ قام بجسده حياً من الأموات نفّض عن الجسد كل آثار الخطية إذ أكمل قصاصها بموته، فبرأ الجسد وافتداه.

هكذا افتدى الرب أجسادنا لما قام بجسده حياً، وهكذا نحن أيضاً «نن في أنفسنا

متوقعين التثني فداء أجسادنا» (رو ٨: ٢٣).

إذن، على ضوء قيامة الرب بجسده حياً نفهم أن الموت بالنسبة لأجسادنا ليس نهاية طبيعية كما هو حادث للحيوان، بل هو مرحلة انتقال، ينتقل فيها الجسد من حياة طبيعية متعلقة بالأرض إلى حياة روحية متعلقة بالسما! من جسد ذي قدرة محدودة خاضع لنواميس الطبيعة إلى جسد روحاني له نفس سماته الأولى وإنما ذو قدرات غير محدودة وغير خاضع لنواميس الطبيعة...

وهذا حق وعدل لأن جسد الإنسان ذو امتياز لأنه أخذ نفخة خاصة من الله القدير، جعلته ذا صلة خالدة بالله وذا ديمومة حتى ولو انحلت هيئته الترابية...

فإذا كانت مادة الجسم البشري ستبقى في التراب بعد الموت، ولكن صورتها ستبقى خالدة منطبعة على النفس تنتظر لتأخذ ملاءها الجديد بالقيامة من الأموات، فيحيا الإنسان كاملاً في ملكوت الله بنفسه وجسده كما خلقهما الله في البدء.

وقيامة الإنسان على هذه الصورة أمر منطبق تماماً على معنى قيامة المسيح حياً بالنفس والجسد غالباً «الهاوية والموت»: حيث الهاوية هي مقر النفس تحت سلطان إبليس، وحيث الموت هو فساد الأجساد واضمحلالها... فالمسيح غلب الهاوية إذ خرجت نفسه منها منتصرة، وأصعد معه أنفس الصديقين السابقين، وغلب الموت بأن قام بجسده حياً من القبر.

هكذا افتدى السيد المسيح — له المجد — العنصر الإنساني كاملاً نفساً وجسداً، بقيامته من الأموات حياً.

(أبريل ١٩٥٩)

قيامتنا كلنا

في صلاة الإنجيل يقول الكاهن مخاطباً المسيح «لأنك أنت هو حياتنا كلنا،
وخلصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفائنا كلنا، وقيامتنا كلنا».

القيامة هنا تأتي ختاماً لأعمال المسيح في حياتنا. فحسب ترتيب هذه الأوشية يبدأ
المسيح عمله فينا بأن يهبنا حياة من فوق في سر الميلاد الثاني بالإصطباغ من الماء والروح.
ثم يؤمن هذه الحياة الجديدة بفعل الخلاص بدمه في سر الإفخارستيا.
ثم يؤازر جهادنا المتعثر في طريق الخلاص بسر الرجاء.
ثم يشفي سقطاتنا وأمراضنا بسر مسحة زيت رحمته.

وأخيراً، وختاماً لكل أعمال المسيح، وكتاج وإكليل، تأتي القيامة — سر الأسرار
جميعها — تأتي فتجعل سر الحياة الجديدة وسر الخلاص وسر الرجاء وسر الشفاء حقيقة قائمة
دائمة في صميم طبيعة الإنسان، تؤهلها للاستمرار في الحياة مع المسيح الآن وفي الموت
وبعد الموت!

فإن كانت جميع الأسرار تؤهلنا أن نحيا مع الله هنا على الأرض، فسر القيامة يؤهلنا
للمعمود لنحيا مع الله فوق في السماء «أقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات»
(أف ٢: ٦)؛ لذلك يشدد علينا بولس الرسول قائلاً: «إن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا
ما فوق! حيث المسيح جالس...» (كو ٣: ١). بمعنى أن روح القيامة لو انسكب في
قلوبنا حقاً فإننا حتماً لن نعود ممسكين بالنظر إلى ما هو تحت، أي إلى ما هو من تراب
أو ما يعود إلى التراب، بل تنمusk عيوننا بالنظر إلى فوق، إلى مصدر حياتنا الجديدة.

هذا حق ، وهو أمر منطقي أن الذي أخذ روح القيامة لا تعود سعادته على الأرض ، لأن مركز حياته كله يكون قد انتقل من الأرض إلى السماء .

الإنسان ، مهما كان روحياً ، تظل سعادته على الأرض طالما لم يوهب سر القيامة . فإن أسرار المسيح كلها من ميلاد جديد وخلص ورجاء وشفاء يمكن أن تجعل الإنسان سعيداً على الأرض ، ولكن في اللحظة التي يتقبل فيها الإنسان روح القيامة فإنه يبدأ يشعر أن سعادته وأفراحه وكل اشتياقات قلبه قد انتقلت إلى فوق ، إلى بيتها الأبدي ...

أوروبا وأمريكا اليوم يسري فيها تيار جحود قوي لإنكار القيامة يتزعمه بعض رجال الدين ، لماذا؟ لأنهم واقعيون وأمناء جداً مع أنفسهم ، فهم يعيشون في ملكوت أرضي ، في صميم المسرات والإهتمامات الأرضية ، لذلك فهم مستعدون أن يقبلوا كل أعمال المسيح وأسراره لتزيدهم راحة وسلاماً وسعادة على الأرض ، ولكن أن يقبلوا القيامة بصدق وإخلاص فهذا أمر مستحيل ، أو كيف يقبلون سر القيامة الذي ينقل في الحال مركز حياتهم وتفكيرهم وآمالهم واهتمامهم وسعادتهم من الأرض إلى السماء؟ ومن الجسد إلى الروح؟

ونحن بالمثل مطالبون الآن أن نكون واقعيين مع أنفسنا : «جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان . امتحنوا أنفسكم . أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم ، إن لم تكونوا مرفوضين » (٢ كو ١٣ : ٥) .

فإذا تعني القيامة عندنا ؟ هل هي عقيدة فكرية وطقس نعيّد له وحسب ، أم هي حياة ؟ هل نعيش في قيامة المسيح حقاً بإحساس إنسان قام من الموت بروح المسيح وصار ناظراً إلى فوق فأصبح القبر والموت خلف ظهره والحياة الأبدية بكل أبعادها أمامه ، أم لا نزال بسبب الخوف من الموت تحت عبودية جمع المال وتكويم الأرصداء والتأمينات والاهتمام بأمر الغد والتورط في حساب المستقبل دون افتداء الوقت أو التكفير عن شر الحاضر؟

إن قياس سلوك الإنسان على مقياس القيامة يفضح تدين المسيحي، فالمسيحية بدون قيامة حقيقية، أي على أساس نظر مثبت دائماً إلى فوق، تصبح ردّة إلى اليهودية، وسعيّاً وراء ملكوت أرضي، كما كان في القديم، تين وزيتون وكروم وأرض تفيض لبناً وعسلًا وصوت عريس وعروس... أو بلغة هذا الزمان: دولارات وسعادة تقوم على ترفيه الإنسان وفنون التكنولوجيا المتطورة.

لذلك، إن كان حمل الصليب — الذي هو رمز للتجرد والفقر الاختياري والضيقات — يشكل محنة بالنسبة للمسيحي الطامح وراء أمجاد ومسرّات هذا الدهر، فإن الإيمان بالقيامة والمعيشة بروحها تضعه على مفترق طريقتين: الأرض أو السماء، الذات أو الله، حياة حسب الجسد أو حياة حسب الروح!

وكثيرون تزيفت عليهم المسيحية فحسبوا مجرد أخلاق فاضلة مع مسرات نفسية وهجة اجتماعات وتراويل وأفراح أخوية، وحسبوا هذا نهضة وتجديداً، وما علموا أن برهان صدق الحياة المسيحية الوحيد هو القيامة التي يجوزها الإنسان في أعماقه فيجوز تغييراً كاملاً شاملاً يعيد صياغة فكره وآماله ونظرته للحياة كلها: «إن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق» (كو ٣: ١).

ليس معنى هذا أن الحياة بروح القيامة تخلو من مسرات وأفراح، بل على العكس، فأفراح القيامة لا تدانيها أفراح، وهجة الحياة التي أضاعها وجه المسيح القائم من الأموات، لا يمكن أن ترعزها أتعاب أو ضيقات، لأن مصدر فرح الإنسان العائش في بهجة القيامة هو فرح سماوي لا يمكن أن يتناول عليه حزن أو ألم أو خسارة أرضية أو نفسانية مهما تعاظمت، إنه وعد إلهي غير قابل للتغيير: «ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢)!

وقد يظن إنسان أن النظر الدائم إلى السموات بروح القيامة الحقيقية يطفئ جذوة التطلع إلى خير البشرية، ويفسد جهاد الإنسان على الأرض ويضعف من تقدمه العلمي

والمديني . هذا غير صحيح ، لأن الإنسان الذي يعيش بروح القيامة لا يفقد إلا طموحه الشخصي ولا يتنازل إلا عن أنانيته ، أما رغبته في إسعاد البشرية والدفاع عن حقوق المظلومين فإنها تزداد وتتأجج فيه أضعافاً مضاعفة بسبب حضور المسيح فيه : « كي يعيش الأحياء فيما بعد ، لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » (٢ كور ٥ : ١٥) .

وقد يُظن أن الإحساس بروح القيامة هو نهاية السعي الروحي للإنسان ، ولكن هذا أيضاً غير صحيح ، فسر القيامة من الأموات وقوتها التي وهبها المسيح لطبيعتنا بقيامته ، هي بداية وليست نهاية ، بداية التجديد الذي دخل إلى عالمنا ، أول بادرة للحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب وأظهرت لنا منظورة ومحسوسة في المسيح « ابن الإنسان » الذي قام من الأموات حياً على أن لا يسود عليه الموت فيما بعد إلى الأبد . فالقيامة من الأموات هي عملية تجديد الخلقة أو هي الخلقة الجديدة للطبيعة البشرية التي أعطتها القيامة إمكانية النصر فوق الموت نهائياً مع إمكانية الحياة مع الله إلى الأبد .

إذن ، فهبة القيامة من الأموات التي وهبها المسيح لطبيعتنا هي في الحقيقة عملية ميلاد ثاني للإنسان : « ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١ بط ١ : ٣) .

القيامة هنا ليست هي القيامة العتيدة أن تقوم فيها جميع الأجساد في آخر الدهور ، ولكنها تمهد لها ، فهي قيامة داخلية سرية غير منظورة تحدث في صميم هذا الزمان لكي ترفعه إلى مستوى الخلود ، وتحدث في صميم هذا الجسد لكي ترفعه إلى مستوى الروح ، لذلك فهي عربون ، عربون حقيقي يذوق فيه الإنسان حقاً معنى الملكوت وحياة الدهر الآتي .

هذه هي القيامة الأولى التي تتحدى الموت لأنها تمسك بالحياة الأبدية ، فكل من يقوم مع المسيح الآن لا يكون للموت الأبدى سلطان عليه ، بل ويصبح موت الجسد بالنسبة له نقطة انتقال إلى أعلى ، والقبر آخر معبر وآخر قيد يفكه ، فينتقل إلى مجد حرية

أولاد الله... «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم» (رؤ ٢٠: ٦).

لذلك ينبغي أن ندرك أن الحياة الآن هي بروح وإحساس القيامة من الأموات، ولا يمكن أن نفصله عن الإحساس بال ميلاد الجديد لطبيعتنا، وعن استنشاق نسيم الحياة الأبدية وفرحة الوجود في حضرة الله. فقيامة المسيح وُلدنا ونولد ونعيش الآن في جدة الحياة، وبدون سر القيامة تبقى طبيعتنا منبطقة في ظلام وموت، أو كما يقول إشعيا نبى جالسين في الظلمة وظلال الموت ننتظر إشراق النور!!

وقد يُظن أن القيامة في حد ذاتها فكرة تجردية أو حالة خيالية أو حالة روحانية صرف تختص بالإدراك اللاشعوري، ولكن المسيح شجب هذا التحليل اللاإيماني، وذلك عندما قال لتلاميذه: «جسُوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي... أعندكم ههنا طعام؟... فأخذ وأكل قدامهم»!! (لوقا ٢٤: ٣٩-٤٣).

القيامة هنا أثبتها المسيح إثباتاً مدموفاً بالرؤيا وبالحواس جميعاً أنها قيامة جسدية باللحم والعظام وبكل مكونات الجسد، حتى الجروح التي في اليدين وطعنة الحربة النافذة في أعماق الجنب المفتوح بقيت على حالها تشهد كلها لنصرة القيامة فوق ضربات الموت!! يالسعادة الطبيعة البشرية، لقد انفتح أمامها باب الحياة الأبدية ودخل المسيح كسابق يحمل طبيعتنا المطعونة والمتجلية بهاء مجد الله ليورثها ملكوته، ملكوت القيامة والخلود والنور الأبدي.

إن فرحة التلاميذ لما رأوا معلمهم المحبوب قائماً من الأموات ناقضاً أوجاع الموت وآلامه كانت فرحة قوية وجارفة وملهمة لكل مشاعرهم وتفكيرهم، فقد اعتبروها أعظم «بشارة مفرحة» للعالم، والإنجيل الذي انطلقوا على أساسه يشهدون للمسيح في المسكونة كلها. وكان يحمل هذه البشارة أو محور الإنجيل كله أن المسيح هو «قيامتنا كلنا».

وما معنى أن المسيح «قيامتنا كلنا» ؟

«كلنا» هنا لا تفيد حتمية الخلاص للجميع ولكن تفيد «عمومية الهبة».

فهبة القيامة التي مُنحت للطبيعة البشرية بقيامة المسيح من الأموات هي هبة عامة، لكل إنسان الحق في قبولها لكي يصبح صاحب حق في قيامة المسيح، أو بمعنى آخر لكي تصبح قيامة المسيح الممجدة هي قيامته !

وعمومية هبة القيامة التي وهبها المسيح لنا «لأنك أنت هو قيامتنا كلنا» تضعنا أمام مسؤوليتين :

المسؤولية الأولى : أن أي إهمال من جانبنا في قبول قيامة المسيح في حياتنا كقيامة حقيقية لنا تضيّع علينا تلقائياً هذه الهبة العمومية بكل بركاتها وإنعاماتها . وهنا لا يصبح المسيح «قيامتنا» بل نصير لنا قيامة أخرى هي «قيامة الدينونة» .

أما المسؤولية الثانية : فهي أن أي إهمال أو تجاهل من طرفنا لـ «عمومية هبة القيامة» تجاه الآخرين ، فإن ذلك يسيء إلى حقيقة قيامة المسيح بالنسبة لنا نحن ، لأن المسيح «قيامتنا كلنا» . و«كلنا» هنا تحتم عليّ أن أفتش على قيامتي في قيامة أخي .

قيامتي ستظل ناقصة ومتضائلة حتى أستكملها بقيامة الآخرين .

قيامة المسيح ، مجدها وبهاؤها في كونها «قيامتنا كلنا» .

وحينما نبلغ إلى قيامة الآخرين معنا ، سندخل بالفعل في مجد قيامة المسيح .

ومجد المسيح سنحسه في كل جهد ، في كل دمة ، في كل تضحية ، في كل خسارة

نحتملها من أجل قيامة الآخرين معنا حتى يصبح المسيح «قيامتنا كلنا» .

(مايو ١٩٧٠)

وظهر لبطرس

«ياسيد إني أضع نفسي عنك!! إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً!! ولو اضطرت أن أموت معك لا أنكرك»!!! (مت ٢٦: ٣٣-٣٥، يوح ١٣: ٣٧).

«أجابه يسوع: أضع نفسك عني؟ الحق الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات»!! (يوح ١٣: ٣٨).

«فالت الجارية البوابة لبطرس: ألسنت أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟ فقال بطرس: لست أنا!... فأنكر قدام الجميع قائلاً: لست أدري ما تقولين! فقالوا له (لثاني مرة): ألسنت أنت أيضاً من تلاميذه؟؟

فأنكر بطرس وقال: لست أنا!! فأنكر أيضاً بقسم أني لست أعرف الرجل!! فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة (لثالث مرة): أما رأيتك أنا معه في البستان؟؟؟

فأنكر بطرس أيضاً، وابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل، وللوقت صاح الديك!!!

فتذكر بطرس كلام يسوع، أنك قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراراً» (مت ٢٦: ٦٩-٧٥، لوق ٢٢: ٥٦-٦٢، يوح ١٨: ١٧ و ٢٥-٢٧).

«وبعد القيامة» أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية» (يوح ١: ٢١).

«بعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس :

ياسمعان بن يونا أتعجني أكثر من هؤلاء؟ ... فقال له : نعم .

قال له ثانية : ياسمعان بن يونا أتعجني؟؟ فقال له : نعم .

قال له ثالثة : ياسمعان بن يونا أتعجني؟؟؟

فحزن بطرس (إذ تذكر إنكاره وجحوده لمحبة المسيح) وقال له : يارب أنت تعرف

كل شيء»! ... (يو ٢١: ١٥-١٧).

+++

إن شخصية المسيح حية موجودة قائمة دائماً، تعمل في القلوب التي تؤمن به وتثبت وجودها عند كل الذين يطلبونه، ولكنها شخصية غير متناهية في فعلها الإيجابي لا يتوقف عملها قط، لذلك فوجود المسيح لا يؤثر فيه الإنكار، وجحود الإنسان لشخصية المسيح لا يمنع قط سخاء عمله الدائم ومحبه للخطاة، فهو لا يزال دائماً أبداً يحب كل إنسان بل ومحب حتى المنكرين له والجاحدين إياه بل ويتودد إليهم أيضاً لعلمهم لا يخسرون نصيبهم الصالح .

لا يستطيع أحد بإنكاره للمسيح وجحوده لشخصيته أن يلغي وجود المسيح أو يحجز عمله، فشخصية المسيح طاعية بمحبها وتأثيرها . قد يمكن أن ينحجب المسيح قليلاً عن ذهن الإنسان بالشك أو العجرفة أو الخوف، ولكن يستحيل أن ينحجز المسيح عن تأثيره في القلب والضمير مهما كانت قسوة الإنسان وبغضته للمسيح وعناده، ولنا في بولس الرسول مثل من أعجب الأمثلة، لأن بغضة شاول وحقده على المسيح والمسيحيين بلغت أعنف صورة، فقد وصلت إلى حد القتل والتنكيل، ولكن هذا كله لم يمنع المسيح من أن يظهر له ويدعوه .

فشهادة المسيح لنفسه في قلب الإنسان لا يحجزها جحود الإنسان وعناده قط، فإذا استجاب لها الإنسان بشجاعة فإنه في الحال يتواجه مع المسيح وجهاً لوجه في القلب بيقين شديد إلى الدرجة التي يستحيل فيها أن يصمت عن الشهادة، وحينئذ قد يمكنه أن

ينكر أباه وأمه حتى نفسه إلا المسيح!...

قد ينساق الإنسان في لهوه واستهتاره وخوفه إلى إثارة المال أو الوظيفة أو الكرامة على المسيح، أو تفضيل عشق الوجوه أو القلوب أو الأجساد على المسيح، ويتمادى في استهتاره وإثارة حتى يقع في الإنكار والجحود، ولكن حتى وفي اللحظة التي يظن فيها ذلك الإنسان أنه قد انقطع فعلاً عن المسيح وتخلص منه بإنكاره وجحوده، و يظن العالم كله أيضاً ذلك، نجد المسيح لا يزال موجوداً يتكلم بالود في قلب ذلك الإنسان، يسهل له التوبة والعودة مستعظاً إياه بمجروحه وآلامه وصلبيه، و يظل يستعطفه ويمده بالرجاء عسى أن يقوم من سقطته ويعود إلى حضن أبوته ولا يبيع حياته ونصيبه الأبدي بأبخس الأثمان، واعدأ إياه بالمعونة وبالصفح الكلي والغفران.

هكذا يظل المسيح هنا على الأرض أميناً للإنسان حتى النهاية، حتى ولو جحد الإنسان أمانته للمسيح!... «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالخنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك...» (لو ٢٢: ٣١ و ٣٢).

قد يكون سهلاً على الإنسان أن ينكر المسيح بفمه حتى إلى ثلاث مرات مثل بطرس الرسول، ولكن عسير وعسير للغاية أن يستطيع أحد من الناس أن ينكر المسيح بالقلب. إن ذلك يكاد يكون مستحيلاً...، في اللحظة التي فيها يدخل الإنسان إلى أعماق قلبه بصدق وإخلاص يطلب برهان المسيح فإنه حتماً سيجد المسيح نفسه قائماً بمجروحه وصلبيه.

لذلك فلا قيمة إطلاقاً لإنكار المسيح مهما تمادى الإنسان في أقسامه، فالمسيح حقيقة أقوى من الإنكار وأقوى من الأقسام بل وأقوى من كيان الإنسان كله على الأرض، بل وأقوى من السماء والأرض: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت ١٨: ٥)!! قد ينكر الإنسان المسيح فينكر نفسه دون أن يدري. أما المسيح فهو يزداد يقيناً ووجوداً بالإنكار وبالشهادة سواء بسواء.

قد ينكر الإنسان الحق بفهمه مثل بطرس، ولكن يظل الحق موجوداً فيه يلاحق ضميره إلى الأبد، ولن يرتاح حتى يخرج خارجاً ويبكي بكاءً مرأً ليصالح الحق بضميره. قد ينكر الإنسان المسيح خوفاً على حياته أو مستقبله أو تحت ضغط حاجاته أو تورطاته أو شهواته أو طموحه، وقد يختم ويصم أنه لا مسيح ولا صليب ولا دينونة: «إني لست أعرف الرجل»... «وابتدأ يلعن ويحلف أنني لا أعرف الرجل...».

ولكن بعد أن يتم الإنكار تماماً، ولو إلى ثلاث مرات، وبعد أن يهدأ روع الإنسان ظاناً أنه قد أمّن وجوده وحياته وشهواته؛ يعود يطلب سلامه وراحة قلبه فيجد أنه لا سلام ولا راحة على الإطلاق، لأنه كيف يكون للإنسان راحة وسلام والحق مذبوح في قلبه بسكين جحوده؟

ولكن العجيب أن إنكار بطرس للمسيح ثلاث مرات علناً لم يمنع المسيح من أن يلتفت إليه وينظر في عينيه نظرة عتاب ومعها دعوة سرية في القلب للندم والعودة... بالهذه المسيح الذي لا ييأس قط من خلاص الإنسان حتى ولو بلغ إلى طين الشك أو وحل الإنكار والجحود، فالمسيح يتجاوز كل الإساءات التي تلحقه من لعن وشتيمة واستهزاء وإنكار في سبيل رجوع الخاطيء عن غيئه واستهتاره، هكذا تبدو نفس المسيح ليست عزيزة عنده مثل نفس الإنسان، وإن في هذا الأمر عجباً!!

فالذي أعاد بطرس إلى الإيمان ليس هو رجاء بطرس بقدر ما هو عدم يأس المسيح وإصراره على مؤازرة بطرس حتى لا يفنى إيمانه. والذي أبكى بطرس ليس هو جحوده بل هي نظرة إشفاق المسيح وحبه الذي لم يفن بجحود بطرس!

كان من السهل على بطرس أن ينكر المسيح لأن المسيح كان وقتذاك في حالة المذلة مقيد اليدين يحاكم أمام رؤساء الكهنة والولاة كمدنب، هنا تذلل المسيح أوعز لبطرس بالشك في ربوبية المسيح، فالموقف لا يوحي بعظمة ولا بربوبية، الملابس والحوادث كلها تضع المسيح في موضع التفاهة والذلة والعار: «إن كنت أنت ابن الله فانزل عن

الصليب» (مت ٢٧: ٤٠)، حتى عبد رئيس الكهنة لم يجد حرجاً ولا مانعاً من أن يلطم المسيح على وجهه! ... ولكنها أيام مجرد أيام ثلاثة تمر سريعاً والمسيح يقوم من بين الأموات بجلاله وجبروته الذاق و يظهر لبطرس مرة أخرى و ينظر إليه في عينيه نظرتة الأولى تماماً وكأنه يقول له: الآن، هل علمت يا بطرس من أنا ومن أنت؟

يا إخوة إن الكلام هولنا، فهي مجرد أيام طالت أو قصرت — ولكنها منذ الآن هي مقصورة — فالمسيح يأتي سريعاً بمجده ومجد أبيه مع ملائكته القديسين ينظر إلينا في عيوننا في قلوبنا في أعماقنا، لا ليعاتب فيا بعد بل ليدين ويحكم على الأرض كلها بالعدل، حيث لا يعود لظهوره مجال لشك أو إنكار أو جحود بل حينئذ يكون البكاء والنحيب على إنكار وخيانة وعلى حظ مفقود...

بطرس بكى في وقت ينفع فيه البكاء وندم في زمان ينفع فيه الندم، وعاد إلى الرب، فعاد الرب إليه وأحبه وشجعه وحيّاه: «وأنت متى رجعت ثبتت إخوتك» (لو ٢٢: ٣٢)، ولكن إذا فات الوقت فيماذا ينفع البكاء، وإذا عبر الزمان فما قيمة الندم؟

الآن هو الوقت المقبول واليوم هويوم الخلاص، فلنأت إليه ونعترف بخطيئتنا لينبت لنا عوض الشك يقين وعوض الإنكار اعتراف وعوض الجحود شهادة علنية، لأن المسيح لا يزال يشفع في ضعفنا حتى لا يفنى إيماننا.

يا إخوة انظروا وانتصخوا، ماذا دها بطرس لينكر سيده؟ إنه الخوف، الخوف من جارئة، الخوف من أنه يوشى به فيطرد من المجمع أو يفقد مكانته، إنه الخوف من المستقبل المجهول، الخوف مجرد الخوف جعله يحلف ويلعن ويجحد أنه لا يعرف المسيح!!

ولكن لماذا يدهم الخوف أشجع تلاميذ المسيح الذي أراد أن يكون الأول بينهم؟ الجواب خطير وديق! ذلك لأنه حاول أن يظهر أمام الناس أنه لا يتبع المسيح، أراد أن يتراءى أمام الناس أنه حر، أنه لا يتبع أحداً، أنه ليس ناصرياً ولا هو من الجليل،

فكانت النتيجة أن فارقه في الحال روح الشجاعة والشهادة والثبات فوقع في الخوف، والخوف يقود الإنسان إلى إنكار إيمانه وعقيدته وربّه بل وإلى إنكار الحق كله مع الإصرار والتجديف!...

ولكن ليس الخوف من الناس أو المستقبل هو وحده الذي يجبرنا إلى إنكار المسيح، فإنه يوجد للخوف في هذا المضمار منافس أقوى وأخطر وهو الشهوة، شهوة المال أو المجد الباطل أو الجنس الآخر.

فالشهوة إذا تملك قلب الإنسان وخصوصاً شهوة الجنس الآخر فإنها تفقده كل خصائص اتزانه ومنطقه وأجل أخلاقه بل وأعمق طباعه، فهو تحت وطأة الشهوة يصبح قادراً أن يبيع شرفه وكرامته وأعز أحيائه وكل أسرته حتى إلهه!!

فكم من امرأة وكم من رجل، تحت سيطرة شهوته جلس يكتب بيديه وثيقة جحوده وإنكاره لأبيه وأمه بل ولزوجته وأولاده بل ولمسيحه ربّه وإلهه!! ولكنها أيام مجرد أيام وتهتأ وطأة الشهوة ويخمد لهيبها في قلب الرجل أو المرأة لتترك مكانها دماراً في علاقته الأسرية وميراثه الأخلاقي والديني مع غصة ندم خانقة تطبق على عنق الإنسان وتلاحقه ليل نهار... ويزيد من وطأتها كل يوم واقع مرارة السعادة المزيفة الموهومة وحقيقة هوة الخيانة المروعة التي تردى فيها بحماقته...

وهكذا يقدم لنا الإنجيل في عتاب المسيح لبطرس بعد القيامة مباشرة درساً من أبلغ دروس الإيمان، حتى نتيقن أن كل حركة إيمانية بل كل كلمة نقولها الآن على المسيح هي محسوبة علينا بدقة وسوف نعطي عنها حساباً خطيراً عند ظهور الرب للدينونة، حينما تنكشف الأعمال وتُفحص أفكار القلوب ونيات الضمائر ونُحاسِب على ما زلف منا من قول أو عمل. أما الآن فلا تزال أمامنا فرصة حتى ولو كان قد تبقى لنا من العمر ساعة واحدة، أن نخرج مثل بطرس ونيكي بكاءً مرأً ونعود إلى حضن المسيح نادمين على كل تجديف أو إنكار أو خيانة، لكي ندخل مع بطرس في دائرة الصفح والغفران الإلهي

حسب وعد المسيح: «كل خطيئة وتجديف يُغفر للناس... ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له» (مر ٣: ٢٨، لو ١٢: ١٠). والمسيح عجيب في صفحه وغفرانه فهو لا يغفر الإساءة وحسب لمن أنكره وجذّف عليه بل ويتجاوزها ليدعو الذين أساءوا إليه إلى كرامة خدمته كرعاة مؤتمنين: «باسمعان بن يونا أتحنني... أرغ غنمي» (يو ١٥: ٢١).

ولكن ويل للإنسان الذي في خوفه أو في شهوته يستمرىء النكران والتجديف ويعيش ويموت في خطيئته، لأن نكرانه الوقتي سيرتد حينئذ عليه نكراناً أبدياً حسب إنذار المسيح: «من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (مت ١٠: ٣٣)، حيث ينضم نصيبه مع نصيب يهوذا الذي من أجل شهوة المال والغنى الوقتي باع المسيح وخنق نفسه فأصبحت حياته لعنة وموته عاراً أبدياً: «ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مر ١٤: ٢١).



يا إخوة انظروا لا تثنوا البار بثلاثين من الفضة.
يا إخوة لا تبيعوا خلاصكم الأبدي بشهوة جسد يزول ويفنى.
يا إخوة لا تقايضوا الملكوت بدرجة أو وظيفة أو كرامة عابرة.
في العالم سيكون لكم ضيق عظيم ولكن بصبركم تقتنون أنفسكم.
العالم وُضع تحت الشهوة وفي الشرير، فاغلبوه أنتم بدم الخروف وكلمة شهادتكم،
عمر الإنسان حتى ولو بلغ الثمانين فهو على قياس الأبدية مثل طرفة عين، فلا تبيعوا
نصيبكم الأبدي مع المسيح بعشرين سنة أو ثلاثين من متعة المال أو الأجساد. فالعالم
كله يمضي وشهوته، والأجساد تذوي والمال يزول، أما كلمة الله فتبقى إلى الأبد.
الرب متواضع وهو أمين ولا يزال يفتش عن الخروف الضال ويطلب ما قد هلك.
اطلبوه فهو قريب لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص.
(يونيو ١٩٧٠)

القيامة كحياة

أولاً — ما هي القيامة ؟ هي قوة حياة جديدة وُهِبَت للإنسان بقيامة المسيح لنحيا بها — كما يقول الكتاب — « لا لأنفسنا بل للذي مات من أجلنا وقام » .
إذن فالقيامة هي حياة في المسيح ، ومن أجل المسيح فقط .

ثانياً : ما هي علامات الإنسان الذي يحيا في ملء قيامة المسيح ؟

١ — أول علامة للإنسان الذي يعيش في قيامة المسيح حقاً ، هي أن يحب المسيح حباً لا يستطيع الموت أن يفصله عنه :

+ « من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف . كما هو مكتوب أننا من أجلك نُمات كل النهار . قد حُسبنا مثل غنم للذبح . ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحبنا . فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبل . ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » (١) .

٢ — ثانياً علامة ، هي أن يحب الإخوة حباً يتجاوز كل احتمالات حدود ظلمة الموت التي يبشها الشيطان في العلاقات مع الآخرين :
+ « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة » (٢) .

(١) روم ٨ : ٣٥ — ٣٩ .

(٢) ١ يوحنا ٤ : ١٩ .

وذلك ليس بالكلام والتصور ولكن من واقع الاختبار اليومي .

٣ _ ثالث علامة هي أن يرى « كل الأمور تعمل معاً للخير » (رو٨: ٢٨) !! لأن المنظار الذي ينظر به إلى كل الحوادث يصبح منظراً سماوياً .

ثالثاً: ما هي المصادر أو وسائط النعمة التي تُدخلنا إلى قيامة المسيح ؟

ثلاثة مصادر رئيسية تطل بنا على قيامة المسيح :

المصدر الأول : الإيمان التصديقي المطلق بكلام المسيح .

« ألم أقل لك إن أمنت ترين مجد الله . أنا هو القيامة والحياة . من آمن

بي ولومات فسيحيا ومن كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد »

(يو١١: ٢٥ و ٢٦) .

المصدر الثاني : الإشتراك السري البسيط في موت وقيامة المسيح في المعمودية

والإفخارستيا . حيث نُدَقِّن معه ونقوم معه بسر يفوق العقل .

المصدر الثالث : الجهاد النسكي بحمل الصليب وعبور الموت كل يوم بالإرادة الواعية

تجاه كل الآلام . لأن شركة الآلام والموت مع المسيح تنشئ شركة

قيامة ومجد معه كوعد صادق أمين مختبر .

□

أولاً : المصدر الأول للقيامة

القيامة أولاً تكون بالإيمان بكلام المسيح كما هو مكتوب : « الإيمان بالخبر والخبر

بكلمة الله » (٣) .

« لكن ليس الجميع أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول يارب من صدَّق خبرنا .

ولن استعلن ذراع الرب » (٤) .

(٣) رو١٠: ١٧ .

(٤) رو١٠: ١٦ ، يو١٢: ٣٨ .

هنا الكلمة، أي (الإنجيل)، هي المصدر الأول والأساسي الذي نأخذ منه مباشرة قوة قيامة المسيح حينما تبلغ الكلمة إلى مستوى الإيمان، أي التصديق القلبي المطلق، فترتفع المعرفة إلى مستوى الإلهام، كما هو واضح من الآية « من صدّق خبرنا ولن استُعِلِّنت ذراع الرب ». وفي الإلهام تنسكب القيامة كقوة سرية وكروح وحياة، لأن كلمة الله هي مجد ذاتها قوة « لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والنخاع ومميزة أفكار القلب ونياته » (٥).

وهي أيضاً روح وحياة « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (٦).

وينبغي أن لا يتوه عن بالنا أن بكلمة الله تم الخلق الأول، وبالمسيح وبكلمة المسيح يتم الخلق الثاني بالقيامة. وهنا ينبغي أن نتذكّر قيامة ابنة يائرس وإبن أرملة ناين ولعازر، بكلمة المسيح.

والمسيح يشدد على ضرورة تصديق كلامه تصديقاً مطلقاً حتى تتم القيامة. « ألم أقل لك إن آمنتَ ترين مجد الله؟ أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد، أتؤمنين بهذا؟ » (٧).

المواقف الإنجيلية التي تلهم الإيمان بالقيامة:

القيامة كانت هي مركز البشارة الأولى التي اعتمد عليها كافة المبشرين في العهد الجديد من رسل وتلاميذ ووعاظ منذ أول الكرازة. وكانت قيامة الرب هي المنطلق الأساسي الذي بُني عليه الإيمان المسيحي كله، فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالقيامة، والمسيح هو إبن الله لأنه قام من الأموات بسلطانه الإلهي « وتعيّن إبن الله بقوة من جهة

(٥) عب ١٢: ٤.

(٦) يو ٦: ٦٣.

(٧) يو ١١: ٢٥ و٢٦.

روح القداسة بالقيامة من الأموات» (٨).

ونجد المسيح يشدد جداً على الإيمان بقيامته ، فنجد يوحنا تلميذي عمواس بشدة لعدم إيمانهم بقيامة الرب لما وصلهم الخبر، فالمسيح كان يفترض ولا يزال أنه بمجرد أن نسمع الخبر بقيامته نؤمن في الحال : « فقال لها أيها الغيبان والبطيخا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » (٩). كذلك فعل بتلاميذه إذ عثفهم أيضاً بشدة بسبب عدم تصديقهم القيامة « أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووثج عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » (١٠).

وإن كان المسيح يوثج تلاميذه بشدة على عدم إيمانهم ، فذلك ليس فقط لأنه سبق قبل موته وأشار إلى قيامته في مواقف عديدة ، بل أيضاً لأن قيامته كانت تتناسب مع سلطانه ولاهوته وكل أقواله وأعماله السابقة ، فهو لم يقم عفواً أو صدفة أو كأنه بدون ترتيب سابق ؛ ولكن كانت قيامته بقوة تتناسب مع حياته السالفة ، فالمسيح يطالبنا بالإيمان بقيامته لأنها — أي القيامة — هي أولاً استعلان لمنتهى سلطانه وقوته ومجده والوهيته ، وثانياً لأنها حياتنا الجديدة فيه التي وهبت لنا يوم قيامته ، وقد سبق وأخبر بها بكل تفاصيلها ، وأمر تلاميذه أن ينتظروها لأنها لهم : « قد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون » (١١) ، « بعد قليل لا يراني العالم أيضاً (ثانياً) وأما أنتم فترونني : أني أنا حي ، فأنتم ستحيون ! » (١٢). وقد ظهر المسيح فعلاً وأظهر نفسه لتلاميذه .

+ والإنجيل يشهد لقيامة المسيح بشدة ، فهو يسجل ظهور المسيح بعد القيامة عشر

(٨) روم ٤ : ٤ .

(٩) لوقا ٢٤ : ٢٥ .

(١٠) مر ١٦ : ٦٤ .

(١١) يوحنا ١٤ : ٢٩ .

(١٢) يوحنا ١٤ : ١٩ .

مرات مذكورة في مواضع متفرقة، في الأربعة أناجيل وفي رسالة كورنثوس الأولى، التي يُسجّل فيها بولس الرسول هذه القيامة بتأكيد شديد وواضح، كشريك فيها وشاهد عيان، سواء برؤية المسيح القائم من الأموات وهو في صميم الوعي واليقظة في منتصف النهار، أو ببرهان الروح والقوة وعمل القيامة السري الذي ناله في كيانه البشري الجديد!!

— «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلّصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للإثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا» (١٣).

وشهادة بولس الرسول بقيامة المسيح تأتي قوية وفي أعلى قمة لجميع الشهادات لأن بولس كان مضطهداً للمسيح وكان يجذّف عليه وكان يشهد ضده وكان يقتل الذين ينادون بقيامته، ثم لأن شهادته جاءت بعد قيامة المسيح بخمس سنوات، ثم لأن شهادته لم تأت على المستوى التاريخي كمُسجّل لرؤيا أو حادثة فقط، بل كإنسان حصل على قوة هذه القيامة في نفسه، في عقله، في جسده، وفي روحه جميعاً. وبعد هذا كله نجد شهادة بولس الرسول مع شهادة بقية الرسل يدعمها استعدادهم جميعاً للتمسك بها حتى أمام رعبة التهديد بالموت. وقد تعذبوا فعلاً وسُجنوا وماتوا أشنع المיתات، ولم تفارق فهم قط الشهادة بقيامة المسيح من الأموات.

ثانياً : المصدر الثاني للقيامة

القيامة قوة سرية

نُمنح لنا في المعمودية والإفخارستيا :

نحن نؤمن بقيامة المسيح لا كحادثة تخص المسيح وحده بل تخصنا نحن أيضاً وبالدرجة الأولى . فالمسيح قام من أجلنا ، بل أنه قام بنا كما يقول بولس الرسول : « أقامنا معه ... » . فإيماننا بقيامة المسيح هو هو بعينه اشتراك لنا ضمنى في قيامته . فالمسيح مات من أجلنا وبجسدنا لكي لا يكون للموت سلطان علينا ولا يُحسب كعقوبة لنا فيما بعد ، بل يكون واسطة وطريقاً للقيامة والحياة الأبدية !

لذلك أصبحت قيامة الرب من بين الأموات تحمل في قوتها ومفعولها حياة جديدة أو ميلاداً آخر للبشرية ، كما يقول بطرس الرسول : « ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١٤) . ومن هذه الآية يتضح تماماً أن قيامة المسيح من الأموات لم تكن حالة خاصة لنفسه ، بل كانت عملاً إلهياً شاملاً يشمل البشرية كلها ، كلُّ من يؤمن : فالمسيح ولدنا ثانية بالقيامة ، فصرنا بحسب تعبير الإنجيل « أبناء القيامة » . أي أبناء عدم الموت ، لا يسود علينا الموت بعد : « ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزَوِّجون ولا يتزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة . » (١٥)

وهكذا يتضح لنا كيف صار المسيح آدم الثاني الذي بموته وقيامته من الأموات ولدنا ثانية للحياة الأبدية .

المعمودية تعطي القوة الكامنة للقيامة :

لكي يتم لنا هذا الميلاد الثاني كما وعد به المسيح لنيقوديموس وضع لنا المسيح بعد أن نؤمن بالكلمة أن نولد من جسده السري الحي ميلاداً روحياً من الماء والروح بواسطة

(١٤) ١ بط ١: ٣ .

(١٥) لو ٢٠: ٣٥ و ٣٦ .

المعمودية بعمل الروح القدس ، واهتم المسيح بهذا الإجراء السري اهتماماً كبيراً خصوصاً بعد القيامة كما نراه في نهاية كل إنجيل لأنه حينما نولد من جسد المسيح السري نصير في الحال أبناء الله الحي ، أبناء قيامة ، أبناء الصليب والدم والقبر الفارغ فلا يسود علينا الموت بعد ، أو كما يقول المسيح نفسه : « لا يستطيعون أن يموتوا » !!

إذن نحن نأخذ قوة القيامة في المعمودية عندما نجوز دفن الماء ، ولكنها تظل قوة قيامة غير ظاهرة وغير مبرهنة إلى أن يتم عملها بالسلوك الروحي في جدة الحياة . كالطفل الذي يولد وله طبيعة المشي والوقوف على قدميه ، ولكنه يظل فاقداً لفعلها حتى ينمو ويتقوى .

الإفخارستيا تعطي القيامة كحالة ثبوت متبادل :

في الإفخارستيا تبتدىء القيامة تأخذ أوضح صورة لها ، فنحن هنا نأكل الجسد السري فنأكل الحياة التي فيه ، أي نأكل القيامة ، وهذا التعبير تتضح قوته حينما نعلم أن الأكل يتم على مستويين : مستوى حي ظاهري ، حيث مادة السر الخبز والخمر — ومستوى روحي إيماني غير منظور حيث نأكل الجسد الإلهي والدم الإلهي اللذين هما مأكلٌ حقٌّ ومشربٌ حقٌّ ، والحق هنا أي « الأليشيا » ἡ ἀλήθεια شيء يفوق الحواس و يفوق حدود العقل . « الأليشيا » هنا هي المسيح نفسه « أنا هو الحق » !!

إذن ، ففي الإفخارستيا نحن نأكل المسيح ، نأكل المسيح القائم من بين الأموات كجسد روحاني يؤكل بالروح كما يؤكل الحق . نأكله ونشربه ونتحد به كما نأكل الخبز والخمر فيصيرا فينا قوة وحرارة لاستمرار الحياة الجسدية !!

نحن نأكل في الإفخارستيا القيامة كقوة تسري في أرواحنا فتتمدها بالحرارة الروحية ، بالنور ، بالقداسة ، بالطهر ، وبكل ما هو لازم للحياة الأبدية ولمسيرة بني القيامة والمللكوت .

كلما نأكل من خبز الإفخارستيا ونشرب من كأسها نثبت في قيامة المسيح ونثبت

قيامه المسيح فينا يوماً بعد يوم لنكمل مشيئة الآب كأبناء للقيامه .

فالإفخارستيا هي غذاء القيامه ودواء الخلود الذي يشفي كل أسقام بني الموت ، هي عشاء بني العرس المدعوين منذ الآن لعشاء الخروف في الأبدية السعيدة .

ثالثاً : المصدر الثالث للقيامه

القيامه في الجهاد النسكي :

نحن مدعوون لحمل الصليب قبل أن نكون مدعوين لمجد القيامه ، لا كثقل أو عقاب أو كفارة أو تأديب ، ولكن كطريق رسمي للقيامه ، فالقيامه تبدأ من جثسيماني حيث السجود المتواصل والعرق المتصبب كالدم والكآبة ورعية الإحساس بقرب الموت ، ثم من جثسيماني إلى الجلجثة عبر حنان وقيافا وبيلاطس ، حيث الهزء والفضيحة ثم الموت ثم القبر ، وبعد ذلك يزهر الصليب وتخرج من القيامه أشهى ثمرة ذاقها الإنسان !

سبق لنا في المصدر الأول أن دُفنا القيامه في الإيمان بالكلمة التي تفتح الذهن ، فيستلهم نور القيامه المبهجة ، حيث فرحة الذهن التي ترفعه إلى الخلود والملكوت .
ثم في المصدر الثاني دُفنا أيضاً القيامه في سري المعمودية والإفخارستيا كماء للحياة وكطعام الحق الذي كل من يأكل منه لا يموت إلى الأبد . لذة سهلة تتجدد لنا كل يوم على المذبح .

ولكننا نحن هنا مدعوون لنذوق القيامه في صميم مرارة الألم والحزن والضيق ذوقاً محققاً وبديعاً ، كما كان المسيح يذوق الآلام والمظالم والخيانة فيستطعم فيها جميعاً بعد مرارة الموت لذة القيامه وإحساسها المبهج والفائق للوصف ، يستشفها من بعد غصة الألم .

نحن مدعوون أن نستشف طعم القيامه من وراء كل مرارة للألم والضيق ومن وراء إنكار الذات والجهد المبذول حباً للمسيح والإخوة .

المسيح حينما كان يعبر جثسيماني متقدماً نحو الجلجثة ، كان منظر فجر اليوم الثالث أمام عينيه ، وكان منظر جبل الزيتون حيث الصعود الأخير واضحاً جد الوضوح ، لأن إحساس القيامة لم يفارقه .

كان إحساس القيامة عند المسيح سابقاً على الألم ، فكان يجعل الألم مقبولاً لديه بل ولذيذاً « الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها ؟ !! »

وهكذا أعطانا المسيح سر القيامة سابقاً على الآلام أيضاً ليس فقط لنعبر به الآلام كما عبر هو ، بل وليزداد ويتضاعف لنا الإحساس بالقيامة وقوتها من خلال الآلام ومرارتها .

كل ألم نعبره ينشئ فينا إحساساً بالقيامة بقدر ما يحمل في طياته من مرارة وحزن وضيق ، بل إن القيامة لا تُستعلن في الآلام والضيقات إلا بقدر ما يزداد ضغطها وتنفوخ منها رائحة الموت !!

وبذلك قد صارت لنا قيامة المسيح أقوى سند نستند عليه حتى نعبر كافة الآلام والضيقات ، كما أصبحت الآلام والضيقات بجد ذاتها أقوى واسطة عملية نختبرها بأنفسنا كل يوم لنعبر بها من الموت إلى القيامة .

وإن كان الإيمان بالكلمة يُعتبر المصدر الأول والأساسي للانفتاح على حقيقة القيامة ؛

وإن كان سر المعمودية والإفخارستيا يُعتبران المصدر الثاني السري لقبول القيامة كفعل حي ؛

فالآلام ستظل هي المصدر اليومي لسر القيامة وأجادها الذي يشرب منه الناسك النشيط بلا شعب حتى النهاية .

(مايو ١٩٧٢)

أين شوكتك ياموت أين غلبتْك ياهواية

منذ أن سقط آدم ، والموت هو عدو الإنسان الكبير، فإِنْ كان للإنسان أعداء كثيرون بسبب الخطيئة ، ولكن الموت كان دائماً أشدها سطوة وبأساً على نفسية الإنسان ... هذه الحقيقة واجهها الإنسان طول حياته بجزع شديد مع خوف دائم ورعبة . وقد عبّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين بقوله : « الذين خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً ، كل حياتهم تحت العبودية » (١) .

أي أن الإنسان من شدة واستمرار خوفه من الموت ، أصبح عبداً لهذا الخوف ، لأنّ الخوف الشديد والمستمر من أي شيء ، ينشئ حالة عبودية له ، مع شعور بالعجز والمذلة !! هكذا عايش الإنسان الموت بهذا الإحساس من الخوف والمذلة كل أيام حياته حتى مجيء المسيح .

ولكن هل ترك الله الإنسان هكذا بدون شاهد على إمكانية غلبة الموت وتخطي سلطانه ، في الأزمنة السالفة ؟

(١) عب ٢ : ١٥

مواقف غلبة الموت في العهد القديم :

١ — إن أول نصرة حازها الإنسان ضد الموت بصورة حاسمة ملموسة كانت على يد أخنوخ بشهادة الكتاب المقدس : « وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (٢) . ولكن لم تكن هذه النصرة الباهرة لأخنوخ ضد الموت جزافاً ، فقد أثبت جدارة أمام الله ، كافأه الله عليها علانية ، إذ يقول بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين : « بالإيمان نُقل أخنوخ لكسي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أَرْضَى الله » (٣) .

لأنه إن كان آدم بسبب عصيان الله قد وقع تحت سلطان الموت ، فأخنوخ بسبب إرضاء الله كان أول إنسان بعد آدم يهزم الموت ويطأه بقدميه ويرتفع إلى السماء حياً ، وذلك شهادة على قوة إرضاء الله ومقدرتها على فك الإنسان من عبودية الموت والخوف منه !! الله أراد بنقل أخنوخ إلى السماء حياً ، أن يخلخل من سلطان الموت ورعبته من إحساس الإنسان وضميره .

٢ — أما الموقف الثاني الذي تحدى فيه الإنسان الموت على مستوى الشعب بأكمله ، فكان في مصر ، حينما أطاع الشعب أمر الله على فم موسى بذبح خروف الفصح ، ووضع الدم على الأبواب في وجه الملاك المهلك أي ملاك الموت ، الذي لما رآه الملاك تراجع ... وهذا الدم ، وإن كان الشعب لم يدرك معناه العميق والبعيد ، إلا أن ملاك الموت ، الذي هو أيضاً ملاك الدم ، كان يدرك السر الذي وراء دم خروف الفصح ، حتى أنه ارتعب من مجرد الإقتراب نحو الباب الذي مُسح به ... إذ أنه ليس بلا معنى قول سفر الرؤيا عن سر الخروف الذي دُبِح في مصر هكذا : « ... ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً » (٤) .

(٢) تك ٥ : ٢٤

(٣) عب ١١ : ٥

(٤) رؤ ١١ : ٨

أي أنه كان معلوماً لدى كل الخليقة الأخرى العلاقة السرية بين دم الفصح الذي فدى شعب إسرائيل ونجّاه من يد الملاك المهلك في مصر، وبين الدم الذي فدى العالم كله ونجّاه من يد الذي له سلطان الموت أي إبليس .

ولكن هذه النصرّة الثّانية على الموت، التي جازها الإنسان على مستوى شعب بأكمله، لم تكن أيضاً جزافاً، بل نظير طاعة حرفية لوصية الله التي أمر بها الشعب على فم موسى .

أما الإنطباع البعيد الأثر الذي نستشفه من تراجع ملاك الموت إزاء خروف الفصح، فهو بداية تقهقر وانكسار لسلطان الموت عن الإنسان .

مواقف أخرى عديدة :

وبين نصرّة أخنوخ على الموت بواسطة إرضاء الله، ونصرّة شعب إسرائيل بأجمعه على الملاك المهلك بواسطة طاعة وصية الله، توجد أمثلة عديدة لنصرات كثيرة ومتوالية، فردية وشعبية، على الموت، سواء إزاء وحوش أو حوادث أو حروب أو أمراض أو كوارث، امتدت فيها جميعاً يد الله وانتشلت الإنسان من موت محقق، مثل : داود من فم الدب والأسد ومن سيف جليات الجبار، وإيليا من يد إيزابل والأنبياء الكذبة، ثم صعود إيليا إلى السماء في موكب سمائي مهيب بمركبة نارية وخيول شاروبيمية أرسلت من السماء خصيصاً لنقل إيليا حياً بجسده، كأعظم نصرّة على الموت، شاهدها الإنسان بجسده عياناً، كان إيليا فيها بسبب سيرته النارية في النسك والزهد والبتولية، مندوباً فوق العادة عن البشرية لسبق تذوق إمكانية غلبة الموت وتحطّيه، في عظمة فائقة وتكريم سمائي كعربون لما سيحقّقه الرب يسوع لنا جميعاً .

كذلك في موقف إيليشع النبي الذي بواسطة حفنة دقيق، نجده يتحدى سم الموت الكائن في القدر، والذي سرى في أجسام ضيوفه بسبب الأكل من قثاء بريّ سام . هنا نجد نصرّة علنية فوق الموت سببها معروف، وهو طاعة إيليشع الفائقة لإيليا، التي تحقّق

فيها قول الإنجيل : « من يقبل نبياً باسم نبي ، فأجر نبي يأخذ » (مت ١٠ : ٤١) . وهكذا نال إليشع أجر إيليا تماماً ، لا عن جهاد شخصي بالدرجة الأولى ، بل عن طاعة لروح النبوة التي كان يحملها إيليا من الله !!

والفتية الثلاثة وهم في وسط أتون النار المحمية وألسنتها صاعدة ٤٩ ذراعاً كأنها فوهة بركان ، وقد وقفوا معاً يسبحون الله في تحدٍّ للموت وجبرؤوت النار التي تمثل أربع صورة لسلطان الموت على الإنسان ... هذه النصرة الرائعة نالها الإنسان بسبب أمانته في الشهادة لعبادة الله . كذلك نقرأ عن دانيال كيف شاهد يد الله وهي تسد أفواه الأسود عنه ، فوقفَت الأسود أمامه صامته حائرة ، وهي تكاد يحققها الجوع ... وكان هذا تعبيراً عن انكسار سطوة الموت عن الإنسان الذي يمثله دانيال ، الذي استطاع ذلك بصلاته ثلاث مرات كل يوم ، يصلحها من غُلَيْتِه وكواه مفتوحة ، شهادة لله الحي الذي كان يعبد بـروحِه وصدق قلبه ، لا عن مظهر ولا عن تحدٍّ ...

وأخيراً في موقف بولس الرسول وهو يُحفظ مرات كثيرة من الموت ، ويجوز كل أخطاره من سيول ولصوص وغرق ومكايد ورجم وسم الأفعى التي أنشبت في يده أسنانها ولم يضره شيء ... كل هذا ليتم فيه وعد الرب إزاء أمانة الكرازة باسمه ، إلى أن يتم سعيه و يلبس إكليله ...

كل هذه النصرات الكبيرة والكثيرة جداً في العهد القديم والجديد ، تكشف لنا عن مقدار القوة المذخرة لنا ضد الموت في صميم خلقتنا الأولى وما أضيف إليها من مواهب الخلقة الجديدة الروحية .

صحيح أن « آخر عدو يبطل هو الموت » (°) ، ولكن الله سبق وأبطله عنا مرات كثيرة في الماضي حتى يحرر الإنسان جزئياً من قيود عبوديته وحتمية الخوف منه .

الخطية والموت :

كان هذا كله في الماضي ، لأنه بسبب الخطية حلت لعنة الموت وملكت على الأرض كلها ، الموت يسود الأرض ! ليس حيي على الأرض إلا ويموت ، الموت يوجد خارجنا ويوجد داخلنا . « الموت مَلَكٌ على الجميع » كما يقول الكتاب في رسالة رومية : « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ... قد ملك الموت !! » (٦).

ولأن الخطية التي هي أصلاً من مشورة إبليس ، كانت ولا زالت هي السبب في الموت ، صار يقيناً عندنا أن سلطان الموت هو في يد إبليس .

وهكذا صار معلوماً أيضاً بيقين أقوى وأشد أنه لن يُنقذ الإنسان من سلطان الموت ، إلا إذا أُنقذ من سلطان الخطية ... لهذا نزل ابن الله من السماء وأخذ جسدنا بلا خطيئة وعاش بلا خطيئة ، فتحرر جسدنا بالتالي من سلطان الموت ، ولكن لكي يبيد الموت من جسدنا ، كان لابد أن يموت ويقوم فيحطم قوته وسلطانه ، ويبدد رعبه الخوف منه إلى الأبد ، وهكذا بالموت داس المسيح الموت عنا ، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية .

وهكذا أيضاً لما أبطل سلطان الموت أبطل بالتالي من له سلطان الموت أي إبليس : « فإذ تشارك الأولاد في اللحم والدم ، اشترك هو أيضاً كذلك فيها ، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (٧).

الآن مشيئة الله قد صارت لكل إنسان أن يختبر ويدوق الإنتصار على الموت ! أما الإنتصار على شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، وأما الإنتصار على إغراءات

(٦) روم ٥ : ١٢ و ١٤

(٧) عب ٢ : ١٤ و ١٥

الشیطان في هذا جميعه وكل أنواع الخطايا، فأمر مهم غاية الأهمية ولازم غاية اللزوم. ولكن تظل هذه النصرة كلها ضعيفة متوقعة ناقصة جداً حتى تكمل خبرة الإنسان في الانتصار على عبودية الموت والخوف من الموت ! لأن أعداء الإنسان حقاً كثيرون: الجسد والعالم والشیطان، ولكن الموت أخطرهم والخوف من الموت ألعنهم جميعاً. فإذا انتصرنا على الجميع وأبقينا على هذا العدو الأخير الذي هو الموت، أو تجاهلنا وجوده وتعامينا عن حالة الخوف منه الرابضة في أعماق كيان الذهن والضمير والتفكير، فإن كل نصرتنا المزعومة تبقى مزعزة قابلة للنكسة والإنقلاب. لأنه حينما يظهر فجأة عنصر الموت أمامنا ويهددنا بأية وسيلة وعلى يد أي إنسان، حينئذ يبدأ عامل الخوف من الموت يسود على كل الكيان، ويبدأ الإنسان بسبب صغر النفس ينكر منهج الفضيلة، ويوجد الإيمان والأمانة في لحظة في طرفة عين، ويستفيق وإذا هو مغلوب منهمر أشرا انهزام.

لذلك حينما يقول الكتاب: «آخر عدو يبطل هو الموت»، فهو يقصد ليس فقط عامل الزمن، بل وأيضاً يكشف ضمناً عن عنصر الخطورة الكامنة في هذا العدو الجبار الخبيث، وتفوق هذه الخطورة على كل ما عداها في كافة أعداء الإنسان الآخرين، بل ويشير الكتاب بذلك أيضاً إلى أهمية هذا العدو وقدرته على التربص في قلب الإنسان واختفائه وراء كافة الأعداء الآخرين !!

فإذا تركنا هذا العدو رابضاً في داخل القلب تحيط به هالته الكاذبة من الرعبة والخوف، يصبح كل جهادنا مهدداً وفي خطر.

الرب بإقامته لعازر بعد أربعة أيام من موته وبعد أن أتت جسده في القبر، فضح جبرؤوت الموت وهتك سلطانه علناً أمام الناس، وجرده من كل سطوته وحتميته؛ نثر اللحم والدم جعله خرافة، ورائحته الكريهة جعلها كالحلم الكاذب؛ نفص الدود عن اللحم المهرأ، وأقام الأعضاء المفككة غضة نابضة بالحياة ونشاطها؛ هذا كله يعتبر حقاً عربون النصرة على الموت الذي سلمه لنا تمهيداً لما هو مزعم أن يعمل في أجسادنا جميعاً الذي عمله هو في جسده أولاً لتكون القيامة حقاً أبدياً لنا.

قيامة لعازر من الموت حياً بعد أن أكملوا كل مراسم الموت والدفن من بكاء ودموع ورثاء وعزاء ومواساة حتى إلى اليوم الرابع، كفيلة حقاً أن تبدد من مشاعرنا حتمية الموت التي طغت على وجداننا وترسخت فينا، وكأن الموت لا راداً لقضائه .

لنلاحظ جميعنا أن الرب أقام لعازر من الموت قبيل موته هو مباشرة ليثبت لنا أنه وإن مات فهو سيد الموت، وإن قام فهو رب القيامة القادر بقوته وسلطانه أن يلغي الموت ويطأه لا بقيامته هو فحسب بل وبكلمة واحدة من فمه «لعازر هلم خارجاً» !!

لقد سبق المسيح أن قال لمرثا: «أنا هو القيامة والحياة» !! «من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥ و٢٦). إن سر المسيح والمسيحية يتركز في هذه الآية بقوة وإلهام، فالمسيح هو الحياة الأبدية؛ فن ذا الذي يسكن بالحياة ويموت؟ ألم يقل المسيح بوضوح: «من يأكلني يحيا بي» (يو ٦: ٥٧) !!

وليكن معلوماً وعن يقين أن كل ما تبقي للموت ليسود عليه فينا من بعد قيامة المسيح، هو ما فينا من تراب فقط، حيث يعود التراب إلى التراب الذي أخذ منه. أما نحن الأحياء الآن بالروح، ونفوسنا الحية في المسيح والمخلوقة بالروح جديداً على صورة خالقها، فهذه لا نصيب للموت عليها البتة. هذه لن يحتويها قبر، ولن ترى ظلمة القبر أبداً، بل من نور إلى نور تنطلق، ومن مجد إلى مجد تنتقل !!

الخطورة الآن قائمة في أن يستولي الخوف من الموت على ما ليس له فينا، الخطورة كل الخطورة أن يدخل الخوف من الموت إلى نفوسنا الحية ويطغى منها شعلة النور أي الإيمان بالقيامة وبالمسيح القائم عنا ولنا وبنا، فيزيح روح الحياة من نفوسنا ويستوطن الموت في قلبنا كحالة خوف وهمي من عدو مقتول !!

المسيح أبطل الموت عن نفس الإنسان وأحل محله روح القيامة، وروح القيامة هو الذي سيقم جسداً أيضاً من بعد فساد، ويجعله على صورة النفس في البهاء والمجد كالمسيح، لأن الكتاب يقول بغاية الوضوح: «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا،

ليكون على صورة جسد مجده»^(٨). الموت له سلطان الآن على التراب الذي في جسدنا ، أي الجزء الميت فينا ، ولكن لا سلطان له أبداً على الروح أو النفس التي في جسدنا ، لأن المسيح يملأ الجسد كهيكل له ، والنفس له عروس ، والروح هي أصلاً من نفخة الله .

الهيكل الترابي المناسب فقط للأرض ، ينحل بالموت ، لكي يتسنى لله أن يعيد بناءه بدون خطية لكي يناسب السماء ، وذلك بواسطة المسيح الذي يجدد خلقته على صورته في المجد والكرامة .

الخوف من الموت وقيامة المسيح :

إذن فالخوف من الموت الآن أصبح بالنسبة للإنسان الذي يؤمن بقيامة المسيح ، بمثابة تهديد مباشر بانقلاب روح القيامة ونحويلها إلى عمل عاجز فاقد قدرته على إعطائنا روح المسيح وحياة المسيح : « لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم ، أنتم بعد في خطاياكم ، إذ الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا »^(٩).

وهكذا يقف الخوف من الموت مساوياً لإنكار القيامة ، إن لم يكن بالفهم ، فبجزع القلب وصغر النفس وانهماز الإرادة ، حيث تنحل قوة النفس ، فيضيع رجاؤها هباءً ، وتعيش الروح في شبه ظلام ! ... بل وأكثر من ذلك ، لأن الآية السابقة تشير إلى أن فقدان الإحساس بالقيامة ، يساوي البقاء في حالة الخطية !!

لذلك يُعتبر الموت والخوف من الموت أخطر عدو لنا الآن ، مع أنه مقتول وغير موجود ، وقد أبطله المسيح بموته وقيامته ، وأفقده كل سلطانه ، وعزله تماماً عن الإنسان المولود من الله !! « لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس »^(١٠).

(٨) في ٣ : ٢١

(٩) ١ كو ١٥ : ١٦ - ١٨

(١٠) عب ٢ : ١٤

المسيح الآن يملك في أولاد الله بروح الحياة ، عوض الموت ومن كان له سلطان الموت أي إبليس الذي كان يملك على كل إنسان . وبذلك أصبح الخوف من الموت يشير إلى أن المسيح لم يملك بعد كما ينبغي على كيان الإنسان نفسياً وروحياً ، وهذا أمر خطير للغاية . نحن الآن موضوعون لنأخذ النعمة من الله للحياة بالمسيح يسوع ، عوض الخوف من الموت الذي كان بسبب الخطية .

والكتاب يشدد جداً في مواضع كثيرة على أن عمل النعمة وعطية البر المجاني من الله بالمسيح أقوى جداً من عمل الخطية وسلطان الموت والخوف من الموت : « لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح ... ولكن حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً ، حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » (١١) .

والذي يفوت على كثيرين هو أن بولس الرسول يشدد دائماً على أنه كما سقينا الخطية عن طريق الجسد كميراث محزن من آدم انتهى بالموت ، هكذا سقينا النعمة مجاناً عن طريق الروح كميراث مفرح جداً من المسيح انتهى بالحياة الأبدية . ولكن كما أن الخطية لا تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي ، كذلك فنعمة المسيح لا يمكن أن تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي . والذي تملك عليه النعمة ، يستحيل أن يملك عليه الموت أو الخوف من الموت ! ...

وهكذا واضح غاية الوضوح أنه كما أن الخوف من الموت هو نتيجة مباشرة لفعل انتهى بالخطية ، هكذا الثقة بالحياة الأبدية هي نتيجة مباشرة لفعل انتهى برضاء الله وسكنى النعمة : « لأن أجرة الخطية هي موت ، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (١٢) . لأنه كما تقف النعمة في مواجهة الخطية ، هكذا تقف الحياة الأبدية

(١١) روم : ٥ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١

(١٢) روم : ٦ : ٢٣

في مواجهة الموت . وكما يقف الخوف من الموت كعثرة عظمى في وجه الإنسان السائر في طريق الله ، كذلك تماماً يقف الفرع بالمسيح وبهجة القيامة كقوة فائقة ترفع إرادة الإنسان وإحساسه وفكره وضميره وكل كيانه فوق الموت والخوف من الموت .

وليس عبثاً ما ينهنا بخصوصه بولس الرسول من جهة أن المسيح الآن لا يمكن أن يسود عليه الموت ، لأنه بهذا يعمق وعينا بأن صلتنا بالمسيح تمنع عنا منعاً باتاً الخوف من الموت لأننا نعيش الآن مع المسيح الحي ، ونحن سنكمل هذه الحياة معه إلى الأبد بدون انقطاع : «لأني أنا حي فأنتم ستحيون» (١٣) . الموت لم يعد يستطيع قط أن يفصلنا عن الحياة التي في المسيح التي فينا الآن : «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت !!» (١٤) . إن هذه الحقائق الإيمانية ينبغي أن تأخذ طريقها داخل شعورنا وإحساسنا ، ليس النفسي والفكري فحسب بل والجسدي أيضاً . لأن الحياة الأبدية التي منحها لنا الله سوف تشمل حتماً وأكيداً هذا الجسد أيضاً . لأنه معروف أن المسيح هو «مخلص الجسد» أيضاً (١٥) .

ولكن علينا في مقابل ما يفعله الموت في خلايا أجسادنا ، ويحلها من سنة إلى سنة ، ويضعف حواسنا وأعضائنا قليلاً قليلاً حتى في النهاية تصيبنا الشيخوخة وفوت ، كذلك ينبغي أن نفسح للروح القدس وقوة النعمة بفعل الإيمان والرجاء لكي يجدد صورتنا الداخلية ويضع كل ملامحها الروحية ، حتى نكون قريبين جداً من شكل المسيح وروحه وفكره وصفاته ، حتى إذا متنا نوجد في الحال أحياء معه وجهاً لوجه !! : « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الحديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (١٦) . لأننا إذ نثبت عيون قلوبنا على وجه المسيح ، نتغير إلى تلك الصورة عينها كما يقول بولس الرسول .

(١٣) يو ١٤ : ١٩

(١٤) رو ٨ : ٢

(١٥) أف ٥ : ٢٣

(١٦) كو ٣ : ٩ و ١٠

حياة الله فينا : علامتها التحرر من إحساس الموت :

وبمجرد أن تبدأ حياة الله تعمل فينا ، ستكون علامتها الأكيدة التحرر من الإحساس بالموت وغلبة الخوف منه ، لأنه لا يمكن أن تسكن في الإنسان لعنة الموت وبركة الحياة معاً !! حياة الله فينا تطرد لعنة الموت وتطرح الخوف خارجاً . والإنسان الحي في الله ، يحس جداً أنه أقوى من الموت ، وأن الموت فقد سلطانه عليه . الإنسان الحي في الله لا يخضع في أعماقه للموت ولا للإحساس بالموت ، حتى وهو يموت يشعر أنه لا يموت ولن يموت ، وأنه سيبقى حياً ولن يفقد حياته في الله ولا لحظة واحدة ولا طرفة عين ! ... الجسد سيعود إلى التراب الذي جاء منه ، أما هو فيسظل مع المسيح ولن يتزعزع أبداً ، بل ستفتح عيناه الروحيتين في الحال ، لينظر نور المسيح و يعاين مجد القيامة !!

أن يستسلم الإنسان للموت أو للشعور بالموت أو يخضع للخوف من الموت ، هذا أمر ضد الإيمان ، لأنه معروف أن الموت هو عدو للإنسان : « آخر عدو يبطل هو الموت » !! إذن فنحن مطالبون أن نخضع الموت ونقاومه ولا نعتد به ، لا أن نخضع له ، متقوِّين عليه بالرب وبشدة قوته ، عالمين أن قوة القيامة التي فينا قد دحرت الموت مرة وستدحره أيضاً حتى النهاية . هذا قد لقننه لنا الإنجيل بوضوح حينما علمنا أن نقول : « أين شوكتك ياموت ، أين غَلَبَتِكَ ياهاوية !! » (١٧) لقد غزانا الموت عن طريق الخطيئة ، والمسيح حطم هذا وتلك ، وأعطانا عوض الخطيئة برّه الشخصي ، وعوض الموت حياته الأبدية .

فكيف نعيش بعد في الموت أو نخشاه ؟ الموت الآن مربوط مع من له سلطان الموت ، أي إبليس ، باستعداد المصير المحتوم : « وطرح الموت والهاوية في بحيرة النار » (١٨) .

كيف نخضع بعد للموت أو لسلطوته وهو فاقد وجوده منذ الآن وإلى الأبد ؟! نحن الذين أخذنا روح الحياة غير المخلوقة التي للمسيح وصرنا خليفة غير ماثثة بهذا القدر

(١٧) ١ كو ١٥ : ٥٥

(١٨) رؤ ٢٠ : ١٤

الممجد ، كيف نعود ونخضع روح المسيح لأحاسيس الموت أو خشيته ؟ أليست حياة المسيح فينا تعمل للحياة الأبدية بقدر ما يعمل الموت في جسدنا عشرة آلاف مرة ؟ أو ربوات بلا عدد ؟ المسيح أبطل الموت بقيامته ، وأعطانا روح القيامة لكي نبطل بها الموت نحن أيضاً من كياناتنا الروحي في هذه الحياة كشهادة صادقة أن المسيح فعلاً يحيا فينا بقيامته وحياته الأبدية . إن إحساسنا الصادق بقيامة المسيح وسلوكنا في جدة الحياة التي وهبها لنا بقيامته ، كفيلة بأن تعطينا الغلبة ضد الموت ، لنطرح قوته خارجنا .

نجوز الموت مع المسيح ، لكي نشترك في مجد القيامة :
ولكن كيف نحصل أكيداً على روح القيامة ؟ هذا ما ينبغي أن نركز عليه في سلوكنا اليومي . لأنه لا سبيل إلى نوال قوة القيامة إلا من خلال الصليب . لهذا ينبغي أن نجوز الموت أولاً مع المسيح لكي نشترك في مجد قيامة وقوتها .

إذن فالموت فقد حق المبادرة علينا ولم يعد يغزونا وكأننا مقيدون بسبب الخطية ، بل قد تهيأنا من قِبَل الصليب والدم ، ولبسنا الأسلحة الكفيلة بأن نسبق نحن ونغزوه ! نحن مطالبون بأن نغزو الموت ونقتحم كل مكانه المخيف وأركانه المظلمة !! فالإنسان الذي تسَلَّح بالصليب أصبح على استعداد الموت وسفك الدماء مع المسيح ومن أجله ، بكل سرور ورضى : « من أجلك مات كل النهار » (١٩) بكل أنواع الميتات !! :

« ... في الأتعاب أكثر ، في الضربات أوفر ، في السجون أكثر ، في الميتات مراراً كثيرة ، من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة ، ثلاث مرات ضربت بالعصي ، مرة رجعت ، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة ، ليلاً ونهاراً قضيت في العمق ، بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسي ، بأخطار من الأمم ، بأخطار في المدينة ، بأخطار في البرية ، بأخطار في البحر ، بأخطار من أخوة كذبة ، في تعب وكد ، في أسفار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ، في أصوام مراراً كثيرة ،

في برد وعري» (٢٠).

كل هذه التي ذكرها لنا بولس الرسول هي في الواقع كل ما يملك الموت ومن له سلطان الموت ، لكي يخيف بها الناس ، وها هي أماننا صارت موضع افتخار بولس الرسول لأنه اقتحمها كلها كشجاع ، وجردّها من كل صفة الخوف والرعبة ، بل جعلها وكأنّها منجّ عام لكل عابري طريق الملوكوت !! إنّ كانت طبيعة الشيطان قد انفضحت لنا في الآية التي تقول : « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (٢١) ، هكذا صارت طبيعة الموت تماماً ، فإذا قاومناها هزمناها وطردها ... إذا أمّتنا أنفسنا بإرادتنا هرب الموت عنا وتحولت رعبته إلى غلبة وانتصار ... وإذا أشفقنا على أجسادنا ، وجبنت إرادتنا إزاء إماتة الذات ، أخذ الموت فرصته علينا ، وكلما تمادينا في العطف على أنفسنا وجزعنا منه أو من الألم أو الخسارة أو المرض أو الإهانة ، كلما اقتحم الموت كياننا الداخلي ومعه الخوف والرعبة الكاذبة ... وهكذا إلى أن يوقف فينا كل حركة شجاعة وكل شهادة صريحة وكل إيمان واضح ، وقليلًا قليلًا يخرجنا من ساحة الحرب مخدولين مهزومين ، كخائفين من الموت ، وهذه خديعة عظيمة ، فهو لا يملك قط حق الغلبة علينا !! فإذا شَبِهنا الموت بسم العقرب أو الأفعى ، والخطية بشوكة العقرب أو بأنياب الأفعى ، فعليّنا أن ننتبه بالروح ونؤمن ونصدق أن المسيح كسر شوكة العقرب وأزال سمّها ، وكسر أنياب الأفعى وسكب سمّها على الأرض ... هكذا تماماً أنهى المسيح على الموت بأن كسر سلطان الخطية وأزال مفعولها عن الإنسان الجديد إلى الأبد ...

فمن ذا الذي يخاف من عقرب فاقد ذيله أو من ثعبان فاقد أنيابه ؟! ألا يكون بعد موضع سخرية وشماتة ، ومهياً تماماً أن ندوسه بأقدامنا ؟! إنّ المسيح الذي رفع عنا الخطية ومسح آثارها المخزية بالدم الإلهي ، أزال عنا بالتالي كل سطوة الموت ورعبته ، وقيامته تشهد بذلك ! وحتى موت الجسد سوف لا يدوم ، لأنه حتماً سيأتي الرب وستأتي

(٢٠) ٢ كو ١١ : ٢٣-٢٧

(٢١) يع ٤ : ٧

أرواحنا معه ، لتأخذ كل روح جسدها مجدداً من يد الرب . ولكن ينبغي أن نفق أن موت الجسد لن يوقف عملنا في الرب ، ولن يضع حداً لأمالنا السعيدة في المسيح ، ولن ينقص حبنا لله أو للناس ولا قيد شعرة . بل على العكس ، فإن تحرُّرنا من الجسد سوف يعطينا فرصاً جديدة لخدمة الرب ، وأعماقاً أعظم لحبه وحب الناس جميعاً . لذلك فالموت لن يُنقص من قامتنا الروحية أو يحد من رسالتنا السعيدة في خدمة المسيح ... بل إن كل ما ينقصنا ويعوزنا الآن ، سنستكملة بالضرورة عندما نخلع خيمتنا الأرضية ونلبس السماويات ونستوطنها ! ...

بالذالك اليوم السعيد الذي تنفتح فيه عيوننا وآذاننا على الأبدية ، وننضم لخورس السمايين ، ونتعلم الترنيمة الجديدة : « ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الحروف » (٢٢) .

هناك ستفك عقدة ألسنتنا ، لنرم بالحان فائقة الإيقان والتعبير ، لأننا سنعي جمال الله الفائق وعياً روحياً ، ينضح على قلوبنا فيضاً من تسبيح يدوم إلى الأبد .

ساعة الموت

أولاً : بولس الرسول : يحدد لنا الخطوط العريضة التي تتحكم في ساعة الموت : « لأن لي الحياة هي المسيح ، والموت هوريج ، ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي ، فإذا أختار ، لست أدري ، فأني محصور من الإثنين ، لي اشتاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً . ولكن أن أبقى في الجسد أُلزم من أجلكم . فإذا أنا واثق بهذا ، أعلم أنني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان ، لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع في بواسطة حضوري أيضاً عندكم » (٢٣) .

(٢٢) رؤ ١٥ : ٣

(٢٣) في ١ : ٢١ - ٢٦

ومن هذه الكلمات المنيرة ، نستطيع أن نجتمع المبادئ الآتية :

١ — إن حياتنا هي ملك للمسيح وليست ملكاً لنا .

٢ — إن الموت الذي نموته بأي شكل وبأية صورة وفي أي وقت ، هوريج ، طالما نحن نعيش الآن للمسيح ، أو طالما أن المسيح يملك حياتنا .

٣ — الحياة في الجسد قد يستزيدها المسيح من أجل الثمر المتحصل منها لحسابه ، فبالرغم من أن الإنسان يكون مهياً للإنطلاق ليكون مع الرب ، إلا أن الرب يعوق إنطلاقه ربما سنين كثيرة ، كما حدث للقديس أنطونيوس لما طلب الإنتقال لنفسه ، إذ قال الرب لروحته : « إنك والدة حسنة ومربية صالحة ، وقد تركتك لتربي أولادك حسناً » (رسالة ١٩) .

٤ — قد يحدث للإنسان الصالح أن يختار لنفسه بين الإنطلاق ليكون مع الرب ، أو البقاء في الجسد لخدمة أولاد المسيح بسبب ضرورة شديدة .

٥ — إن إحساس الإنسان الصالح بالإنطلاق ليكون مع المسيح ، يصاحبه شعور بالبهجة الشديدة ، ويتيقن جداً من أفضلية الحياة مع المسيح !!

٦ — بالرغم من ثقة الإنسان الصالح بأفضلية الإنطلاق والحياة مع المسيح ، إلا أنه يستطيع أن يفضل البقاء في شقاء العالم والجسد من أجل خير أولاد المسيح وخدمتهم ، والرب يوافق .

٧ — الإنسان الصالح يعلم تماماً أن طلبه الذي يطلبه من الرب ليبقى في الجسد من أجل تكميل خدمة أولاد المسيح ، يستجاب بسرور : « فإذ أنا واثق بهذا ، أعلم أنني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان » .

+ أما مجمل هذه النقاط السبع ، فهو أن تحديد ساعة الموت بالنسبة للذين يعيشون مع المسيح ، يتقاسمها الرب مع أولاده الأمانة ، ويتحكم فيها مقدار الثمر المتحصل من حياة الإنسان . فساعة الموت ذات صلة شديدة برسالة الإنسان الروحية ، وكأنما الإنسان الصالح لا يعيش لنفسه ولا يموت لنفسه ، كما يقول الكتاب : « إن عشنا فللرب نعيش ،

وإن متنا فللرب نموت ، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (٢٤).

+ وقد يكون موت الإنسان بجد ذاته تمجيذاً لله أكثر من كل ما عمله الإنسان في حياته ، لأن الشهادة للمسيح بالموت لا تعادها شهادة مهما عظمت الحياة وطالت مدتها حتى ولو كانت مائة عام ! ومعروف أن رتبة الشهداء أعلى رتبة في كافة رتب القديسين ، فهي من بعد الرسل مباشرة ، كما أنه معروف أيضاً أن الرب حينما يريد أن يكرم إنساناً جداً ، يهيئ له فرصة الشهادة بالدم . لذلك كان يدعو كثيرين في أيام الضيق للشهادة . وكأنما ترك الرب للإنسان أن يحدد موعد وطريقة انطلاقه ! فكانوا يذهبون إلى ساحة الاستشهاد وهم على علم : متى سينطلقون وكيف سينطلقون ، سواء كان بالسيف أو الحريق أو الوحوش أو آلات التعذيب ... وهكذا تحولت رغبة الموت وساعته الخفية ووسيلته المرعبة إلى خطة أعطي للإنسان أن يرسمها بيده ويختار ميعادها وظروفها ، و ينتظرها بفرح وتهليل كعيد أو كحفل زفاف !!

فما أعظم هذه النصرة فوق الموت التي حققها المسيح للإنسان ، أن يعرف الإنسان ساعة موته و يفرح لها و يتהלل !!

ثانياً : بطرس الرسول : يكشف لنا عن مستوى الموت كحادثة زمنية :

« ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكيرة عالماً أن خلعت مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً ، فاجتهدوا أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور» (٢٥).

١ — بطرس الرسول هنا نراه مثل بولس الرسول يشدد على أن حياته بالجسد وثقت للرب ، وأن عمله الأساسي طالما هو يعيش في الجسد ، أن يركز بوصايا الرب ، و يذكّر بها أولاده مراراً وتكراراً .

(٢٤) ر ١٤و ٨ :

(٢٥) بط ١ : ١٣-١٥

٢ — الحياة بالجسد يشبهها بطرس الرسول بالوجود داخل مسكن مبني بحجارة أو بطين . هذا هو الجسد في نظر بطرس .

٣ — كما يخلع الإنسان ملابسه ، أو يخرج من مسكنه المبني بالطين ، هكذا يرى بطرس الرسول حادثة الموت التي فيها يخلع جسده الذي يسكن فيه على الأرض .

٤ — إن الموت بهذه الكيفية أو على هذا المستوى ، أي بوصفه خلع مسكن أرضي ، لقبول مسكن سماوي ، أعلنه الرب لبطرس الرسول أنه سيتم له قريباً وهنا الإعلان عن ساعة الموت يجيء مشدداً جداً للرسالة التي أوتمن عليها هذا الرسول : « أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة » .

وهكذا يأتي تحديد ساعة الموت مستحثاً لمزيد من الكرازة ، وداخلاً في إطار إرادة بطرس ومسرة قبوله .

٥ — بطرس الرسول يعطينا نظرة مبدعة عبر الموت وبعد الانتقال وكأنه قد تم ، فيتم كيف يكون أولاده بعد خروجه من الجسد : « فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تنذكرون كل حين بهذه الأمور » . وهكذا يصور لنا الموت تصويراً غاية في الرقة والبساطة دون أي إنزعاج منه أو تعقيد ، فهو مجرد خروج وسفر سعيد تنتهي عنده حدود رسالته كمعلم وكارز . فيجتهد قبل خروجه أن يؤثّر رسالته حتى لا يكون في خروجه توقف لها !!

وإن كان بطرس الرسول هنا قد شبّه حادثة الموت بـ « الخلع » أو « الخروج » ، نجد أن بولس الرسول يشبهها في موضع آخر بـ « الإغلال » : « وقت إنخلاي قد حضر » (٢٦) ، وهو اصطلاح يستخدمه البحارة عند فك رُبط المركب للسفر عبر البحار .

+ وهكذا في هذه النقاط الخمسة ، نجد أن تحديد ساعة الموت داخل ضمن نطاق علم الإنسان ليزداد الإنسان تأكيداً لرسالته ، حيث تتكشف حادثة الموت وتزداد رقة

وبساطة ونوراً ، لتصبح كخلع الثوب أو المسكن ، أو كسفر سعيد لا يحتاج إلى استعداد بقدرما يحتاج إلى توصية المؤدعين !!

تحديد عمر الإنسان

في العهد القديم نقرأ عن البطارقة إبراهيم وإسحق ويعقوب وكل أتقياء الله ، أن كل واحد منهم « مات شيخاً وشبعان أياماً » (٢٧) ، وهكذا كان رضى الله عن الإنسان قديماً يتقيّم بطول العمر ، كما كانت مكافأته أيضاً تتقيم بالخيرات الزمنية . لذلك نسمع داود النبي يتوسل من جهة نفسه أن « لا تأخذني في منتصف أيامي » (٢٨) كذلك نرى الله في العهد القديم ، يسمع لصلاة الإنسان ، ويزيد أياماً على أيامه : « في تلك الأيام مرض حزقيا للموت ، فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي وقال له : هكذا قال الرب أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش . فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً : آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك . وبكى حزقيا بكاءً عظيماً . ولم يخرج إشعيا إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً : ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي هكذا قال الرب إله داود أبيك ، قد سمعت صلاتك ، قد رأيت دموعك ، هأنذا أشفيك ، في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب ، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة » (٢٩) .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الرب أرسل النبي إلى حزقيا ليعلمه بساعة موته ، كما نشير إلى غاية الرب من هذا الإعلان ضمناً ، وهي توصية الملك لأولاده من جهة اتباع طريق الرب حسب أمر الرب . ولكن نرى الأمر هنا يتغير فجأة ، ويستطيع حزقيا أن يغير ساعة موته !! إذ يطلب المزيد على سني حياته المحددة ، فيستجاب طلبه بناءً عن

(٢٧) تك ٢٥: ٨ و ٣٥: ٢٩

(٢٨) مز ١٠٢: ٢٤

(٢٩) مل ٢٠: ١-٦

صلاة ودموع ...

هنا وفي صميم العهد القديم ، تظهر رحمة الله و يظهر لطفه جداً على الإنسان ، حيث يبدو الموت كحادثة ، وإن كانت محددة بحسب تدبير الله وسابق علمه ، إلا أنها قابلة للتغيير والتأجيل ، بتدخل مشيئة الإنسان الصالحة وصلاته ودموعه ... هنا يفقد الموت كثيراً من حتميته المربعة وتحديده القاطع الخفيف ...

المسيح في العهد الجديد يكشف عن سلطانه الشخصي على الموت وعلى إطالة عمر الإنسان ، في إطار من البساطة ، ولكن في معنى الألوهة الفائقة القدرة والسلطان : « قال له يسوع إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فاذا لك ؟ اتبعني أنت . فذاع هذا القول بين الإخوة أن ذلك التلميذ لا يموت ... » (٣٠) .

ولكن سلطان المسيح لا يقف عند إطالة عمر يوحنا ، لقد امتد وشمل كل من يولد من الله ، المؤمنين باسم المسيح : « وكل من كان حياً وآمن بي ، فلن يموت إلى الأبد » (٣١) .

في العهد القديم تحسب إضافة ١٥ سنة على عمر حزقيا ، أمراً إعجازياً ولطفاً من الله كثيراً ، غمر حياة حزقيا بالشكر ، وغمر كل أتقياء الله بهذا الإحساس عينه ، أي بالشكر والإمتنان .

في العهد الجديد أضاف المسيح حياته على حياتنا ، فنحننا سنين الأبدية كلها التي لا قياس لها . فصار عمر الإنسان ممتداً إلى ما لا نهاية ... لقد رفع المسيح عن أولاده تحديد عمرهم ، فصار عمرهم عمره ، أي الأبدية كلها بكل طولها وعرضها وعمقها وعلوها في المجد ...

(٣٠) يو ٢١ : ٢٣ و ٢٢

(٣١) يو ١١ : ٢٦

وعمرنا في المسيح لا يبدأ من حادثة الموت الجسدي ، بل من لحظة الشركة في موت الرب بالعمودية وقبول الروح القدس والميلاد الجديد ! ...

إذن فعمرنا في المسيح يبدأ منذ الآن وفي صميم هذا الدهر، ويمتد عبر كل الحوادث والموت ليشمل الأبدية . الموت لا يقطع ولا يوصل . عمرنا يبدأ بالإيمان والعمودية ، ولا ينتهي ولا يتوقف ولا يستزاد .

الخطية كانت فيما مضى تفصل الإنسان عن الله ، لأنها تعيد ، والتعدي ينشئ عداوة ، والعداوة ظلمة ... فكانت الخطية تحذر الإنسان إلى حالة الظلمة الخارجية التي تكلم عنها الرب ، وتوقعه في صراع يائس مع الموت بل ومع الحياة .

المسيح رفع الخطية من الوسط ، وحل المسيح محل الخطية ، وصار وسيطاً بيننا وبين الآب : لا وساطة الشفاعة الكفارية فحسب ، بل جعلنا أولاً واحداً فيه ، وحدثنا في نفسه وفي جسده وفي روحه ، جعلنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (٣٢) .

ثم إذ هو واحد مع الله الآب ، صرنا نحن فيه وبواسطته واحداً أيضاً مع الآب . هذه الوساطة عينها جعلتنا نسير في النور وفي صميم الحياة مع الله ، في تحدي الموت كل يوم ، ما دام لنا المسيح ، لأن المسيح كفيل دائماً أن يمسح الخطية و يلغي فعلها كتعدي ، لأنه أرضى الآب عنا بذبح نفسه عن كل تعدي في الماضي والحاضر والمستقبل ... فالآن الخطية فقدت قدرتها على فصلنا من الله ، ذلك الانفصال الذي كان هو هو الموت ، فكان الموت أبشع ما يمكن أن يحدث للإنسان ... الآن الموت لا يفصلنا عن الله !! لقد زال أبشع ما في الموت !! الموت الآن وفي المسيح يضع نهاية لعمر الجسد ، ولكن لا يضع نهاية لعمر الإنسان . لأن الإنسان في المسيح يسوع ، قائم مع الله على الدوام ، في هذا الزمان وفوق هذا الزمان ...

الإنسان الذي يعيش مع المسيح بالروح ، ينتقل تلقائياً من الزمان الحاضر إلى الأبدية الحاضرة ، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح ، يموت كل يوم عن العالم ، ليحيا بلا انقطاع مع الله ...

الصلاة الحارة والحب المتأجج والدموع اللذيذة ، تحول الساعات والأيام إلى خلود ... الخدمة الباذلة وفناء القوة الجسدية ، حباً في الرب ، والتبذير في مال الظلم لحساب إخوة المسيح ، يحول الوقت المرفوض إلى وقت مقبول ، والفراغ إلى ملء ...

كيف بعد ذلك كله نقول إن إنساناً مات ، وهلمَّ نبكي عليه ؟ أليس من الأفضل أن نعمل لروحه قداساً ، ونزفها إلى العريس السماوي ، ونجلس نعمل معاً « أغابي » ، لأن حبيبنا الآن أسعد مما كان ؟ !

□

نشكرك يارب لأننا آمنّا بك واعتمدنا لموتك
وانسكب علينا روح قيامتك فلن نموت أبداً لأننا نحيا بك ؛
سيضعوا أجسادنا في القبر يوماً ما ،
أما نفوسنا الحية بروحك فلن تشارك الجسد في قبره المظلم أبداً ، ولن يميث فيها
فساده ،

بل سننطلق لنكون معك كل حين في نور قدسيك ؛
نتبعك أبنا تكون ، نشاركك بهجة قيامتك ونصرة سلطانك وملكوته ،
كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة .

(١٩٧٣)

فرح القيامة

فرح القيامة هو أول تقليد كنسي روهي ولاهوتي في آن واحد دخل عمق أعماق الكنيسة.

لذلك ينبغي أن تكون فرحتنا بالقيامة مطابقة تماماً للفرحة العظمى التي دخلت قلب بطرس و يوحنا وتلميذي عمواس وبقية الأحد عشر المجتمعين في العلية.

أولاً: فرحة بعمقها الإنساني العاطفي الأخاذ الذي ملأ حياة التلاميذ ووجدانهم.
ثانياً: فرحة بتأكيدها الملموس والمرئي بشخص المسيح الحاضر التي لا تحتاج إلى برهان منطقي أو لاهوتي أو فكري.

ثالثاً: فرحة بأثرها الرجعي الكامل الذي غطى كل حوادث أسبوع الآلام، ثم امتد ليشمل كل تعاليم المسيح السابقة في ثلاث سنوات، فهي الأخبار السارة في صميمها الإنجيلي، فلا يعود شيء يُرى إلا في نور القيامة.

رابعاً: فرحة بروحها وإحساسها الأزلي الجديد المستمر فوق الزمن والموت والخلقة الحاضرة كلها بكل قصورها وعجزها وضعفها، ليجعل من الحاضر الفاضل باباً وطريقاً ووسيلة للإمتداد للكمال المسيحي الآتي الذي نحياه برجاء ونرجوه بحياة (رجاء حي) في الحاضر. فالقيامة هي حقيقة المستقبل المعاش اليوم. وهذه الروح الأزلية المستمرة تلح الكنيسة على التعبير عنها، بجعل كل يوم أحد هو عيد قيامة الرب! وكل يوم هو استعداد ليوم الأحد!

هذا تحدي للزمن ومحاولة جادة لتجديده أو تجليه بالروح.

خامساً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون صفة لاصقة بالخلقة الجديدة التي نعيشها الآن بالإتحاد بالمسيح في سر الجسد والدم، حيث يصبح فرح القيامة هو ثمرة الغذاء من الخبز الحي النازل من السماء يوماً بيوم، الذي يبهج عقل الإنسان وضميره، ويجعل رجاءه مشدوداً إلى فوق.

سادساً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون هي القوة الدائمة المشجعة والدافعة التي تدفعنا للجهاد كل يوم والسهر بلا حدود لحفظ الوديعة بكل طهارة وبلا لوم حتى مجيء الرب، حيث القيامة تمثل أمام أعيننا النصر الأكيدة للحياة على الموت، والنور على الظلمة، والحق على الباطل، والطهارة على النجاسة، والعدل على الظلم، والراحة على التعب، والفرح على الحزن، والسلام على الإضطراب.

سابعاً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون هي عزاءنا الأكيد الحي الذي يعوضنا عن كل خسارة في الحاضر مهما بلغت هذه الخسارة حتى إلى حدود الموت، نفسياً أو جسدياً. فالمسيح قام ليثبت لنا بكل تأكيد ويقتن أن كل الحوادث السلبية وكل تدبيرات الشيطان والأشرار في هذا الزمان مقضي عليها بالإلغاء بحكم نقض أعلى، من السماء، حيث تجري محاكمة أخرى «ينال فيها الظالم أجراً ما ظلم به»، «والذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً» (٢ تس ١: ٦)، بحسب عدل الله الذي لا يمكن أن يقع منه حرف واحد!

فالقيامة: قوة سرية يتحول بواسطتها كل شر موجه ضلنا وكل خسارة نخسرها إلى عوض سمائي نأخذ عربونه الآن عزاءً وفرحاً سريراً!! «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (٢ كو ١: ٥).

ثم إن عملية التحول مستمرة:

+ «الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم» (٢ كو ٤: ١٢).

+ «أنفق وأنفق من أجلكم» (٢ كو ١٢: ١٥).

+ «وأصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً ردياً ليس لكي تظهر نحن مُزكّين، بل لكي تصنعوا أنتم حسناً ونكون نحن كأننا مرفوضون» (٢ كو ١٣: ٧).

+ «لأننا نفرح حينما نكون نحن ضعفاء، وأنتم تكونون أقوياء» (٢ كو ١٣: ٩).
+ «إن كنا نتضايق فلأجل تعزيتكم ... أو نتعزى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم»
(٢ كو ١: ٦).

+ «لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» (في ٣: ٧-٩).

ثامناً: القيامة ترد لنا على كل سؤال عن سكوت الله في الحاضر عن أن يُظهر عدله ورحمته أو نقمته بالنسبة لأي افتراء أو ظلم أو تجديف عليه أو على أولاده الأبناء الأتقياء.

فالجواب دائماً أن المجازاة مستعدة وقائمة وكاملة وحكيمة، على مثال قيامة المسيح الذي مات بالضعف والهوان والفضيحة خاسراً كل شيء، ثم قام ليدعونا «بالمجد والفضيلة» لنكون «شركاء الطبيعة الإلهية» (كقول بطرس الرسول في رسالته الثانية ٤: ١).

لأنه قام لا بنفسه فقط بل بكل من مات ويموت مثله مظلوماً ومضطهداً من أجل الحق، مضروباً ومذلواً من أجل طاعة الوصية (٢ بط ١: ٣٠ و٤). فالجازاة عن مظالم الحياة قائمة بقيامة الرب، الآن، ينبغي أن نقبلها كحقيقة حية واقعة، ندوقها بالإيمان بقيامة المسيح، ونتوقع استعلانها بالصبر والرجاء الحي في المسيح. أما الآن فيكفي أن يشفع فينا بل ويحكم لنا ويدين بلا إبطاء: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء. مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرر. مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رو ٨: ٣٢-٣٤).

لذلك يقول بولس الرسول بثقة أيضاً:

+ «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا. ليكن حلمكم معروفاً عند جميع

الناس . الرب قريب . لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله» (في ٤: ٤-٦).

+ «حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحملونها بيئنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً، إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته» (٢ تس ١: ٤-٧).

تاسعاً: إن قيامة المسيح لم تتعوق بعد حكم الصليب أكثر من ثلاثة أيام شكلية، ليشتم الله المجازاة وليبرهن أن حكمه سريع ودينونته قائمة في الحال ونقضه كل الأحكام والأعمال الظالمة والشريرة هو نقض سريع لحظي — وإن هو تعوق فهو يتعوق في ذهننا بحسب قياس زماننا ومنطقنا وقياسنا العقلي فقط — هذا النقض يتم بفاعلية قيامته، وقيامته تمت وهي قائمة الآن! «الآن دينونة هذا العالم» (يو ١٢: ٣١).

هنا قبول الحكم واحتمال الإهانة والظلم متوقف على يقين قضاء الله العادل الفائق «بذلت ظهري للمضاربين وخدي للناثقين، وجهي لم أستر عن العار والبصق. والسيد الرب يعينني لذلك لا أخجل. لذلك جعلت وجهي كالصوان وعرفت أنني لا أخزي. قريب هو الذي يبررني. من يخاصمني؟ لتتوقف. من هو صاحب دعوى معي ليتقدم إليّ. هوذا السيد الرب يعينني. من هو الذي يحكم عليّ» (إش ٥٠: ٦-٨).

كذلك فإن كل مجازاة يجازيها الله الآن وكل حكم عفو وغفران وكل نقض للأحكام الظالمة إنما تتم على أساس قضاء المسيح ومجازاته:

«ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن» (غل ٣: ٢٣).

بدون المسيح الكل مغلق عليه في العصيان «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من

يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو ١٢: ٣). أما بالمسيح فقد صار غفران مجاني وبراءة عامة وتبرير شامل، لأنه نفذ كل عدل الله في نفسه واحتمل عن الخطاة كل عقوبة، فأصبح هو بئراً. وقضاء المسيح له أصوله وبنوده.

لذلك ينبغي أن نضع قول بولس الرسول موضع التأمل في كل لحظة واثقين أن أحكام الله بالنسبة لمختاريه إنما تتم الآن بصورة حية وفعالة ولحظية لا ينقصها إلا الإعلان الذي سيتم في حينه الحسن حسب رحمته:

+ «الذي لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!!!»

من سيشككي على مختاري الله؟ (الآن ومستقبلاً)؟ الله هو الذي يبرر!!

من هو الذي يدين (ليس «سيدة» ، بل «يدين»)، (إنه هو) المسيح الذي مات، بل بالحرى قام أيضاً (أي تقبل دينونة خاطئة ونقضها بالقيامة)، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا!!

(إذن) من سيفصلنا عن محبة المسيح...!!؟؟؟» (رو ٨: ٣٢-٣٥).

إذن نحن لا ننتظر مجازاة الله كأنها آتية، بل نثق فيه دائماً أنه معنا، أنه حاضر «قريب هو الذي يبررني» (إش ٥٠: ٨).

عاشراً: القيامة والرجاء الحي:

الرجاء صار جزءاً حياً من الإيمان والسلوك، والآية الأساسية هي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ١: ٣).

إن القيامة جعلت إيماننا المسيحي أو إيماننا بالمسيح ليس إيماناً بأمور مجهولة مستقبلية، بل بأمور (التي هي القيامة المجددة) مستقبلية رؤيت رؤيا العين ولمست لمس اليد، مع أنها في طبيعتها الأصلية غير مرئية ولا ملموسة إطلاقاً، ولكن بواسطة المسيح ازدادت رحمة

الله جداً حتى جعل المستحيلات والمستقبلات حسب المنطق البشري أموراً حادثة بالإيمان، فنارسلها بالروح، نراها ونلمسها بالإيمان، يدرکہا الأطفال وبحسها الجهلاء. وبذلك أصبح الإيمان المسيحي أو الإيمان بالمسيح إيمان الثقة الكاملة بما نرجوه أو نترجيه باعتباره حادثاً الآن بالإيمان، وإيمان اليقين بما هوأت باعتباره قد بدأ سراً مع أنه لا يرى للعالم «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه» (يو ١٤: ١٧)، «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً» (١ كو ٢: ١٤).

إذن، فالقيامة هي أساس الإيمان المسيحي في الحاضر، وهي أيضاً قوته الحاضرة معنا وفرحته فينا وسلامه الذي يملأنا الذي يفوق العقل.

+ «كما هو مكتوب إني قد جعلتك أباً لأُمم كثيرة أمام الله الذي آمن (إبراهيم) به، الذي يحبي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأُمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك. وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا ممتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً. لذلك أيضاً حُسب له برأ. ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ١٧-٢٥).

+ «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله... لأنه إن كننا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحو نخلص بحياته» (رو ٥: ١ و ١٠).

لأن قيامة المسيح هي هي الآن قيامتنا بالإيمان: «لأنه أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٦). كذلك نؤمن أنه عندما «يُظهر (يُستعلن) سُنْظَهر

(سُئِلْتُمْ) نحن معه أيضاً في المجد» (كو ٣: ٤).

إذن فقيامته وظهوره ومجده أصبحت بالإيمان الحي هي هي نفسها بقوتها وفعاليتها،
قيامتنا وظهورنا (أي استعلاننا) ومجدنا !!!

إن سر الموت مع المسيح نناله في المعمودية، وبعدها مباشرة ندخل في سر قيامة
الرب، حيث نص الآية العجيبة «أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا
معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن
أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦: ٤ و٣).

+ «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو ٦: ٥).
فالقيامة لها قوتان :

القوة الأولى في المسيح نفسه القائم من الموت ليهبنا برة «بارو يبرر كثيرين»
(إش ٥٣: ١١)، ومجده الذي صار له بسبب طاعة الموت.

والقوة الثانية: فينا نحن حينما نؤمن بمجرد إيمان بأن الله أقامه، على مثال إبراهيم وتقديم
إسحق. ولكن إبراهيم على خلاف الرجاء آمن على الرجاء على أساس أن الله قادر أن
يقيم، أما نحن فالرجاء مطبق.

حادي عشر: القيامة بحلول الروح القدس صارت منبعاً لفيضان الحياة الأبدية من
خلال الموت. حياة المسيح الآن هي مصدر انسكاب روح الحياة الذي أعتقنا من سلطان
الموت.

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون
نخلص بحياته» (رو ٥: ١٠).

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت»
(رو ٨: ٢).

ثاني عشر: إن قيامة المسيح هي عِيْنَة عملية منظورة للخليقة الجديدة: جسم روحاني

جديد له استطاعات عجيبة ومذهلة جاء المسيح ليكملها في نفسه ثم ليهبها لنا عوض الخليقة العتيقة التي هلكت بالخطيئة وأصبح لا رجاء فيها، إذ يتحتم موتها وفنائها. فقوة قيامة المسيح هي نفسها التي ولدت فينا بالروح القدس خليقة جديدة غير قابلة للموت ولا تسودها الخطيئة.

الخليقة الجديدة أظهرها المسيح أنها تأكل وتشرب بحسب روحاني، ولكنها لا تعيش على الأكل والشرب. هي يمكن أن تُجس وتلمس وتُرى وتتحدث وتسمع وتحرك، ولكنها غير محصورة ولا خاضعة لطبيعة المادة والتراب، قوة هذه الخليقة الجديدة هي الآن فينا تعمل بالروح القدس وتتغذى على كلمة الله وتنمو بالنعمة وهي تطلب ما فوق، وكل فرحها وغزائها هو في انتظار الرب وتوقع مجيئه من السماء، لكي تُستعلن معه عندما يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده حسب استطاعته التي أظهرها في القيامة أنه قادر أن يخضع كل شيء لنفسه !!

+ «وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس صورة السماوي» (١ كور ١٥: ٤٩).

إذن، فقيامة المسيح هي لنا الآن مصدر حياة جديدة وأخلاق جديدة وسلوك جديد وفكر جديد وعواطف جديدة وحب جديد وفرح جديد «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كور ٥: ١٧).

+ «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (أنظر ٢ كور ٥: ٦).

+ «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦: ٤ و٥).

ثالث عشر: إن شركتنا في قيامة واحدة ننالها الآن في جسد واحد ودم [كأس — (١ كور ١٠: ١٦)] واحد، لذلك فالحياة بروح القيامة وإحساسها ورجائها هو الحال الوحيد الذي يرفع من بيننا الفوارق التي يصنعها الجسد والعقل والأمزجة والأعصاب والأمراض والبيئة والعلم. الفوارق كلها من صنع العالم الحاضر. والوحدة الحقيقية من صنع اتحادنا بمسيح واحد نأخذ منه خليقة جديدة لها شكل واحد وروح واحد وحب

واحد.

رابع عشر: إن الوحدة التي يجمعنا فيها المسيح بجسده المكسور ودمه المسفوك هي أولاً شركة الآم واحدة ثم شركة حب واحد ننمو منه وبه، أي أنه كلما أحببنا بعضنا ازدادات قدرتنا على المحبة، وكلما ازدادت محبتنا إزدادنا اتحاداً وإدراكاً لسر الوحدة القائمة بين الآب والإبن. القيامة إذن تحملنا موهبة جديدة هي موهبة المسؤولية لجمع المتفرقين إلى واحد: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢). أي أنه كلما عاش الإنسان في قيامة المسيح كلما ساء وعلا وارتفع بالروح وأحسن بضرورة جذب الآخرين عن طريق خدمتهم بالمحبة والبذل والتفاني من أجلهم، لأن مسرة القائمين مع الرب هي في جذب الجميع إليه.

(١٩٧٧)



قيامة المسيح من بين الأموات أنشأت طبيعة جديدة للبشرية تستمد كيائها وعملها منه شخصياً (المقالة الأولى)

لما قام المسيح من بين الأموات ، قام بجسده هو هو ، ولكن في وضعه الجديد الذي لا يسود عليه الموت بعد كنموذج كامل للخلقة الجديدة .

هو ليس من الخليقة الجديدة ، ولكن الخليقة الجديدة منه ، فهو خالقها في نفسه من أجلنا لكي يمنحها لنا بالميلاد الجديد بالروح القدس في سر المعمودية . فكما وهب لنا آدم خليقته الميتة بالتنازل بالميلاد الشهواني ، هكذا وهب لنا المسيح بشريته الجديدة لتكون خليقة جديدة لنا بالنعمة لحياة لا يقوى عليها الموت .

الخليقة الجديدة مبتدئة منه ، وقد أخذت بدايتها الأولى فيه ، ولكنه كان هو قبلها وقبل كل خليقة ، فهو كلمة الله الخالق مع الآب منذ البدء . فالخليقة الجديدة به قامت ، ومن أجله أيضاً تقوم وتنتهي دائماً إليه ، لأنه هو رأسها وكلها أعضاء فيه .

الخليقة الجديدة مخفية في الله :

الإنسانية الجديدة خلقت في المسيح وبالمسيح ، وعُرفت بالقيامة من الأموات ، ووجدت منظورة ومحسوسة لكثيرين ، مع أنها كانت مخفية في الله « مخلوقين في المسيح يسوع — كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم » (أف ١ : ١٠ ، ٤ : ١) ، وستبقى مخفية عن العالم لا تُرى إلا بعين الله ، ولكل عين ترى بعين الله ، لأن هذا « سر المسيح الذي في أجيال أخر لم يُعَرَف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » (أف ٣ : ٤ - ٥) .

ومع أننا نلنا بالفعل هذه الخليقة الجديدة، وقد خلّقنا من جديد إذ صرنا شركاء في الجسد بالإيمان بالقيامة من الأموات وبالاعتماد للمسيح، إلا أن هذه الخليقة بكل مواهبها باقية جنباً إلى جنب مع الخليقة العتيقة، جسد الخطية. غير أن الخليقة الجديدة محسوبة وحدها أنها هي الحق والنور والحياة، أما العتيقة فهي مجرد كيان ينحل ويفنى مع الزمن، وكأنما هو كيان يسير وراءنا في العالم عبر الزمن كخيال الظل لحقيقة أخرى أعلى منها بلا قياس، تسير أمامنا ونحتويها في أعماقنا وهي بعينها المسيح المقام... «ملكوت الله داخلكم، أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور» (لوقا ١٧: ٢١؛ مت ٢٨: ٢٠)، ولسان حال هذه البشرية الجديدة يقول مع بولس: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠)!!

ما بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة:

والخليقة العتيقة فينا — هذه — ماضية — بحسب أصلها التراي — في كسرهما لنواميس الله، جنباً إلى جنب مع الخليقة الجديدة التي ليست تحت ناموس بل تحت نعمة، معها الله، وفيها الله، والله تحيا وتسبح.

الأولى تتغذى على الكبرياء وتنحل بالشهوة وهي في ذاتها تحت عبودية الزمن وتسير معه نحو الفناء، أما الثانية فتتغذى بكلمة الحق فتتغير من مجد إلى مجد، وتتجدد كل يوم متحدية الزمن وتسير بثبات نحو الخلود نحو المصدر الذي يغذيها، وتتعلم منه في كل شيء لتصير معه كل حين.

الخليقة الجديدة هي الصورة الحية لحب الله الفائق ولرحمته المطلقة، لأنه إن كان الله قد خلق الخليقة الأولى من العدم كبرهان قدرته على كل شيء، فإنه خلق الخليقة الثانية من عمق الخطية والموت كفعل حب لرحمة فائقة: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

الخليقة الأولى ورثناها بالجسد ومعها الخطية وناموسها الحاكم بالإعدام «بالخطية

حَبَلْتُ بِى أُمِّى» (مز ٥١: ٥)، أى أن لعنة الموت كاثنة في أعضائها. والخليقة الثانية ورثناها بالنعمة (بالمعمودية)، عندما دُفِّنا معه للموت وقنا أيضاً معه، وفينا قوة القيامة ومجد الحياة الأبدية كائنين في صميم خلقتنا الجديدة التي اعتُبرت أعضاؤها آلات بر!!

الخليقة العتيقة تمثلها نحن أحسن تمثيل، حينما نُقدِّم على اقتراح الخطية بمحض إرادتنا وبالتعديت كل يوم. أما الخليقة الجديدة التي فينا فيمثلها المسيح عنا وفينا، وهو نفس المسيح القائم عن يمين الله الذي يشفع فينا كل حين فننال به المصالحة التامة مع الله.

بالخليقة العتيقة وأعمالها التي نعيشها بإرادتنا يضطرب سلامنا دائماً، ونُوجد عِراة أمام الله حينما نقف للصلاة وكأنه لا رجاء لنا!! وبالخليقة الجديدة التي نحسها في أوقات التوبة والندم في أعماقنا بالنعمة، ونزكيها بالصلاة والمحبة، يتجدد لنا سلام مع الله، ونفتخر في هذه اللحظات على رجاء مجد الله، حينما نرفع أعيننا نحو المسيح القائم ممثلاً عنا لدى الله الذي فيه كل الكفاية أن يجعلنا في حالة صلح وسلام، ومن يوم إلى يوم نخلع العتيق لنلبس الجديد الذي يتجدد فينا على صورة خالقنا، نتحرر من الخطية ليملك علينا بر المسيح.

إن الشك الذي ينتابنا أحياناً من صدق وجود إنسان جديد فينا أو ميلاد جديد أو خلقة جديدة تعمل فينا، يرجع أولاً إلى أننا نكون قد سهلنا للإنسان العتيق أن ينشط أكثر من حدوده!! وثانياً إلى أن طبيعة الخليقة الجديدة لا نحسها لأنها تختلف تماماً عن طبيعة الإنسان العتيق، فهي غير محسوسة ولا منطوق بها.

الثقة في صدق مواعيد الله،

يسهل لنا قبول الخليقة الجديدة فينا:

يكفي في البداية أن نثق بصدق مواعيد الله وفعل النعمة الكائن في الأسرار ونتقبل ببساطة وإيمان حي عمل الله فينا حتى تكون لنا هذه الخليقة. فالخليقة الجديدة ليست

عملاً من أعمالنا حتى نحسه، أو طبيعة مشابهة لطبيعتنا حتى نتحسسها أو نفهمها، ولكنها عمل الله الجديد فينا، والجديد جداً الذي ليس فيه أي شيء مشترك مع العتيق . المسيح نفسه يمثلها تمثيلاً كلياً أمام الله، فنحن جميعاً — كل من وُلد من الله — نعيش في المسيح، أي في بنوة واختيار — في حالة مصالحة ووجود أمام الله بلا لوم — بسبب المسيح — هذا هو المجد الموهوب لنا مجاناً .

روح المسيح يكشف فينا الخليقة الجديدة:

الخليقة الجديدة لا يكشفها ولا يعلن عنها بوضوح إلا روح المسيح الناطق فينا والشاهد لضمائرنا، وذلك بمقدار شركتنا اليومية بالموت مع المسيح بالروح في السلوك حتى نظهر بطبيعة الحياة الجديدة: «حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦: ٤). «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو ٦: ٥).

والخليقة الجديدة إذا أعطيت فرصاً قوية بالصلاة والالتصاق بالكلمة لتعيش مع المسيح، فإن المسيح يعلن نفسه فيها أو بواسطتها أكثر فأكثر.

الخليقة الجديدة لا نستطيع أن نخلقها نحن لذواتنا، فهي من فوق أما نحن فن الأرض . ولا نستطيع أن ننميها بقدراتنا الذاتية أو نعلنها بأعمالنا أو نبهرن عليها بأقوالنا، لأنها حق، والحق ينمو بكلمة الله فقط وبسر نعمته الفائقة، فالله وحده هو الذي يكشفها ويعلمها ويصدق على وجودها لنا وللناس كعمل من أعماله الخاصة «لأننا نحن عمله» (أف ٢: ١٠). إنها ستبقى إلى الأبد سر المسيح الخفي فينا، بالرغم من أننا سنتحول إليها في النهاية كلية، ونستعلن فيها «لقد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، ومتى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ يُظهرون أنتم معه أيضاً في المجد» (كو ٣: ٣).

الخليقة الجديدة هي الجزء الناطق بالحق فينا الذي من الله والذي يشهد بالحق لله تماماً، لذلك هي أعلى من كل قدراتنا لأن كل قدراتنا هي دون الحق: «أنا قلت في

حيرت إن كل الناس كاذبون» (مز ١١٦: ١١).

تغيرنا إلى الخليقة الجديدة، وشهادة المسيح فينا:

الله لم يشأ بعد السقوط أن يبقى كيان الإنسان بعيداً عن الوجود الإلهي، أو متغرباً عن الحق الإلهي إلى الأبد، لقد عاد وأشركتنا في وجوده الحقيقي هذا عندما تجسد والتحم البشري بالإلهي لحسابنا، وعندما سلّمنا اللاهوت في سر الجسد والدم لتأكله، وعندما قام من الأموات، ونفخ فينا من روح قيامته، وجعل وجوده وراحته وسكنه فينا: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧). هكذا تغير كياننا، ولا يزال يتغير كل يوم، لتأخذ الخليقة الجديدة فينا ملء وجودها في الله بالتغير الدائم، من الظلمة إلى النور، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح. ولكن قوتنا الجديدة تبقى دائماً مع كل مواهبنا الجديدة مخفية ومستترة في المسيح شخصياً، الذي يحيي خلقتنا الجديدة ويوجدنا من العدم.

وهكذا بقدر ما نستعلن المسيح المصلوب والقائم من الأموات بالمعرفة عبر الكلمة وبالخبرة عبر السر نستعلن أنفسنا، وكلما تعرّفنا على حقيقة المسيح تعرّفنا على وجودنا وعلى الحق الذي فينا، وكلما شهدنا للمسيح وأعلّناؤه كلما ظهرت قوته الفعّالة ونعمته المستترة فينا!! فالمسيح كخبرة عشرة وحياة، يكون في البداية تذوقاً بديعاً للمصالحة التي تمت بيننا وبين الله، نحسها في حركات تقديس إنساننا الجديد عند بدء التوبة، وبالنهاية يصير مجدنا وإكليل حياتنا بالحق. فكيفاننا الجديد كله منه «نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه» (أف ٥: ٣٠)!! وإن كان ليس الجميع يستطيعون أن يشهدوا له، ولكن كل من هم للمسيح لهم المسيح بكل ما له، وميراثهم ونصيبهم باقٍ لهم، مستتر وخفي عن عيونهم إلى يوم استعلائه، كالجنين الذي يخرج من بطن أمه فجأة!!

□

الخليقة الجديدة، وحالة الخطيئة:

ولكن السؤال الذي يغيّر القلوب ويطرح اليأس أحياناً على تفكيرنا هو: ولماذا بعد

نخطيء؟... أو كيف و بعد هذا كله ، وفي صميم الخليقة الجديدة نخطيء؟ وما هي نتيجة الخطيئة هنا؟؟

هنا الإجابة جدية بالإنتهاء ، فالخطيئة التي تُعرض على الإنسان الجديد والتي تواجه هذه الخليقة الجديدة القائمة من الأموات لا تنبثق من كيائنا بعد ، كطبيعة ، بل كصراع ضد طبيعتنا الجديدة!

فالإنسان ، مهما كان وحتى ولو كان في أوج حياته الجديدة ، فهو لا يزال معرضاً أن يشور و يفضض و يحقد و يكذب و يشتهي . كل هذا لا يحسب أنه ثمرة للطبيعة الجديدة ، بل هو نتيجة للصراع الدائرين القديم والجديد المتطور دائماً لحساب الله : «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غل ٥: ١٧).

هنا مطلوب من الإنسان نفسه أن يتولى مهمة إدانة نفسه حتى لا يقع تحت دينونة الله لأن كيانه الحق والجديد «الخليقة الجديدة» الذي تسلمه من الله ، مُطالب أن يعمل عمل الله تماماً . الإنسان هنا يدين نفسه ويحكم على ذاته و يوبخ و يعترف و يعاقب : «لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِم علينا» (١) (١ كور ١١: ٣١).

هنا الإنسان ، وهو في عمق المذلة وهو واقف يحاكم ضميره و يصدر على نفسه حكم دينونة بلا رحمة ، لا يزال هو هو نفسه قائماً أمام الله في حالة صلح وصفح وتبرير بواسطة المسيح الذي يشفع فيه ويحامي عنه و يكفّر!...

هنا دينونة الإنسان لنفسه هي بعينها برهان قيام ووجود صوت الحق وناموس القداسة والبر ساكناً في أعماق خلقته ، حيث يحاصر الخطيئة في الضمير الصالح ، و يضعها موضع الملامة الشديدة ، و يفرزها كعمل غير منسجم مع الطبيعة الجديدة . وهذا مجد ذاته يكون توطئة لقبول براءة المسيح القائمة على دينونة مماثلة لنفس الخطيئة ، سبق فدفع المسيح عنها

(١) هنا سر الإعتراف وتقرير التوبة وقبول قانون يتناسب مع الخطيئة يعتبر عملاً من أعمال حفظ الخليقة الجديدة .

بالكامل من دمه الذي قلّمه «بروح أزي» (عب ٩: ١٤)؛ بحيث إذا لم يكن هناك دينونة وملازمة من الضمير على أعمال الخطية والتعدي، يكون هذا برهاناً واضحاً على عدم غسل الضمير بعد برش دم المسيح من الأعمال الميتة، كما يشير صراحة أن إنساناً مثل هذا قد بدأ يملك الخطيئة على أعضائه المائتة مرة أخرى.

الخبرة العملية،

بجبال لاستعلان حقيقة الخليقة الجديدة فينا:

على أن وجودنا في المسيح ووجود المسيح فينا، حقيقة لا يمكن أن تُستعلن إلا بالخبرة الحية، ولا تنمو إلا بمعرفة المسيح في ذاته، هذا الوجود يختلف تماماً عن وجودنا الشخصي المادي، هو وجود آخر.

ودخولنا في بداية الخبرة العملية بوجود المسيح وتذوّقنا معرفته وحصولنا على تدخّله في حياتنا ينشئ فينا وفي الحال إحساساً بوجود آخر لنا (الخليقة الجديدة)، وجود أعلى من وجودنا، ولكنه لا يكون ملكاً لنا بل يكون ويظل دائماً مستمداً من المسيح وقائماً فيه «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤).

ليس الجميع قادرين على الدخول في هذه الخبرة العملية في بادئ الأمر، ولا جميع القلوب مستعدة للتعرف على وجود المسيح الذي فيها بسرعة، لأن اكتشاف وجوده وعمله إنما هو بلوغ التخصص في العلاقات مع المسيح، فالمسيح قد يكون موجوداً وعاملاً، ولكن غير منكشف. أما الذين أدركوا وجود المسيح فيهم فهولاء هم الذين تعيّنوا أن يقودوا الصفوف، إذ انفتحت أعينهم وآذانهم للشهادة ولتطمين الذين أخذوا المسيح ولم يدركوه بعد بالإحساس.

إذن يكفي أن نعيش في تواضع سر المسيح، إذا لم نستطع أن نعيش جهاراً في استعلان مجده، حتى يمين الوقت الذي نراه فيه وجهاً لوجه وقلباً لقلب.

مركز المسيح وعمله في الخليقة الجديدة:

ولكن ليس معنى هذا أن معرفة المسيح والإحساس به وبلوغ برهان وجوده معنا أمرٌ

شاق أو عسير أو كأنه موهبة عالية خاصة؛ فالمسيح متواضع، ومفتاح الدخول إليه والتعرف عليه هو من هذه الصفة ذاتها، فكل تواضع حق وكل خضوع حق وكل انقياد صادق للروح القدس، كفيل بأن يوصلنا إليه لنعيش معه. أما هذا التغيير فهو في مضمونه الكلي تغيير من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح. أي يلزمنا أن نكون مستعدين لتغيير صميمي في استخدام حواسنا كلها من مستوى التراب واللحم والدم إلى مستوى الروح. يلزمنا أن نكون مستعدين منذ البدء أن نعيش في آخر—أي في المسيح—ولا نعيش بعد في أنفسنا. يلزمنا أن يكون المسيح هو موضوع معرفتنا التي تستنفذ اهتمامنا في الحياة حتى يتم التحول والانتقال من حياة تدور حول ذاتنا—أي وجودنا الذاتي—إلى حياة تتمركز في مصدر وجودها الحق—أي المسيح!...

ونبه جداً أنه يلزمنا أن نستسلم لقيادة المسيح الخفية لعبور مضائق حرجة كثيرة حتى نتخلص تماماً من قيادة الذات المضللة وارتباطاتها الشديدة بأجساد وشهوات الأرض والناس واللحم والدم والعالم، ثم يتحتم الإحتراس أشد الإحتراس من عمليات التزييف، أي تزييف الممارسات الدينية والروحيات لإقناع الإنسان بالإكتفاء، وهكذا ينجح الشيطان في سد الطريق أمامنا نحو التغيير الضروري والحتمي اللازم لنا.

أما كل هذه الإستعدادات فهي ليست عسيرة على المتواضعين الذين اشتبهوا الحياة مع المسيح وخدمته والشهادة له، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا أن المسيح موجود بالفعل فينا ونحن جميعاً أخذنا من ملئه ملئاً ومن وجوده فينا وجوداً جديداً لنا حياً فعلاً؛ فالدعوة لاكتشاف وجود المسيح وملئه ليست أكثر من اكتشاف حقيقة قائمة في صميم حياتنا ووجودنا، ونحن فقط تائهون عنها!...

كما ينبغي أن نعرف أن وجود المسيح فينا وحصولنا على الملء الجديد، الذي هو وجودنا الآخر، وحياتنا الأبدية وخلقنا الجديدة وميراثنا السماوي، كل هذا هو عمل المسيح وليس عملنا نحن: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

لقد أكمل المسيح كل متطلبات خلقتنا الجديدة بشخصه في نفسه وبنفسه، بكل حكمة وفطنة وبكل معاناة حتى سفك الدم، لكي يجمعنا جميعاً في ذاته بلا أي مانع أو صعوبة من جهتنا. يكفيننا أن نؤمن فنجدّه، و يكفيننا أن نرجوه فيفتح أعيننا، و يكفيننا أن نحبه فنراه داخلنا ونرى أنفسنا فيه!... لذلك ينبغي أن ندرك الأمور الآتية:

+ إن كل صعوبة قائمة أمامنا تمنعنا من الاتحاد بالمسيح وقبول وجودنا فيه وأخذ خلقتنا الجديدة منه حياة جديدة، هي صعوبة وهمية قائمة على تشبث الذات بوجودها القديم متعلّلة بعلة الخطية. أي أن الذات تهرب من الموت الإرادي حتى لا تقبل المسيح كوجود آخر بديل لها، لذلك تتمسك بالخطية باعتبارها فرصة وعلة كافية لتبعد الإنسان عن المسيح، وعلة كافية حسب المنطق العتيق أن تحرم الإنسان من الحياة الأخرى، وبذلك تتحاشى الموت الإرادي لتبقى هي بدل المسيح!!

+ وهنا يلزمنا أن ننتبه إلى هذه الحقائق:

أ - إن موت المسيح رفع عنا حكم الموت. إذن، مجرد وجود المسيح فينا (بالمعمودية والتناول) هو عملية تبرير وفداء ومصالحة، حيث تفقد الخطيئة سلطانها المميت (ناموس الخطية القتال والفعال في الأعضاء)، وتصبح الخطيئة بمثابة تأديب وتوبيخ مستمر تعمل لحساب الانتقال من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح، يُرفع أثرها بالتوبة والندم مع العقوبة المناسبة حسب رأي الكنيسة. ولكن لا ترق الخطية قط إلى حكم الإعدام!!

ب - إن جسد الخطية الذي تركّز فيه اللعنة والموت والذي تمثله الآن الذات البشرية المنعطفة نحوه، قد صُلب فعلاً مع المسيح ومات وتمّ فيه حكم الموت واللعنة على الصليب: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو ٦: ٦)، فأصبح لا أثر لوجود اللعنة فيه بالنسبة للإنسان الجديد.

بل لو توخينا الدقة الروحية، لاستطعنا أن نقول أنه بمجرد حصول الإنسان على

الخليقة الجديدة بوجود المسيح فينا، يصبح الإنسان العتيق ليس إلا جسداً ميتاً بالنسبة للمجال الروحي الجديد، لأن ناموس لعنة الموت متوقف عن التأثير الفعال فيه بل وصار الجسد ميتاً أيضاً؛ أي أنه قد استكمل عقوبة الموت فعلاً وصار بلا قيمة من جهة تهديد الشيطان، فالخطية وإن كانت لا تزال تعمل فيه فهي لا تملك أن تهدده بالموت الأبدي: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠). أي أن الإنسان العتيق لم يعد له الوجود الفعّال بالنسبة لفقدان سلطان الخطية القاتل فيه، «لأن الذي مات (مع المسيح) قد تبرأ من الخطية» (رو ٦: ٧)، وعضواً عنه يحيا الإنسان الجديد في المسيح وبالمسيح. والقبر هو نهاية هذا الجسد، فالقبر هو معموديته الأخيرة الحتمية الذي يموت فيها بالفعل بكل ما فيه وله، حيث يفقد آخر ما تبقى منه من عيوب وخطايا بعد فداء الصليب، وفي النهاية يقوم ليأخذ كيانه الجديد بالقيامة، لكي يكون على صورة جسد المسيح.

ج — نحن الآن لا ننتظر أي حكم بالموت بعد أن ولدنا الله ثانية بقيامة المسيح من الأموات، وأخذنا خلقتنا الجديدة بالمسيح وفي المسيح بالإيمان في المعمودية والإفخارستيا. لقد تم فينا حكم الموت كعقوبة كاملة عن كل الخطايا بأثر رجعي ومستقبلي أيضاً: «لأنه إن كان واحد (المسيح) قد مات من أجل الجميع فالجميع إذن ماتوا» (٢ كور ٥: ١٤)، وإلا ما كنا أخذنا ميلاداً ثانياً أو خلقة جديدة سمائية أو طبيعة جديدة لا تموت بعد!!

و يستحيل بعد أن جُزنا حكم الموت مع المسيح على الصليب أن يتكرر علينا مرة ثانية بأي حال من الأحوال أي نوع من الجزاء «لأن الموت الذي مات به — المسيح — قد مات به للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها الله. عالين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ١٠ و ٩).

د — ولكن ليس معنى أن الله لما ولد البشرية ثانية بقيامة المسيح من الأموات، وأن المسيح لما تقبل حكم الموت عن كل إنسان؛ أن كل إنسان أكمل خلاصه تلقائياً دون

أن يتحد بالمسيح الذي مات وقام . ولكن معناه أننا أخذنا كل المبررات والوسائل والحقوق العامة التي نكلل بها اتحادنا بالمسيح بالموت والحياة، فإذا «أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢: ٣) المدفوع ثمنه غالياً، فإنه لا يصبح من نصيبنا ولا ننفع به، ونسقط دونه. فالمسيح حل خطايا كل إنسان في العالم أجمع في جسده على الخشبة ودفع ثمن فداء كل إنسان بدمه، ولكن لن ينفع من هذا إلا الذي يأخذ المسيح في نفسه ولنفسه ليستمد منه حكم البراءة وحق الحياة والخلود. إذا أخذنا المسيح بوسائط النعمة المتاحة مجاناً في أنفسنا لأنفسنا وأصبح هو حياتنا، فهنا فقط ننفع من حكم الموت الذي جازة عنا، بل فينا «مع المسيح صُلبتُ» (غل ٢: ٢٠)، وقوة القيامة من الأموات التي حققها عنا وفينا «أقامنا معه» (أف ٢: ٦).

وإذا أنا أكلت جسده الحي القائم من الأموات، فهذا يعني أن خطايائي التي حلها في جسده ومات بها فبرأتني منها وقام ببشرية جديدة لي، تصبح كل خطايائي غير موجودة أو غير محسوبة عليّ إلى الأبد؛ وإذا شربت دمه، فهذا يعني أن دمه الطاهر القدوس الذي دخل به إلى الآب كذبحة فداء ومصالحة، يصبح هذا الدم فتى غسلاً إلهياً للقداسة والتطهير والفداء والمصالحة الدائمة مع الآب. «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١ كور ٦: ١١).

أي أن وجود المسيح فينا بكلمته وبروحه وجسده ودمه هو الضمان المستمر لتكميل خلقتنا الجديدة وخلصنا. أما نحن بدون المسيح وبدون جسده ودمه، فأعمال المسيح تصبح بلا أي قيمة ولا فاعلية لنا، لأنها تظل خارجة عنا لا تعمل فينا.

لذلك ينبغي أن لا ننسى أبداً أننا بدون المسيح نبقى مرفوضين، غير أن قبولنا المسيح لا يعني مجرد إيمان لفظي أو فكري، ولكن يعني قبول حياة جديدة في المسيح بسلوك جديد ووجود آخر فقال بالروح القدس غير وجودنا الذاتي لأنه يشمل قبول موت حقيقي وقيامة حقيقية عن ذواتنا والعالم، وكل هذه الأمور ليست صعبة أو بعيدة عن الإنسان بل هي موهوبة له مجاناً بالإيمان، فإن قبلها حازها في الحال، وإن استصعبها ولم يصدقها تظل

بعيدة عنه و يظل محروماً منها .

هـ— إن قيامة المسيح من الأموات بحياة جديدة في جسده الذي أخذه منا ، لم تبقَ مكتومة ولا مخفية ، بل أعلنها الله بقوة وبشهادة الروح القدس ، حتى نعلم أنها هي قيامتنا وحياتنا كلنا ، وحتى تصير لنا كفعل إيجابي منظور يعمل في حياتنا الآن ليحدثها كل يوم وكل لحظة ، كفعل نحياء الآن بكل تحقيق و يقين ، لأن قيامة المسيح بجسدنا هي هي قيامتنا التي نلنا بها دخولاً إلى دائرة وجود الله وحياته . ونحن لا نجاهد لكي ننال قيامتنا مع المسيح بالروح الآن ، بل هي هبة وفعل سري ، مناسب لكل واحد فينا ، يهبه لنا بالإيمان : « فنفع فيهم وقال اقبلوا الروح القدس » (يو ٢٠: ٢٢) !!

فإذا قبلنا قيامة المسيح كقوة فعالة إيجابية في صميم وجودنا الروحي الذي نستزيده بالكلمة والأسرار ، فهذا معناه أننا قبلنا الموت — أيضاً — كفعل ، له عمله وأثره بالنسبة لحياتنا اليومية من جهة الجسد الخطية «من أجلك فمات كل النهار» (رو ٨: ٣٦) ، أي أننا نعتبر أنفسنا كل يوم أحياء من بين الأموات مع المسيح ، بإيمان ورجاء حي أننا نعيش كل يوم ملء فرح القيامة بشعور من هم متبررون بدم المسيح .

إن قوة القيامة التي تسري فينا بسبب فرحة الشركة في قيامة المسيح المجانية تزكي بالتالي قوة الموت أو الإماتة عن الخطية ؛ حيث الخطية لا تستطيع بعدئذ أن تحجزنا عن المسيح ، ولا أن تحرمنا قط من دم المسيح ، ولا تقوى أن تحجب عنا مجد القيامة ، لأننا لن نخطيء بعد خطية للموت ، بل إن أخطأنا ، فسنخطيء للتأديب والتوبيخ والتعليم والإنذار خطية قابلة للتوبة والغفران ، لأننا نحياء مع المسيح .

و— إن الحظوة المجيدة التي نالها المسيح لدى الآب بعد طاعة الموت حتى الصليب وقيامته بمجد الآب وجلسه عن يمين العظمة في السموات ، هي في الحقيقة وفي الأساس حظوة لنا نحن ، إنما أخذناها في شخص المسيح لتبقى دائمة إلى الأبد : « وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ... وأنا ممجد فيهم » (يو ١٧: ٢٢ و ١٠) . ولما جاء المسيح صوت من

السَّاءُ: «مَجْدُتْ وَأَجْمَدُ أَيْضاً»، رَدًّا عَلَى طَلِبَتِهِ أَنْ الْآبَ يَجِدَ ذَاتَهُ فِي الْمَسِيحِ، نَبَّهَ الْمَسِيحُ فِكْرَنَا أَنَّ هَذَا الرَّدَ الَّذِي جَاءَهُ مِنَ السَّاءِ هُوَ مِنَ أَجْلُنَا: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِ صَارَ هَذَا الصَّوْتُ بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ» (يُو ١٢: ٢٨-٣٠).

إِذْنًا، فَطَالَمَا نَحْنُ قَائِمُونَ وَثَابِتُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، فَنَحْنُ فِي حَالَةٍ صَلَاحٍ وَسَلَامٍ دَائِمٍ مَعَ اللَّهِ وَفِي حَالَةٍ نِعْمَةٍ مُقِيمَةٍ «فَإِذَا قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ» (رُو ٥: ١-٢).

لِذَلِكَ إِذَا أَخْطَأْنَا فَلَنَا شَفِيعٌ قَائِمٌ دَائِمٌ أَمَامَ الْآبِ يَشْفَعُ فِي الْمُنْذَرِينَ، لَقَدْ صَارَ الدِّيَّانُ (الْمَسِيحُ) شَفِيعاً، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْتَكِيَ عَلَيْنَا، وَشَفَاعَةُ الْمَسِيحِ لَيْسَتْ جَزَافاً، بَلْ هُوَ دَفَعَ ثَمَنَ خَطَايَانَا بِنَفْسِهِ، وَدَفَعَهَا عَنَّا لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّنَا مَظْلُومُونَ!!

ز- إِنْ إِقَامَةَ اللَّهِ لَنَا مِنَ الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ، وَهَبَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي أَعْطَانَا إِيَّاهَا بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، نَحْمَلُ فِي مَعْنَاهَا صَفْحاً كَلِياً غَيْرَ مُشْرُوطٍ وَمَصَالِحَةٍ نَهَائِيَّةٍ بَلَا رَجْعَةٍ أَوْ نَدَمٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِهَا لَنَا كَوَعْدٍ أَوْ قَسَمٍ بَلْ أَعْطَاهَا لَنَا فِي شَخْصِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ الْمَحْبُوبِ الَّذِي تَبَتَّى قَضِيَّتُنَا وَتَبَتَّى طَبِيعَتُنَا وَتَبَتَّى ضَعْفُنَا، فَالْعَطِيَّةُ مُضْمُونَةٌ بِضَمَانِ تَجَسُّدِ ابْنِ اللَّهِ فِي جَسَدِنَا وَقَائِمَةٌ بِقِيَامِ ابْنِهِ بِجَسَدِنَا الْآنَ فِي السَّاءِ وَثَابِتَةٌ بِثَبُوتِ شَخْصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ كَشَفِيعِ عَنَّا.

اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْمَبَادِرَةَ بِنَفْسِهِ نَزُولاً وَتَنَازُلًا إِلَيْنَا، وَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ وَوَعَدَ وَتَجَسَّدَ وَأَكْمَلَ كُلَّ مَا يَلْزِمُ خَلَاصَنَا وَتَجْدِيدَنَا وَتَبَرِيرَنَا وَتَقْدِيسَنَا، وَوَهَبَ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ طَرَفِ وَاحِدٍ هُوَ طَرَفُهُ هُوَ، دُونَ أَنْ يَسْبِقَ وَيَشْتَرِطَ عَلَيْنَا وَلَا شَرْطاً وَاحِداً، «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا... أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ» (أَف ٢: ٥١)، وَلَا طَالِبْنَا بِطَلَبٍ أَيْ كَانَ، فَالْعَطِيَّةُ فَائِذَةٌ التَّأَكِيدِ، فَائِذَةٌ الْمَجَانِيَّةِ، فَائِذَةُ السَّخَاءِ، فَائِذَةُ اللَّطْفِ، فَائِذَةُ الرَّحْمَةِ!!

ح- إِنْ خَلَقْنَا الْجَدِيدَةَ بِمِيلَادِنَا الْجَدِيدِ وَبَطَبِيعَتِنَا الْجَدِيدَةِ وَحَيَاتِنَا الْجَدِيدَةَ عَمَلِ

كامل أكمله الله لنا في شخص ابنه الوحيد والمحبوب يسوع المسيح ، ليكون لنا حقيقة حياة وموضوع إيمان منظور ورجاء حي نعيشه بالرغم من كل ضعفنا وخطيتنا ومسكنتنا وذلتنا في الحاضر . فالإنسان الجديد ليس أمل الإنسانية الذي تسعى إليه من وراء السراب والذي تنشده في حاضرها المظلم — كما يظن بعض الناس — بل هو رجاؤها الحي الذي تعيشه بمنتهى الثقة واليقين ؛ وهي تُحقّق وجوده وكيانه بالإيمان والجهاد والسلوك في صميم الحاضر ، حيث يُبتلع الضعف والخوف والموت والخطية إلى غلبة ونصرة في شخص يسوع المسيح الغالب الذي أكمل ذلك كله علناً وجهاً ليكون نصيبنا الدائم ، إنْ تمسكنا به ثابتين حتى النهاية .

فنحن غالبون ومنتصرون في شخص يسوع المسيح ، بالرغم من عجزنا وقصورنا وضعفنا الذي يحمله عنا المسيح بحبه العجيب وإنكاره لذاته وإخلائه لنفسه ، الذي لا يزال يباشر به حل كل ألقاننا !! لذلك كل من يؤمن به لا يخزى أبداً !!

لقد ضمن لنا المسيح خلاصنا وحياتنا وقيامتنا ، إنْ تمسكنا به وحفظنا وصاياهِ وسرنا في نوره ، وهو ضامنٌ ذلك بحياته هو وقيامته هو «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو: ١٤: ١٩) !! وحياتنا وقيامتنا فيه قوة وفعالة وقادرة فعلاً أن تغلب ضعفنا وخطيتنا وأن تحيي وتقيم من الموت !

كذلك فإن ضمان خلاصنا وحياتنا الأبديّة أمرٌ يتعلق أيضاً بكرامة الله الآب نفسه الذي بذل ابنه «حتى لا يهلك كل من يؤمن به» (يو: ٣: ١٦) ، والإبن من جهته أطاع بالفعل حتى الصليب «وذاق بنعمة الله الموت عن كل واحد» (عب ٢: ٩) ، فكيف بعد ذلك يحنث الله أو يعجز عن أن يهبنا معه كل شيء يلزم لخلاصنا ؟؟

ط — إن كل التوكيدات والضمائن التي قدّمها لنا الله الآب لميلادنا الجديد وخلقنا الجديدة للحياة الجديدة ، والتي أكملها لنا في ابنه بكل حكمة وفطنة لتبقى حية وثابتة أمام أعيننا ، والتي دفع ثمنها المسيح بذبيحة نفسه على الصليب وبدوقه الموت

عن كل واحد بكل طاعة وخضوع للآب وكل انسحاق وتذلل إزاء البشر حتى الفضيحة والعار دون أي تردد أو تامل ؛ كل هذا — من جهة الله — يحتم علينا أن نلتفت لأنفسنا كيف نرد على هذا من جهتنا نحن ؟

إنه لولا حالة البؤس والشقاء الذي نحن فيه ، ولولا وقوعنا تحت الرفض والقصاص وحكم الموت باكتساب الخطية مجاناً كجزء من ميراثنا المشؤم من آدم ، ولولا أننا في ذلك كله شبه مظلومين ومغويين من قِبَل سلطان الشر العامل في طبيعتنا بقوة تفوق إرادتنا وإمكانياتنا ؛ لولا كل ذلك لما أظهر لنا الله كل هذه الرحمة وكل هذا البذل وكل هذه التنازلات في نفسه ليخلقنا خليفة جديدة لنفسه والتي أكّدها لنا في إبنه المذبح على الصليب والقائم من الأموات ، لتقوم كشاهد دائم أبدي على تفوق رحمته فوق الظلم الذي حيك لنا ، وعلى تفوق نعمته فوق ضعف طبيعتنا الذي ورثناه دون إرادتنا ، وعلى تفوق تنازله فوق انسحاقنا وذلنا وشقائنا الذي نكابده بلا أمل في أنفسنا .

ي — إذن فالظلم الذي نعانيه من عدو مقاوم ، وضعفنا وخطيئتنا التي ورثناها في جسد التراب هذا ؛ كل هذا منظور لدى الله بنظرة فاحصة وازنة وعميقة ، مُجَابٍ عليه بإشفاق يفوق الوصف ومردود عليه ببذل كبير يفوق العقل ورحمة كثيرة ونعمة فائضة بقوته الخاصة الذاتية الحاضرة معنا كل حين ، لضمان أن لا يختل ميزان القوى قط لحساب العدو في حياتنا وخلقنا الجديدة !! «أحبي وأسلم نفسه من أجلي» (غل ٢: ٢٠).

فكما تبتلع النار المتأججة قطرة الماء في لحظة ، هكذا يبتلع الله خطايانا بروحه القدوس وفعل دم إبنه ، بغيره أشد تأججاً من لظى النار المتقدة . وكما تعترض الشمس المشرقة الظلمة فتبدها وتحوها إلى نور ورؤيا صافية ، هكذا أرسل الله لنا إبنه ليبدد حزننا وشكوكنا وانشقاقنا وظلمنا حتى لا يبقى في ذهننا تجاه الله إلا يقين الرحمة الصافية والمحبية الواضحة المحتضنة لحياة الإنسان الذي خلقه على صورته ، أي كل ما فينا من خطية وعجزو يأس وظلم وضعف يفوق إرادتنا ؛ هذا كله قابله الله برحمته وحب ولطف

وقوة وبذل يفوق الوصف .

لذلك أصبح بقدر ما ملكت خطيتنا فينا وبقدر ما يربعنا ضعفنا و يذلنا يأسنا أحياناً من جهة إنساننا العتيق رفيق شقاتنا ومثير تعاستنا ، بقدر ما أصبح لنا من جهة الله رجاء حي بصداقة يسوع المسيح في حياة جديدة بسلام ونصرة تفوق العقل . بل أصبح لنا نعمة نلقي عليها كل رجائنا ، وصار لنا فيه صلح وبروقداسة وفداء كحق أبدي لإنسان جديد مؤمن عليه لا يمكن أن يتراجع عنه الله أو يسقط مرة أخرى من رحمته كما سقط آدم قديماً !!

ك — ولكن إذا وضعنا هذين الموقفين أو هاتين الحاليتين معاً: موقفنا أو حالتنا بما فيها من ضعف وخطية وإحساس بالظلم واليأس من جهة أنفسنا الذي هو إحساسنا بإنساننا العتيق ، ثم موقف الله نحونا بضمأن ابنه يسوع المسيح من أجلنا ، الذي هو مصدر مؤهلات الإنسان الجديد ، بما فيها من رحمة متعاطمة جداً وحب ولطف وإشفاق وبذل حتى الدم وفداء معروض مجانياً ؛ نقول : إذا وضعنا هذين الموقفين معاً ماذا ينبغي أن ينتج من ذلك ؟

أ — إيمان برحمة الله في حياتنا الجديدة يفوق ضعفنا ، إيماناً ييقين وثقة يتناسبان مع قوة تناهي رحمة الله فوق شدة ضعفنا .

ب — إيمان بمحبة الله الآب وبذل دم ابنه يسوع يفوق خطايانا كلها ، إيماناً ييقين وثقة تتناسب مع منتهى فعل محبة الله الخالقة والمجددة لخلقتنا ، ومنتهى أثر دم المسيح في الغفران والتطهير والتقدیس فوق كثرة خطايانا ونجاسات أفكارنا وقلوبنا مهما بلغت ...

ج — إيمان بقوة الله الآب التي أظهرها الله علانية في قيامة ابنه من الأموات من أجلنا أي مجسداً ، إيماناً يفوق موتنا الذي يهدّ كياناتنا بكل نوع ، إيماناً ييقين وثقة يتناسبان مع تناهي قوة حياة الله فوق شدة مفاعيل الموت وأمراض الموت التي تعمل فينا ...

ل — فإذا وصلنا إلى يقين الإيمان والثقة الكاملة بتناهي رحمة الله وحبه في حياتنا الجديدة وبذله الدم لتقديسنا وشدة قوته التي تعمل فينا لتجديدنا على الدوام فوق ضعفنا وخطايانا وموتنا الذي نحسه في إنساننا العتيق ، فإذا ينبغي أن ينتج عن ذلك ؟

١ — طاعة الله ، وتوقير لكرامته ، وخضوع شديد له ينبغي أن يبلغ إلى درجة التشبث الكامل ، تشبث الغريق وقد قبض بجنون على حبل النجاة ، حتى يزداد تناهي الله في عمله باستمرار تجاه شدة ضعفنا .

٢ — تسليم لمشيئة الله ، تسليم كلياً بلا أي خوف أو تحفظ أو خجل ، مع شكر متواصل يعطيه الله كل المجد والكرامة التي تنازل بها نحونا ، تسليم يقودنا في حياتنا الجديدة ضد مشيئتنا وأهوائنا القديمة ، مع إحساس دائم بأن أي ميل نحو تكيل مشيئة الذات في الطريق هو ضياع لمهبة الله وبالتالي إضعاف ليقين الإيمان الذي من شأنه أن ينقص من قوة عمل الله فينا ، فيزيد مرة أخرى من ضعفنا ؛ حتى نضطر بدون أي وجه حق أن نسلّم مرة أخرى ليد أنفسنا ولأهواء شهواتنا وغرورنا .

٣ — عدم اعتبار لأي بر شخصي أو استحقاق ، مهما بلغت أعمالنا في صورة التقوى والعبادة ، بل يبقى تمسكنا بعمل الله الذي عمله من أجلنا في شخص ابنه وحده تمسكاً ثابتاً شديداً سواء من داخل ضمائرنا أو من خلال الأعمال التي نمارسها بإيمان ثابت لا يتزعزع برحمته المجانية الخالصة كنعمة بلا مقابل ؛ بحيث يصبح عمل الله المستعلن في المسيح من أجلنا ، خصوصاً في القيامة من الأموات ، صورة كاملة ونموذجاً — لا يغيب عن ذهننا قط — لما يشاء الله أن يخلقه جديداً ويكمله فينا دائماً... لأن المسيح هو عينه نصرتنا وبكر القيامة من الأموات ، وهو النموذج الحي لقلبنا على الخطية والموت والهاوية ، وهو رأسنا ورأس الكنيسة الإلهي الذي سيقم كل الجسد بكل الأعضاء بمجد الآب وكرامته .

٤ — لا بد أن نحس أن الله ألقى بكل ثقله الإلهي ، بكل مجده وكرامته ، بكل حبه وتنازله لخلاصنا وتبريرنا وفدائنا وقيامتنا من الموت لإعدادنا وتقديسنا لحياة الشركة

معه ، إن هذا الإحساس ينبغي أن يتحدى كل نظرة متشائمة من نحو واقع الإنسان العتيق الذي لا يزال يزرع تحت ثقل الأهواء والشهوات والضعفات ويتصرف في خداع الغرور ومكر الشهوة .

إن مثل هذا التحدي يجعلنا دائماً نلتي بكل ثقلنا وبكل ضعفنا على النعمة ، لنكون منحازين لعمل الله ، منحازين لمشورة الله ، منحازين في أعماق ضميرنا لنصيب الله مهما كان حالنا .

إن مثل هذا التحدي نافع جداً للتقليل من شأن الخطية وسلطانها وغرورها .
إن مثل هذا التحدي ينقلنا سريعاً من الإحساس بالإنسان العتيق المكروه وماضيه المظلم ، إلى الإحساس بالإنسان الجديد المحبوب ومستقبله السعيد المشرق !
هذا الشعور المفرح استطاع واضع الأبصلمودية المقدسة أن يعبر عنه بقوله : « هو أخذ الذي لنا ، وأعطانا الذي له ، فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً » !! (ثيوتوكية الجمعة) .
وهذا بعينه هو الشعور الإلهي الذي أمل على القديس بولس الرسول قوله لأهل كورنثوس :
« لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا ، لنصير نحن براءاً لله فيه »
(٢ كوه : ٢١) ، وقول هوشع النبي قديماً « سأدعو الذي ليس شعبي شعبي ، والتي ليست محبوبة محبوباً » (رو ٩ : ٢٥) .

م — فإذا استطاع الإنسان بيقين الإيمان وبثقته الشديدة في الله أن يقدم الطاعة والتسليم لله متمسكاً بعمل الله الذي أكمله لنا في شخص يسوع المسيح ، ثم إذا استطاع أن يواجه ضعف الإنسان العتيق بتحدى تصميم الله نفسه على خلاصنا وتقديسنا ، الذي عزم عليه الله وحدده بكل ثقل مجده وكرامته ، نعم ، إذا استطاع الإنسان ذلك ؛ فإنه حتماً يأخذ قوة للعمل ، قوة للجهاد ، قوة للمصراع ، بلا هواده ضد الإنسان العتيق .



فما هو هذا العمل والجهاد والصراع الدائم ضد الإنسان العتيق وما هي قوته ؟

+ إن أهم عمل لازم لخلاصنا وعمم علينا كأولاد الله ، وفي نفس الوقت هو أول عمل يهتم الله نفسه وقد وعد بتقديم كل المساعدة اللازمة له ، هو حصولنا على الحرية الروحية ، لأنه يستحيل أن نصير أولاداً لله ونحن عبيد للخطية ولشهوات الغرور.

هنا يلزمنا جداً أن نتق بأننا نعمل ونجاهد ونصارع ، لا كعبيد يريدون الحرية ، بل كأولاد صاروا أحراراً ونالوا صك حريتهم بضمان موت المسيح وقيامته ، فهم إنما يحاربون ويدافعون ويصارعون ليملكوا ما هو لهم ، ما هو حقهم الإلهي ، أي حرية البنين ، التي أصبحت من صميم طبيعتهم الجديدة التي حصلوا عليها بروح الله القدوس ! «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو ٨: ١٦).

+ وكأولاد الله حينما نعمل ونجاهد ، فنحن أمام الله الآب وباسمه ولأجل اسمه نصارع . لذلك لن يغيب عن ذهننا أننا مُعانون في جهادنا ضد الخطية وضد شهوات الغرور بروح الله الآب الذي ننقاد له بكل طاعة وخضوع وتسليم . لأننا نعلم أن «كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤).

لذلك فبسبب ضمان مجد الله وكرامته لبنويتنا التي أخذناها حقاً أبدياً في شخص يسوع المسيح ، يلزم أن نتق أننا حتماً منتصرون في كل جهادنا إن كان جهادنا حقاً وحساب الآب وباسمه ولأجل اسمه . فنحن منذ البدء نعلم أن «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤).

+ إن معونة الله الآب لنا التي يقدمها لنا في جهادنا وصراعنا الدائم مع الإنسان العتيق ، نعلم تماماً أنها مقدمة بواسطة الروح القدس الذي إذ يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ، يعمل معنا حتماً لكي نكون في ملء حرية أولاد الله أيضاً ، فهو إنما يؤازرنا بكل

وسيلة ليقدمنا فعلاً لله «حسب شهادته» كأولاد لله، كخلقة جديدة «كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا»، «لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها» (رو ٨: ٢٦).

+ فإن كان روح الله هو المعين والمؤازر في جهادنا وصراعنا ضد الخطية وشهوات الغرور، فهذا يستلزم أن تكون أسلحتنا ليست جسدية — كما يقول بولس الرسول: «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب، إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢ كو ١٠: ٣-٥). هنا بولس الرسول يشير إلى أنه بالرغم من كوننا لا نزال نعيش في الجسد العتيق إلا أن الله أعطانا أسلحة روحانية، هي مواهب الإنسان الجديد. وهذا ينبه ذهننا أن إخضاع الجسد العتيق وغلبة أوجاعه وشهواته وضعفاته الكثيرة إنما تحتاج إلى أعمال معمولة بالروح — أي بحرارة الروح وغيره الروح «ولكن إن كنتم بالروح تسميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨: ١٣)، حتى وإن كانت هذه الأعمال في صورة أعمال جسدية.

فالصوم مثلاً يمكن أن يكون عملاً جسدياً ميتاً ويمكن أن يكون عملاً روحانياً فعالاً وقوياً، فإذا كان مقلماً بالجسد فقط فهو عمل جسدي لا يمكن أن يرقى إلى محاربة الخطية، ولكن إن كان مقلماً بالروح كذبيحة وانسكاب بصلاة منسحقة وبحرارة وغيره وبتوسل مع التمسك بكلمة الإنجيل ومواعيد الله، فهذا يصبح الصوم عملاً روحانياً قادراً فعلاً على هدم الخطية المتحصنة بالجسد حيث يكون الروح هو قوة الصوم، ويصبح الصوم أداة فعالة في يد الله. هنا تكون أسلحة محاربتنا روحية فعلاً و«قادرة بالله على هدم حصون» (٢ كو ١٠: ٤).

وليلاحظ القارئ كلمة «قادرة بالله»، فأعمالنا كلها مهما قدمناها بنشاط وغيره لا يمكن أن ترقى إلى مستوى السلاح القهار الذي يغلب الخطية إلا بالله!!!

وهذا المثل ينبهنا إلى خطر اعتيادنا على تأدية الأعمال الروحية، المعتبرة أنها أعمال إلهية بمجد ذاتها، بصورة روتينية يجعلنا نؤديها بطريقة جسدية كالإعتراف والصلاة والتناول والسجود، وحتى قراءة الإنجيل .

فبالرغم من أن هذه الأعمال قد هيأها لنا الله كوسائل نعمة قوية وأسلحة روحانية فعالة نحارب بها كل أنواع الخطايا وانحرافات الجسد العتيق، ولكن بسبب كوننا لا نرفعها إلى مستوى الحرارة اللائقة بالعمل الروحاني المعمول باسم الآب وللمجد الآب، ولا نرفعها إلى مستوى سلاح الروح المشهور ضد الخطية، بسبب ذلك يضعف عملها ويضع الجهد المبذول فيها بلا ثمرة واضحة .

المدعوة هنا إلى رفع العمل الروحي إلى مستوى السلاح الروحي بكل جدية وحرارة وإخلاص، مستلهمين من الله القدرة على الإستخدام والإستمرار والمثابرة والفعالية .

متى نبلغ الحرية، حرية البنين؟ وكيف نحس بها ونمارسها؟

أو بعبارة أخرى هل لحرينا الروحية مع إنساننا العتيق نهاية محددة نصل إليها فنكون قد وصلنا إلى حرية البنين؟ أو هل يوجد وقت تغلب فيه الخطية نهائياً؟

القديس يوحنا الرسول يوضح ذلك بكل صراحة «إن قلنا أنه ليس لنا خطية نُصل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو ١: ٨). فكأنما يريدنا الرسول أن نتعلم حقيقة هامة تختص بحياتنا الجديدة في إنساننا الجديد، وهي أن صراعنا مع جسد الخطية أو الإنسان العتيق أمر حتمي ولن يكون له نهاية، وأنه في أية لحظة نعتبر أنفسنا أننا قد غلبنا الخطية نهائياً يكون ذلك معناه أننا لسنا على حق وأنها نصل أنفسنا بهذا الشعور المخادع .

ثم يعود الرسول و يعطينا ضمان العهد الجديد ضد الخطية الذي يلغي كيانها: «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب

يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يوحنا ٢: ١-٢). (ولكن يعود القديس يوحنا الرسول ويستثني نوعاً من الخطايا أسمائها «خطية للموت» ليس لأولاد الله أن يخطئوا فيها. وسيأتى الكلام عنها).

فإذا كانت الخطية (بنوعها المغفور) هكذا تترصدنا مدى الحياة، فحق نحصل على حرية البنين وكيف نحسها؟

هنا يلزمنا أن نستعرض عدة حقائق حتى نبلغ إلى كمال الإجابة على هذا السؤال :

فأولاً: ينبغى أن نعلم، كما قلنا ونكرر، أننا لسنا الآن عبيداً نريد أن نتحرر، وإنما بنيناً لله نطالب بحريتنا التي أصبحت حقاً من حقوقنا وطبيعة من صميم طبيعتنا الجديدة.

هذه البنوية هي حق أو حقيقة محتومة أخذناها بالإيمان بإبن الله وجحدنا للشيطان بكل أعماله، وبصبغة المعمودية وانسكاب الروح القدس بالميراث والشركة المقدسة في جسد إبن الله ودمه.

إذن فنحن بنين لله وأولاد بالروح القدس. فإن كنا بعد ذلك نخطئ، فعنا أن حريتنا البنوية أو حريتنا الروحية معطلة جزئياً، ولكن ليست منعقدة أصلاً.

ثانياً: إن كل مرة نعمل فيها مشيئة الآب بصلاة، أو توبة، أو بذل محبة، أو إنكار ذات لخدمة الآخرين، أو جهاد ضد شهوة الذات وغرورها أو بصوم أو تذل، أو تناول باعتراف وانسحاق وشكر؛ فإننا نكون في كل هذا نمارس طاعة لله حقيقية، لأننا إنما نعمل عمل الله ونتمم وصاياه.

إذن، فنحن في هذه الأعمال كلها إنما نمارس عمل البنين بحرية أولاد الله حقاً، ونتذوق حالة حرية حقيقية، حرية روحية، ولو جزئياً.

ثالثاً: إن ممارستنا لحالة الحرية الروحية كأولاد لله أثناء تأدية أعمال الله بروح البنين وطاعتهم تجعلنا في الحقيقة واقعين في دائرة ملكوت الله، والذي دعانا إلى هذا الدخول هو الآب نفسه الذي سكب روح الإبن في قلوبنا حباً وكرامة للمسيح إبنه، ليسهل علينا التحرك من ظلمة العبودية إلى نور أولاد الله «شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته» (كو: ١٢-١٣).

رابعاً: دخولنا في دائرة ملكوت الله والنور سيكشف لنا حتماً أكثر فأكثر مقدار شناعة الخطيئة والظلمة المحيطة بها التي اعترضتنا سابقاً والتي تعترضنا كل يوم، وهذا مما يزيد شعورنا بالنقص والحرمان الأكيد من حرية البنين.

هنا مواجهة صارخة بين موقف الإنسان الجديد في نور الله القائم في طاعة المحبة وتأدية عمل البنين كإبن لله حرّ في بيت الله، وبين موقف الإنسان العتيق وهو يحاول أن يترب من نور الله ويضحى بحرية البنين ليكمل عمل العبودية للظلام الذي اعتاده والذي أصبح مكروهه للإنسان الجديد.

هنا نكون في حالة اختباء من وجه الله وليس طرداً من فردوس رحمة الله. «سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو: ١٢: ٣٥).

خامساً: هنا ينبري لنا المسيح رأس خليقتنا الجديدة، ليدعم موقف الإنسان الجديد لدى الآب ضد حركة عصيان الإنسان العتيق المنعطف دائماً ناحية الخطيئة والإختباء، شكراً لله، فالإنسان الجديد فينا، أي الطبيعة الجديدة لأولاد الله، أصبح لها مَنْ يدعم موقفها أمام الله الآب بصورة مستمرة ويخرجها دائماً من الظلمة إلى النور، ويكمل عجز ممارستها لكمال حرية البنين، لتبقى دائماً أبداً أمام الله في حالة صلح وسلام وتبرير.

المسيح هو لنا — بجد ذاته — حالة تكميل طاعة كلية للآب، وضامن حالة فداء ومصالحة أبدية؛ إذا تمسكنا به بالإيمان والرجاء عن ثقة المحبة، وإذا كنا نمارس وصاياه

كبنين .

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة :

+ إنساناً دائماً خطاة ، ودائماً محتاجون إلى توبة صادقة واعتراف بالخطايا ، حتى ننال عنها غفراناً بالدم المسفوك عنا .

+ كل مرة نخطيء نفقد رؤيتنا لله الآب ، لأن الخطية مظلمة ؛ ونفقد إحساسنا بالحرية كبنين ، لأن الخطية عبودية ؛ ونفقد شجاعتنا لكي نتراءى أمام وجه الله ، لأن الخطية عداوة .

+ كل مرة نعترف بخطايانا يغفرها لنا المسيح بدمه ، ولكن تبقى عيوننا معتمة ولا نرى أننا داخلون دائرة الملكوت .

+ إذا مارسنا أعمال البنين من محبة باذلة وخدمة باذلة وإنكار ذات وتمجيد الآب ، وتأهلنا للإشتراك في الجسد والدم ؛ نعود إلى حالة الحرية ، حرية البنين ، ونذوقها بالفعل ، ولكنها تظل حالة حرية ناقصة لعمل النور الكامل بسبب الإحساس المتواصل بالخطية ، فكأنها طعام حلوممزوج بمرارة .

+ إذا واصلنا جهاد أعمال البنين ، وحفظنا وصايا يسوع وأهمها المحبة ، ينبري لنا المسيح ليكمل كل عجز وكل نقص في عملنا كبنين لله ، وبالتالي يكمل لنا كل نقص في إحساس حريتنا كبنين ، ويحضرنا أمام الآب في النور مرة أخرى بلا لوم في المحبة .

إذن ، شكراً لله الذي جعلنا بالإيمان بدم المسيح مغفوري الخطايا ، وبأعمال الإيمان والمحبة حسب الوصية نذوق حرية أولاد الله ، وبالمسيح تكمّل حريتنا كملاً مطلقاً ، فنفسر في النور ونبقى فيه ونتراءى أمام وجه الله الآب بلا لوم في المسيح . □

ملخص :

المسيح خالق الخليفة الجديدة في نفسه .
المسيح يمنحها بال ميلاد الجديد من ذاته « بالكلمة » .
الخليفة الجديدة مبتدئة منه ، فهو البداية الحقيقية لسيرة الإنسان .
الخليفة الجديدة تنتهي إليه . فهو النهاية والقصد لحياة الإنسان .
المسيح كان يمثل الخليفة الجديدة ، لذلك به قامت ومن أجله تقوم .
الخليفة الجديدة محتفية في الله عن العالم ، لأنها ليست من طبيعة العالم .
الخليفة الجديدة ترى عين الله فقط ، وبكل عين ترى في الله حياتها .
الخليفة العتيقة ورثناها بالجسد ، وهي تذهب معه .
الخليفة الجديدة ورثناها بالنعمة ، وهي تخلد بها .
الخليفة العتيقة يمثلها فينا عمل الخطية حتى الآن ، بإرادة مقهورة كعبيد .
الخليفة الجديدة يمثلها فينا المسيح نفسه بحرية ممنوحة بالتبني لله .
روح المسيح فينا يكشف لنا الخليفة الجديدة ، فهي ظاهرة بحضوره .
والروح القدس هو الناطق فينا بها ، فهي متكلمة بوجوده .
كلما عرفنا وشهدنا للمسيح ، استعلن الخليفة الجديدة كخبرة ، لأنها متصلة به .
الخطية لا تنبثق الآن من طبيعتنا ، بسبب التحول من الموت للقيامة .
بل هي صراع بين القديم الميت والجديد الحي ، فهي سلاح الشيطان يجرح ولا يميت .
المسيح نفسه هو مركز الإنسان الجديد وعمله .
برهان الخليفة الجديدة هو التغير من سلوك لسلوك .
المسيح أكمل كل متطلبات الخليفة الجديدة فينا ، فهي لا تكمل بالجهاد ولكن تُستعلن به فقط .
المسيح أكمل كل متطلبات التبرئة من الخطايا السالفة ، هذا هو ضمير الإنسان الجديد .
المسيح أكمل كل إماتة الجسد العتيق ، هذه هي خلفية الإنسان الجديد .
المسيح أكمل ولادتنا من جديد بعد الموت ، وهذا هو جوهر التبني .
ولذلك يظل فضل الله في إعطائها كلياً .
المسيح أكمل لنا قيامتنا ، وبها نلنا دخولاً إلى دائرة وجود الله وحياته .

نحن لا نجاهد لننال قيامتنا، بل هي هبة وفعل سري نناله بالإيمان.
ولكن قوة هذه القيامة تزكي فينا قوة الإمامة عن الخطية.
المسيح نال لنا حظوة لدى الآب بعد طاعته للموت حتى الصليب.
بهذه الخطوة انتفت شكايه الشيطان ضدنا.
عطية الحياة الأبدية لنا — بقيامة المسيح فائقة في مجانيته وسخائها ولطفها ورحمتها.
المسيح ضمن لنا خلاصنا وحياتنا وقيامتنا، لأن هذا أمر يتعلق بكرامة الآب نفسه.
والآن: مقابل هذا كله كيف ينبغي أن نرد نحن على هذا الضمان والثقة في خلاصنا من جانب الله، بالرغم من ضعفنا وبؤسنا وبأسنا من إنساننا العتيق؟
أ — إيمان برحمة الله، إيمان بحبة الله الآب، إيمان بقوة الله الآب، إيماناً يتناسب مع تناهي قوة حياة الله التي وهبها فينا بالروح القدس.
ب — طاعة لله، وتسليم لمشية الله تسليماً كلياً، وعدم اعتبار لأبي بر شخصي تجاه أي استحقاق، والإحساس بأن الله ألقى بكل ثقله الإلهي بواسطة المسيح إزاء ضعفنا لخلاصنا وإعدادنا لحياة الشركة معه.

عن الجهاد ضد الإنسان العتيق:

+ الحرية الروحية التي تليق بنا كبنين هي أول ما يهتم الله نفسه أن يعطينا إياه.
+ لذلك فنحن مُعانون في جهادنا ضد الخطية، وبها يلزم أن نثق أننا حتماً منتصرون.
+ هذه المعونة مقدّمة لنا بواسطة الروح القدس الذي يشهد معنا ويعمل فينا ويؤازرنا لنبلغ ملء حرية أولاد الله التي هي هدف الله كما هي هدفنا.
+ بسبب تدخل الروح القدس في جهادنا ضد الخطية، تصبح أسلحتنا روحية، وتصير ضمن مواهب الإنسان الجديد، لممارسة الحياة الروحية وأعمال العبادة.
+ صدق عبادتنا وأعمالنا وخضوعنا للروح القدس، هي أداة في يد الله لهدم الخطية المتحصنة بالجسد.
+ فالدعوة هنا أن نرفع أعمال عبادتنا إلى مستوى السلاح الروحي، وأن نحذر من الروح الروتينية، التي تجعلنا نؤدي عبادتنا بالجهد الجسدي فقط دون الحرارة الروحية.
ولكن هل يمكن أن تكون لحرربنا الروحية مع الإنسان العتيق نهاية؟ بعدها نصل إلى حرية البنين حيث تغلب الخطية نهائياً؟

— عن الحرية، حرية البنين :

- + صراعنا مع جسد الخطيئة أو الإنسان العتيق أمر حتمي تخف حدته ولكن لا يكون له نهاية .
- + وذلك مع ضمان المسيح لنا أنه شفيعنا الدائم أمام الآب كفارة لخطايانا .
- + هذا لا يعني أننا ما زلنا عبيداً نريد أن نتحرر، بل نحن بنين نطالب بممارسة حريتنا .
- + ممارسة حريتنا كبنين تتحقق في طاعتنا لله ، إن في صلاة أو توبة أو بذل محبة أو جهاد ضد شهوة الذات أو اعتراف أو تناول من جسد المسيح ودمه .
- + هذه الممارسة تدخلنا في دائرة ملكوت الله بمقتضى دعوة الآب لنا .
- + دخولنا في دائرة ملكوت الله كفيل بأن يكشف لنا أكثر فأكثر مقدار شناعة الخطيئة وظلمتها ، ويزكّي اشتياق الإنسان الجديد فينا للملكوت الله ونوره .
- + اشتياق الإنسان الجديد فينا سيجد المسيح له سنداً يدعمه في حركته فينا ضد الخطيئة .
- + والمسيح من جانبه يظل ضامناً لنا فداءً ومصالحتنا مع الآب ، وهذان يتحققان لنا طالما تمسكنا بالمسيح بإيمان ورجاء وثقة المحبة .
- + وحينئذ نذوق حرية أولاد الله ، ونسير في النور ونبقى فيه ونترأى أمام وجه الله الآب بلا لوم في المسيح ، حيث المسيح يكمل فينا كل عجز البنين وكل نقص إحساسنا بعدم اكتمال حريتنا كبنين .



قيامة المسيح من بين الأموات أنشأت طبيعة جديدة للبشرية تستمد كيانها وعملها منه شخصياً (المقالة الثانية)

المسيح باكورة:

«مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء
حيي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في
السموات لأجلكم» (١بط ١: ٣، ٤).

كانت قيامة المسيح من بين الأموات هي بدء ميلاد جديد للإنسان للحصول على
ميراث سمائي أبدي غير ميراثه الأرضي الزمني .

+ ونحن نعلم أن المسيح قام بجسد ممجد «جسد مجده» (في ٣: ٢١)، جسد روحاني، رآه
بولس الرسول في وسط السماء يلعب بنور أقوى من الشمس: «رأيت في نصف النهار في
الطريق نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي...» (أع ٢٦: ١٣).

وهكذا استعلنت الطبيعة البشرية الجديدة التي تجسد بها المسيح وأقامها من الموت،
فصارت باكورة الخليقة الجديدة . وفي المسيح المقام من الأموات استعلن كيف سيكون
الإنسان في عالمه الجديد كامل التجسيد متكامل البشرية، إنما فائق على كل ما في هذا
الدهر، متفوق على كل إمكانيات وصلاحيات وقوانين هذا العالم، لا يسود عليه الموت
بعد!

ولاقناعنا بما سنكون عليه، أظهر المسيح نفسه في هذه الطبيعة المتجلية بعد القيامة
لتلاميذه ولكثيرين منظوراً في صميم العالم المحسوس، وأعطانا نحن بالتالي فرصة — في

أشخاص تلاميذه وكل الذين شاهدوه— أن نراها رؤية الإيمان فنفرح: «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة (يسوع)... نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو١: ١-٤).

المسيحية خليقة جديدة تسعى لتبلغ مثلها:

+ ثم نعلم أيضاً أنه قد مُنح لنا أن نأخذ هذه الطبيعة الجديدة عينها بكل صفاتها إنما على مراحل متلاحقة بقدر غنونا في النعمة وقامة الإيمان، إلى أن تُستعلن فينا أخيراً لنظهر بها مع المسيح في مجده في النهاية لنكون مثله:

— «الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢١).

— «متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ نُظهِرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٤)

— «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر (المسيح) نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢).

و يكشف لنا بولس الرسول أن هذه الطبيعة تتغير وتتحرّك، تنسى دائماً ما هو وراء لتتقد إلى ما هو قدام، تتغير عن شكلها كل يوم بتجديد ذهنها، تنتقل من مجد إلى مجد بعمل الروح؛ ومن دوام الإلتصاق والتطلع إلى وجه المسيح بدون عائق تنمو في كل شيء إلى أن تبلغ إلى ذاك الذي هو الرأس، إلى قياس قامة ملء المسيح.

+ ولكن الخليقة الجديدة ليست محبوبة أو ممنوعة عنا الآن وكأنها عمل مستقبلي، بل هي طبيعة مسيحيتنا الآن، هي جوهر إيماننا ومحور رجائنا وموضوع حياتنا ومصدر سلوكنا معاً:

— «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢ كو ٥: ١٧).

أي أننا نعيش الآن في الحال الحاضر في قيامة المسيح:

— «إن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق... لأنكم متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (٢ كو ٣: ١-٣).

فالمسيحية تبدأ بالقيامة ولا تنتهي عندها؛ والذي لم يشرق عليه نور قيامة المسيح من الأموات فسيظل واحداً من الذين قال عنهم الكتاب «الجالسين في الظلمة وظلال الموت» (لو ١: ٧٩).

كيف دخلت الخليقة الجديدة إلى العالم:

بولس الرسول يرى أن قيامة المسيح من ظلمة القبر ناقضاً سلطان الموت كانت بمثابة النور الجديد الذي انبثق للعالم من وسط ظلام لعنة الخليقة العتيقة. هذا الإنبثاق عينه، أي نور القيامة المنبثق من ظلمة القبر، يحدث لكل واحد في قلبه، مثلما حدث في قيامة الرب تماماً، عندما يؤمن ويتحد بالمسيح!! فهو حدث أخروي لا يتبع هذا الدهر، صنعه المسيح بلاهوته لأجلنا لكي يكون في سلطاننا!! «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة (في سفر التكوين في اليوم الأول)، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢ كو ٤: ٦). نحن هنا بصدد ماثلة واقعية بين خلقة النور المادي لكشف حقيقة العالم المادي وبين استعلان نور الله لكشف حقيقة ملكوت الله وحقيقة الحياة الأبدية.

+ فإذا تذكرنا أن بولس الرسول جاز هذه الخبرة بصورة محسوسة لما أشرق المسيح عليه بنوره الذي كان أشد لمعناً من الشمس، الذي أضاء قلبه وذهنه وكل كيانه المظلم، فنقله من سلطان الظلمة (استبداد المادة وشهواتها) إلى نوره العجيب (حرية أولاد الله في المجد)، أدركنا أننا فعلاً بصدد نور جديد واقعي هو في حقيقته نور الحياة لأنه يقيم من الموت موت الخطيئة، وهو نور المسيح الممجّد الذي صار من مميزات الخليقة الجديدة. نحن بصدد سفر تكوين آخر أو تكوين جديد أو تكوين روحي حيث تبرز فيه القيامة من الأموات، كنقطة جديدة في طبيعة الإنسان، تخصبه بنورها العجيب السري ليرتقي إلى مستوى عالم الخليقة الجديدة الروحانية، لذلك فحياة الإنسان الجديدة قد

انبثقت من ظلمة قبر المسيح، أي بعد استيفاء كل لعنة الموت، وقامت مع قيامة يسوع المسيح من الأموات في فجر الأحد وهو اليوم الثامن. وهنا نقول اليوم «الثامن» إشارة إلى تجاوز الزمن المحدود، لأن القيامة من الأموات فعل غريب عن الزمن وخارج عن دائرة الكون المادي، وهنا تتجاوز القيامة أيام الأسبوع القديم السبعة، أسبوع الخليقة العتيقة الترابية!!

قيامة المسيح من الأموات في فجر الأحد في اليوم الثامن بمجد يضيء كل المستقبل جاعلاً الطبيعة البشرية حية حاضرة عبر كل الأزمنة الآتية والأبدية، كانت بمثابة الرد التطبيقي والبرهان الواقعي الحسي على قول المسيح: «أنا هو نور العالم» (يو: ٨: ١٢)، النور الذي لن ينطفئ لأنه نور الخليقة الجديدة، نور العالم الجديد الذي يتجاوز الزمان بكل إخفاقاته؛ فالموت لن يسود عليه بعد!! ونحن في هذا النور قائمون في شركة المسيح، لأن كل ميراث المسيح انتقل إلينا بالقيامة، وأنفتحت أعيُننا على مجد المسيح عبر الإنجيل: «شاكرين الآب الذي أهلكنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو: ١٢: ١٣)، «ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله.» (٢ كو: ٤، ٣، ٤).

الحد الفاصل بين الخليقتين:

بولس الرسول يؤكد أن بصلب المسيح وموته ثم قيامته صار الحد الفاصل الكبير بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة!! «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله.» (٢ كو: ٥، ١٧، ١٨).

هذا الحد الفاصل بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة يوضحه بولس الرسول في مواضع متفرقة باعتباره يفصل فعلاً بين حياتين:

١ — حياة الإنسان العتيق المحبوس في سجن الخوف من الموت كل أيام الحياة، في ناموس الخطيئة العامل في الأعضاء، في أهواء الجسد وشهواته، في أركان العالم المظلمة (قواته)، في ميراث آدم الترابي.

ب — أما حياة الإنسان الجديد فهي منطلقة بلا حدود وإلى مالا نهاية في حرية أولاد الله بالقيامة، متجاوزة كل أعواز الزمن كخليقة جديدة لا يفصلها عن المسيح أية إخفاقات أو قصور أو مقاومة حتى ولا الموت ذاته، حياة تتجدد كل يوم (هنا الزمن لا يعمل كعموِّق بل يُستعبد بالروح ليصير عامل ارتقاء وتغيير)، حتى ينتهي الإنسان إلى صورته السوية حسب صورة خالقه: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ٩، ١٠). «وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٣، ٢٤).

نعم لقد تخلصنا من جود آدميتنا، الحياة القلقة التي بلا مستقبل ولا أولولة، حينما استقبلنا القيامة من الأموات كمحركة روح وحياة باطنية متحدة بالله، وتحررنا من حكم الموت الأبدي قة القصور والبأس وأصل الخوف والعجز والمرض، وهو الميراث الوحيد الذي أخذناه من آدم، والذي بقي يربطنا بالعدم إلى أن قام المسيح من الأموات، ففكنا من آدم وأوصلنا بالله عبر نفسه: «فإنه إذ الموت بإنسان (آدم) بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات» (١ كو ١٥: ٢١). وهكذا ارتبطنا بالحياة الأبدية عبر المسيح كنعمة عوض ارتباطنا بالموت الأبدي عبر آدم كعقاب!! «حتى كما هلكت الخطيئة في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو ٥: ٢١).

لقد تخلصنا من سلطان العالم ونحن فيه، ومن الموت ونحن نعبره، ومن الجسد ونحن ندفعه أمامنا، فلم يعد شيء قط من مثل هذا يقدر أن يفصلنا عن المسيح!! حتى الآلام لم تعد عقاباً بل شركة مجد مع المسيح ننال عنها الجزاء والغزاء ونحصل بسببها على البركة والمجد!

نحن الآن محسوبون أننا في روح القيامة وقوتها نعيش للمسيح، لا نستمد بعد حياتنا من تراب الأرض لحساب الجسد، فلسنا مديونين للعالم أو للجسد في شيء، بل نحن

نستمد حياتنا من المسيح — كلمة الله — «المسيح حياتنا» (كو ٣: ٤)، وبحسب قول يعقوب الرسول إننا نحسبون منذ الآن «باكورة من خلايقه» الروحانية (يع ١: ١٨)، والسماء هي موطننا الذي نتحرك نحوه !!!

نحن الزرع الجديد الذي زرعه الآب في تربة العالم الجديد عبر جسد المسيح المُقام وزرع الآب لا يُقلع ولا يحصد حصّادو هذا العالم قط)، محفوظون لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل .

طبيعة الخليقة الجديدة:

الخليقة الجديدة ليست مجرد أفكار أو مبادئ أو أخلاق أو سلوك مهما كان نوعها وسموها، ولكنها شركة واتحاد بجسد يسوع المسيح القائم من الأموات، الذي فيه وحده وبه وحده يمكن لكل إنسان أن يُخلَقَ جديداً ويدخل ضمن دائرة الخليقة الجديدة التي رأسها هو المسيح نفسه !! الخليقة الجديدة هي حياة في الله ثابتة تستمد منه البر والقداسة والحق: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤).

إذا فالخليقة الجديدة ليست هي أن نتبع المسيح في أقواله وأفكاره ومبادئه السامية، بل هي عملية زرع إلهي عضوي يتم بواسطة اتحاد سري في صميم جسد المسيح الحي القائم من الأموات، يتم بقوة سرية بعمل الروح القدس، لا يُطلَب منا إزاءه سوى أن نخضع بطاعة الإيمان فقط لسيِّم السر ولتحتل علينا قوته: «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجهيد الروح القدس» (تي ٣: ٥). وعندما يتم هذا السر ندخل مجال الحياة الجديدة كخليقة جديدة، ونكون قد انتقلنا من الموت إلى الحياة بمفاعيل وأحاسيس وأفكار وقدرات جديدة نحسها فنبدأ في ممارسة صفات ومميزات الخليقة الجديدة في الحال، وكأنها طبيعة جديدة فينا ولكنها في الحقيقة تصدر من الله نفسه: «هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله» !! فلا نسير بعد بهوى نفوسنا ولكن يقودنا المسيح بروحه: «لأن كل الذين يتقادون بروح الله فأولئك

هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤)، والروح هو الذي يغيرها ويجدها كل يوم بنعمته حتى تصير على صورة خالقها في البر وقداسة الحق .

الصراع القائم بين الخليقة الجديدة والخليقة العتيقة :

ولكن ليس معنى أن نصير خليقة جديدة أن نصبح أحراراً تماماً من نكد الخليقة العتيقة وتهديدها التي يمثلها العالم والجسد والخطيئة والشيطان والألم، لأنه بمجرد أن نؤمن ونتحد بالمسيح ندخل في مجال الخليقة الجديدة يبدأ الصراع مباشرة، فالروح القدس الذي يملأ كيائنا يبدأ يشتهي ضد ما يشتهي الجسد، والجسد يظل يشتهي ويطلب ضد ما يطلبه الروح ويطالبنا به . لذلك يصبح من أولى واجبات الخليقة الجديدة: **العمل، والاجتهاد، واليقظة، والصبر، والاحتمال بلا ملل حتى النهاية**، وفي الطريق تصير كل خسارة وكل ضعف وكل مرض يصيب الإنسان الخارجي، محسوبة ربحاً طالما أن الثبوت قائم مع المسيح حتى النهاية، لأن ذلك كله يبدأ يؤول إلى استعلان صفات ومواهب الخليقة الجديدة: «لأن خفة ضيقتنا الوقتية، تنشأ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً، وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو ١٧، ١٦)، وذلك على مستوى التحول الذي تم للمسيح من الموت إلى القيامة الممّجدة!

فكما تحتم أن يجوز المسيح الموت بكل آلامه وجهاداته حتى يبلغ مجد القيامة ويستعلن لنا في ذاته وفي جسده الحياة الجديدة، كذلك ينبغي أن نجوز معه كل الآلام والموت حتى نبلغ معه إلى القيامة والحياة الجديدة: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته، عالين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة...»، بل «كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦: ٥ و٦ و٧).

فالخليقة الجديدة الآن ليست في غنى عن الجهاد لأنها ليست بمعزل عن الجسد والعالم والخطيئة، ولكنها إذ هي قائمة ماسكة بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية، فهي من جهة

الجسد ميتة للخطية، أي أن الخطية لا تؤثر فيها ولا تسري فيها بنبضاتها الميتة. أما من جهة الروح فحية لله وللحياة الأبدية، أي تستقبل فعل الحياة والتجديد وتنفعل بنبض الروح القدس: «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحية بسبب البر» (رو ٨: ١٠).

ويعنى آخر يمكن أن نقول أنه إذا كان المسيح يعيش فينا، فالخطية لا تستطيع أن تميت الجسد بعد، لأن الجسد قد مات على صليب المسيح وتمت كفارته، أما الروح الذي فينا فيقبل الحياة مجاناً بسبب بر المسيح الذي كسبناه بموت الجسد. وهكذا تصبح الخليقة الجديدة بقيامة المسيح ذات جسد مكفّر عنه بموت المسيح فلا يقبل بعد موت الخطية، وذات روح مبررة مفتحة على حياة المسيح.

طبيعة الخليقة الجديدة تتغير لبلوغ الإنسجام مع قداسة الله خالقها باستمرار: وهكذا مطلوب منا كل يوم بحسب الحق الذي في المسيح أن نخلع الإنسان العتيق ونلبس الجديد. التغير المستمر صفة أساسية للخليقة الجديدة: «كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢١-٢٤). «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم (فعل ماضى = المعمودية) الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد (فعل ماضى = المعمودية) الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ٩، ١٠). هنا نجد حالة خلع ولبس مستمرة بدأت في المعمودية مرة كفعل مصدري شمولي: «يتجدد»، وبمقدار ما يتم الخلع بمقدار ما يتم اللبس، ولكن المرة الثانية تكون أسهل من الأولى وهكذا؛ أما الخلع فهو عملنا وأما اللبس فهو عمل الله نفسه: «الكل من الله».

ولكن لولا أن المسيح أكمل الختان أيضاً في جسده الذي هو رمز خلع جسم خطايا البشرية لما استطعنا أن نخلع شيئاً من أعطال الإنسان العتيق، لأن قطع الشهوة بمثابة قطع اللحم صعبوبة وألماً، ومكتوب أنه: «من تألم في الجسد كُفّ عن الخطية»

(١بط ٤: ١). فالمسيح منحنا سر خلع الإنسان العتيق: «وبه أيضاً خُتِمتُ ختانةً غير مصنوعة بيدٍ بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح» (كو ٢: ١١). ومعنى قوله: «ختانةً غير مصنوعة بيدٍ» هو أن المسيح صنع في نفسه بالفعل ما هو مزعم أن يصنعه فينا بالنعمة، سواء في الختان أو في المعمودية أو في الصوم الطويل العنيف أو في ظلمة القبر والتراب.

لذلك فإن سر المعمودية هو في الحقيقة تسليم سر الموت والقيامة معاً كقوة تعمل فينا خلع الجسد العتيق بكل أعماله للموت عن العالم والحياة لله معاً: «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله» (كو ٢: ١٢).

طبيعة الخليقة الجديدة والنمو الدائم:

ولكن سر الخلع واللبس الذي يرمز لفعل الموت والقيامة، وإن كان المسيح أكملها كملاً نهائياً ومرة واحدة، إلا أننا سنظل نستوعبها إلى مالا نهاية، لأن أفعال الفداء والكفارة وما تؤول إليه من خلاص وبر ومجد، لا يمكن أن يستنفذها الإنسان بأعماله وبكل اجتهداته، فهو سيظل يفتني بها وينمو ويتغير إلى أبد الآبدين، لأنه من خصائص الخليقة الجديدة أن تنتقل من مجد إلى مجد بلا حدود وبلا نهاية: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف» (بدون برقع الناموس العقلي الذي قد نسجته الخطيئة خلسة) كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينا من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣: ١٨)، أي أنه بتدخل الروح القدس يكفيننا النظر المتواصل إلى وجه المسيح المصوّر في إنجيله، حينئذ توحى إلينا النعمة ماذا نخلع وماذا نلبس كل يوم بلا ملل، فيتجدد الذهن ويتغير الشكل وتنتفع البصيرة وتنمو القامة، وبقدر ما نرى تمتد بلا قياس وبلا نهاية.

استعلان مجد القيامة فينا باستعلان صفات الخليقة الجديدة منذ الآن:

بالرغم من أن استعلان مجد القيامة لا يمكن أن يظهر تماماً إلا بعد أن نجوز الموت بالكامل، إلا أنه بمقدار ظهور صفات الإنسان الجديد بالموت الإرادي الذي نجوزه الآن في هذا الدهر بمقدار ما تنكشف حقيقة ومجد القيامة التي جزناها مع المسيح، حينئذ تُستعلن

الخليقة الجديدة بكل صفاتها العجيبة التي تكون قد بدأت تعمل فينا بوضوح منذ الآن «لأننا نحن الأحياء نسلّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي نُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت» (٢ كور ٤: ١١).

فاحتمال الآلام بصبر مثلاً، والفرح في الضيق، والشكر في الإضطهادات، ومحبة الإخوة من قلب طاهر بشدة، والبذل بلا ندامة، والتضحية بالراحة والكرامة، والسرور بالمتكأ الأخير، كل هذا يكشف بوضوح غاية الوضوح عن صفات الخليقة الجديدة التي نكون قد بدأنا نعيش في مجالها... وهكذا فإن أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا هي أكبر دليل يكشف عن مدى عمل روح القيامة فينا: «فإن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، إهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مئتم وحياتكم (الجديدة) مستترة مع المسيح في الله»، ولكن الاستعلان الكلي لمجد القيامة الممنوحة لنا سيظل رهن بحمى المسيح في مجده «مضى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ١-٤).

مصادر قوة الخليقة الجديدة العاملة فينا الآن:
أولاً: الكلمة:

قوة الخليقة الجديدة تعمل فينا الآن بواسطة الروح القدس، وهي تنمو وتزداد وتتغذى على كلمة الله. أي أن كلمة الله هي قوام الخليقة الجديدة وحياتها ونورها وقوتها التي عليها تعيش، وبدونها لا حياة ولا نمو: مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١ بط ١: ٢٣)، «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلايقه» (يع ١: ١٨).

والميلاد الروحاني بكلمة الله ليس هو كالميلاد الجسدي فعلاً زمنيّاً يتم وينتهي، ولكن الميلاد الروحي بالكلمة هو حالة ولودة لا تتوقف بل تزداد كمالاً، فالكلمة كلما استوعبها الذهن ازدادت صورة المسيح فينا وضوحاً، وكلما حفظها القلب كلما تكملت فينا مشيئة الله، وكلما تقبلناها بالسرأحت وجددت.

ثانياً: انتظار الرب:

إن كانت كلمة الله هي مصدر ولادة وفو وغذاء واستنارة بالنسبة للخليقة الجديدة. معروف أنه كلما ازدادت صورة المسيح فينا وضوحاً بقوة الكلمة كلما ازدادت شهوة اللّقاء، فالمثليل يمن للمثليل، والحنين الجارف بانتظار مجيء الرب هو الشهوة العظمى وقوة العزاء الذي يعوّض الخليقة الجديدة في غربتها عن وطنها: «منتظرين وطالبن سرعة مجيء يوم الرب» (٢بط ٣: ١٢)، «نعم أنا آتي سريعاً، آمين تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠)، «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح، أنكم في كل شيء استغفتم فيه في كل كلمة وكل علم، كما ثبتت فيكم شهادة المسيح حتى أنكم لستم ناقصين في موهبة ما، وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح» (١كو ٤: ٧).

ثالثاً:

أن نكون خدام عهد جديد ورسل الخليقة الجديدة، أي خدمة المصالحة الكلية بين الله والناس.

(١٩٧١)

ملخص:

- + المسيح هو باكورة الخليقة الجديدة.
- + في المسيح المقام من الأموات استعلنت الطبيعة البشرية الجديدة بإمكانياتها الفارقة على كل ما في هذا الدهر.
- + أظهر المسيح نفسه في هذه الطبيعة المتجلية بعد القيامة لتلاميذه ولكثيرين في صميم العالم المحسوس، ورأيناها نحن — في أشخاص تلاميذه وكل الذين شاهدوه — رؤية الإيمان والتصديق.
- + أعطى لنا أن نأخذ هذه الطبيعة الجديدة على مراحل بقدر نمونا في النعمة وقامة الإيمان إلى أن تستعلن فينا كاملة في النهاية مع المسيح في مجده.

+ فتي أظهر المسيح سنكون مثله لأننا سنراه كما هو.
 + ولكن ليست الخليقة الجديدة محجوبة عنا الآن، بل هي طبيعتنا الفعلية، وجوهر إيماننا ومحور رجائنا وموضوع حياتنا ومصدر سلوكنا.
 + الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة — في اليوم الأول من خلقه العالم المادي — هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح، لخلق طبيعة جديدة في الإنسان بقيامة المسيح من الأموات.
 + الخليقة الجديدة دخلت إلى العالم مع قيامة المسيح في فجر الأحد وهو اليوم الثامن.
 + اليوم الثامن يشير إلى تجاوز الزمن المحدود، لأن القيامة من الأموات فعل غريب عن الزمن وخارج عن دائرة الكون المادي.
 + صلب المسيح وموته وقيامته صار هو الحد الفاصل بين حيتين:
 — حياة الإنسان العتيق، المحبوس في سجن الخوف من الموت، خاضعاً لناموس الخطية العامل في الأعضاء، تحت أركان العالم المظلمة، في ميراث آدم الترابي.
 — وحياة الإنسان الجديد، المنطلقة بلا حدود لا يمنعها قصور الزمن أو ضعف الطبيعة ولا الموت ذاته.
 بل هي حياة تتجدد كل يوم إلى مالا نهاية.
 + لم تعد الآلام والموت عقاباً بل شركة مجد مع المسيح نال عنها الجزاء والعزاء ونحصل بسببها على البركة والمجد!

+ حياتنا الجديدة تستمدّها من المسيح حياتنا وليس من تراب الأرض لحساب الجسد.
 + الخليقة الجديدة ليست أفكاراً أو مبادئ أو أخلاقاً أو سلوكاً مهما كان سموها، ولكنها شركة واتحاد بجسد يسوع المسيح القائم من الأموات:
 — هي عملية زرع إلهي عضوي يتم فينا بطاعة الإيمان بواسطة اتحاد سري في صميم جسد المسيح الحي القائم من الأموات، بقوة سرية بعمل الروح القدس.
 — بمجرد إتمام السر ندخل مجال الحياة الجديدة كخليقة جديدة، فلا نسير بعد بهوى نفوسنا ولكن يقودنا المسيح بروحه.
 — الروح القدس هو المسئول عن تجديد الخليقة الجديدة كل يوم بنعمته إلى أن نصير على صورة خالقها في البروقداسة الحق.
 + بمجرد دخولنا في مجال الخليقة الجديدة يبدأ الصراع مباشرة بينها وبين الخليقة العتيقة.
 لأن الروح يشتهي ضد الجسد والجسد يشتهي ضد الروح والإثنان يقاوم كل منهما الآخر.

— لذلك، فمن أولى واجبات الخليقة الجديدة: العمل والاجتهاد واليقظة والصبر والإحتمال بلا ملل حتى النهاية.

— كل الآلام والضيقات التي نجوزها كنتيجة لهذا الصراع تحسب ربماً وشركة في آلام المسيح وموته .
— لا غنى عن الجهاد طالما الخليقة الجديدة ليست بمعزل عن العالم والجسد، ولكنها في ثبوتها في المسيح تحسب الجسد ميئاً للخطية والروح حياً لله وللحياة الأبدية.

+ التغيير صفة مستمرة أساسية للخليقة الجديدة، بدأ في المعمودية كخلع للعتيق ولبس للجديد كفعل مصدري شمولي تزداد سهولته على مر الأيام .

— الخلع هو عملنا، ولكن لولا أن المسيح أكمل الختان في جسده الذي هو رمز خلع جسم خطايا البشرية لما استطعنا أن نخلع شيئاً من أعمال الإنسان العتيق .

— أما لبس الجديد فهو عمل الله نفسه الذي أقامنا معه .

— المعمودية هي تسليم سر الموت والقيامة معاً كقوة تعمل فينا لخلع الجسد العتيق ولبس الجديد باستمرار.

+ المسيح أكمل فداءنا بموته وقيامته تكميلاً نهائياً ومرة واحدة، أما الإنسان فيستكمل خلاصه على مدى الحياة و يظل ينمو ويتغير إلى مالا نهاية... «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح»، بقدر ما يثبت نظره في وجه المسيح المصوّر في إنجيله .

— استعلان مجد القيامة فينا نجوزه الآن جزئياً بمقدار ظهور صفات الإنسان الجديد فينا بقبولنا الموت الإرادي كل حين، إلى أن يُستعلن كاملاً بعد الموت عند مجيء المسيح في مجده .

+ مصادر قوة الخليقة الجديدة فينا الآن :

١ — كلمة الله القادرة أن تجدد ولادة الإنسان روحياً بلا توقف إذا قبلها في ذهنه وحفظها في قلبه وتقبلها في الأسرار الإلهية .

٢ — انتظار الرب والشوق إلى مجيئه .

٣ — السعي في خدمة المصالحة الكلية بين الله والناس .

* * *

قوة القيامة مستترة في الموت الإرادي

القيامة هي قهرٌ للموت . فإذا علمنا أن الموت يمثل العدم بالنسبة للإنسان ، لا في الواقع فحسب بل في الشعور واللاشعور ، إذ هو رمز الفقدان والخسارة الكلية التي تودي بكل ما في الحياة من أمل ورجاء وعمل وفكر واجتهاد وكل شيء لتلقيه في العدم أي اللاوجود ، فكان الموت يشير في اللاشعور عند الإنسان إحساس اليأس الكلي ، وكأنما الإنسان كائن لا ينتهي إلى شيء ، يسير في طريق بلا أيلولة ، حاضر غائب ، حاضر ما يصنعه لنفسه ، غائب عن مستقبل منظور؛ لكن بعد قيامة المسيح من الأموات بالجسد — بنفس الطبيعة البشرية التي أخذها منا — لم يعد الموت هذه الحادثة السلبية التي تحذف الحياة وتمحو كل مسار للأمل والرجاء ، بل فعل إيجابي بحركة مجددة ذات أبعاد بلا حدود ، يجوزه الإنسان ليتصل بالحياة اتصالاً أوثق مما كان ، اتصالاً شمولياً حتى ليكاد يبتلعها فيصير الإنسان جزءاً أساسياً من الحياة بدل أن كان جزءاً أساسياً من الموت كما يقول بولس الرسول : «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١كو١٥: ٢٢) ، أو كما يقول أيضاً : «كما ملككت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر (بالقيامة) للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو٥: ٢١) . فبعد أن كان الموت يلغي الحياة بسطوة ناقة ؛ أصبحت القيامة تلغي الموت بسلطان الظفر .

وكما أن المسيح مات مرة واحدة ليلغي كل متعلقات الموت ، هكذا قام مرة واحدة ليهب كل قوات وبركات الحياة ، أي أن كل من يأخذ قيامة المسيح كقوة وكسرروحية فعالة بالإيمان ، يعبر الموت كميراث من آدم منذ الآن فلا يعود يملك عليه الموت إلى الأبد

بل يعبره عبوراً: «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة، من لا يحب أخاه يبقى في الموت» (١ يوحنا ٣: ١٤)، هنا الوجدان الأخوي في الحب الإلهي معادل للحياة الأبدية، بل هو معادل للملكوت، وهنا مصدر السرور والفرح للذين يتبعان القيامة الحقيقية بالروح والحق.

إذا فروح الحياة في قيامة المسيح مكنتنا أن نتجاوز الموت بأحزانه وإرهابه لندخل منذ الآن في غلبة حقيقية مدعمة بالفرح والرجاء والحب؛ وأعطينا سلطاناً أن نعيش بروح القيامة لنحيا في جدة الحياة «بلا خوف» (١ يوحنا ٤: ٧) في حالة شبيهة بمجد القيامة وفرحها.

ولكن عبور الموت بالإرادة المدفوعة بالروح القدس منذ الآن وتجاوزه ليس شيئاً هيناً، فهو ليس مجرد فكرة فلسفية تأتي بالإقتناع ولا هو حالة وهمية، ولكنه جهاد إرادي تؤازره قوة النعمة، ويوازي في عمقه وخطورته عبور كل مخاض الموت الجسدي وآلامه ومخاوفه وأوجاعه. فمحبة الإخوة، التي يتكلم عنها يوحنا الرسول كمحرك لغلبة الموت، ليست فكرة فلسفية ولا مجرد شعور وجداني، لأن محبة الإخوة لا تعني فقط الإخوة الأحباء، بل والإخوة المعاندين والخاصمين والانتهازين والطمّاعين، بل والإخوة الأعداء. إذن فالأمر خطير يحتاج إلى جهاد ضد الذات مري وواق، لا بد أن يبلغ في لحظة إلى التسليم بالذات إلى الموت بشجاعة وعدم الخضوع لمراوغة الذات وكل كبر يائها وغرورها. إنه موت حقيقي للذات مُسبق على الموت الجسدي وهو أشق منه! فالإماتة بالإرادة أصعب من الموت بالطبيعة.

ولو لم يسلمنا المسيح سر الموت الإرادي على الصليب كنعمة وقوة، أو بالبحري إرادة الموت الاختياري، على أساس قبول قوة قيامته برجاء حي تعادل في قدرتها تحولها ميلاداً جديداً؛ لما استطعنا قط أن نبلغ إلى حالة الموت الإرادي، لأنه إذا لم تكن الحياة الأبدية في متناول رؤيتنا فلا نستطيع قط أن نفرط في ذواتنا حتى الموت.

فكأنما يا إخوة قد أعطانا المسيح في سر قيامته حركة ميلاد روحي جديد، مساوية

تماماً وموازية جداً لحركة الموت الذي نقبله ليسري في أعماق الذات ؛ هذا وضعه في طبيعتنا وغرسه فيها غرساً حتى يهون علينا أن نفرط في العتيق للموت !! المسيح أعطانا بقيامته ميلاداً ثانياً قادراً أن يدفعنا حتى نفرط في ذواتنا للموت ! أعطانا بقيامته نفخة حياة حتى لا نخاف ولا ننجزع من الموت الإرادي .

وهكذا صار من صميم إيماننا بالمسيح أن نقبل الموت الإرادي أو موتاً بالإرادة ، سواء كان الموت الطبيعي بالجسد أو الإماتة بأعمال الفضيلة : « بالروح تميزون أعمال الجسد » (رو ٨: ١٣) ؛ حتى تُستعلن فينا قيامة المسيح وحياته التي أخذناها بالسر كفعل مجاني ونعمة مغروسة في طبيعتنا !!

فالموت والقيامة فعلان سرّيان ، ولو أن الأول يسبق الثاني كما في المسيح حسب ترتيب الزمن ، ولكن في الحقيقة الله أعطانا في المسيح قوة القيامة لنجوز بها مخاض الموت ، أي أننا نجوز الثاني قبل الأول حتى نكون بلا خوف : « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدفنّا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً (الآن) في جدّة الحياة » (رو ٦: ٤٣) . هنا الموت والحياة يلتحمان معاً بحيث لا يمكن أن يكون الواحد بدون الآخر ، وقبول حدّ الأول هو على أساس عطاء أكيد ومجاني للآخر : « مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقيم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات » (كو ٢: ١٢) .

ولكن لكي يُحسب موتنا أنه شركة حقيقية في موت الرب أو موتاً حقيقياً في المسيح — فلان رقد في الرب — يلزم أن يكون قد سبق هذا الرقاد الأخير شركة فعلية في موت الرب بالإرادة ، كمثل ما جاز المسيح الموت بالإرادة عندما مدّ يديه للصّالين قبل أن يجوز به بدق المسامير على الصليب .

موت الإرادة بالنسبة لنا هو الإماتة الذاتية عن هوى العالم ومشيتات الناس والجسد الذي هو بمثابة خلع جسد ولبس آخر ، خلع جسم خطايا البشرية الذي أخذناه في سر

ختانة المسيح كما يقول القديس بولس الرسول في رسالة كولوسي، التي هي أعمال الجهاد ضد الشهوة والخطية بكل صورها، التي هي إمارة الأعضاء التي على الأرض قبل موتها !!!

«الذين هم للمسيح (في القيامة أو في الحياة الأبدية بالإيمان) قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤). هذه كلها تبدأ في محيط الإرادة والتمني وتنتهي كموهبة فائقة: «قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦: ١٤)، لأنه حينما ندخل في شركة حب المسيح والإخوة مضحين بكل شهوات الدنيا بالموت الإرادي، ندخل في حياة لا يملك عليها الموت !!! هنا منتهى القصد من القيامة الذي يوازي منتهى الحب الذي يبلغ إلى مستوى الخلود. هنا يلزمنا أيها الإخوة أن نقرأ رو ٨: ٥-١٧، حيث نجد الموت والحياة، الإمارة والقيامة معادلتين متبادلتين، لأن كل فعل إمارة بدافع الحب ينشيء فعل قيامة، ودليلنا على ذلك حالة السرور والفرح والرضى الذي ينبع مع كل دعة وكل تألم حباً للمسيح أو الآخرين. فالفرح القلبي الداخلي الذي ينبع في موضع الإمارة يومياً هو عربون القيامة الممنوح لنا الآن، الذي به يشجعنا لكي نمارس به حالة قيامة مستمرة تنتظر استعلانها يوماً ما.

أي أن الفرح بالقيامة نمارسه فقط بالإمارة، بالجهاد والدموع، بالتألم الراضي، الذي يتحول إلى حركة قيامة سرية تنمو بمقدار التعمق في صلب الذات من أجل حب المسيح والآخرين، بحيث إذا بلغنا إلى موتها الفعلي نبلغ إلى منتهى القيامة ونورها وإسعادها.

كذلك كل أعمال الصوم والصلاة والسهر والدموع وقرع الصدر وسجود المطانيات والإتضاع والطاعة التي نمارسها في ابتداء جهاداتنا كفعل إمارة، كل هذه تُحسب على مستوى أعمال إمارة يتحول فيها الإنسان قليلاً قليلاً من حياة حسب مسرة الجسد إلى حياة حسب مسرة الروح، من استرضاء الذات إلى استرضاء وجه الله. أما الذين يترفعون عن إخضاع الجسد وقعه فهولاء يغيب عنهم وجه الله دون أن يدروا: «الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨: ٨)، هكذا يقول القديس بولس. لماذا؟ لأنهم يسترضون أهواء قلوبهم وأجسادهم!

إذاً فالحياة في المسيح والقيامة مع المسيح ، برهانها مقدار التخلي عن ملذات الدنيا وأهواء الجسد الذي ينشئ الفرح القلبي والسلام الداخلي : «لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام» (رو ٨: ٦). والفرح الروحي المنبثق من القيامة يستحيل أن ينبع في القلب ويدوم وينمو إلا بقدر صلب الذات وقمع الشهوات ؛ فبقدر ما نموت للمسيح نحيا له !!

قدّم فعلاً ، تأخذ فعلاً . قدّم موتاً ، تأخذ حياة . قدّم انضاعاً ، تأخذ ارتفاعاً . إبدل ذاتك ، تأخذ حرية . أما إذا اكتفينا بالعبادة على مستوى الوعظ والكلام — مهما كان الكلام حتى وعلى مستوى الصلاة والتسبيح — بدون إماتة ذات فهو لا ينشئ فينا إلا قيامة نظرية وأفراحاً هوجاء .

إذاً فهدف كل أعمال الفضيلة والديانة والتقوى والعبادة ينتهي عند حد كلمة واحدة : إماتة الذات بالإرادة ، كحالة موت حقيقي للنفس ، بممارسة الحب على مستوى الخدمة والبذل .

كان يُحكى عن أنبا بيمين أنه إذا أتى إليه راهب كان يرسله إلى أنبا أنوب أخيه قائلاً : «إنه أكبر مني» ، وكل الذين يأتون إلى أنبا أنوب كان يرسلهم إلى أنبا بيمين قائلاً : «إذهبوا إلى أنبا بيمين أخى لأنه عنده نعمة هذه المواهب» ؛ فإذا كان أنبا يوسف حاضراً كان أنبا بيمين لا يتكلم أمامه (١) . هذه أنواع من قدرة التخلي عن الذات مهما كانت متسرلة بالفضائل ، فالتخلي عن الذات أسمى كل أنواع الفضائل لأنها الفضيلة التي تضمن الحياة بلا سقوط .

إذاً فسر القيامة يمكن في عملية التحول المستمر من حياة حسب مسرة الجسد والذات لحياة حسب مسرة الروح . وذلك لا يتم إلا بدافع الحب وممارسة الموت الإرادي لنبلغ إلى قيامة الأموات : «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشعباً بموته لعلي أبلغ إلى قيامة

(1) Apophthegmata Patrum, Syr. Ver. I, 474.

الأموات» (في ٣: ١٠، ١١). هذا هو حمل الصليب والسير وراء المسيح : موت حقيقي للذات والعالم والجسد والأعضاء على الأرض، لبعث قيامة جديدة بالروح وتجديد بالذهن وتغيير عن شكل العالم، لبلوغ أقصى قدر من الحب الإلهي لخدمة الآخرين وتكميل عمل القديسين .

هنا قوة القيامة وفرحتها التي نناها من الله وتسري في قلبنا أثناء أفعال الإماتة وبذل الذات، وهي مجد ذاتها سر قوة العالم الجديد الذي يدفعنا إلى مزيد من الإماتة لبلوغ مزيد من أسرار القيامة والحياة .

ويلزمنا أن نوضح سر الفرح الناشئ من عمل الإماتة وبذل الذات، إذ أن ذلك يكون نابعاً من قوة الشركة في الموت مع المسيح : «لأن الموت الذي ماته (المسيح) قد ماته للخطية مرة واحدة» (رو ٦: ١٠). فإن كنا نموت بإرادتنا عن الخطية مضحين بكل مكسب أو راحة أو لذة بل ومتقبلين كل ألم وخسارة، يكون هذا بعينه حالة تماثلة لصلب المسيح لأنه صلب جسده (إن جاز هذا التعبير) من أجل الخطية . فإن كنا نصلب الأهواء والشهوات بإرادتنا نكون قد جُزنا حالة شركة حقيقية مع المسيح في موته، وبذلك نُؤهل بالحقيقة لفرح القيامة والحياة معه كما تنص بقية الآية : «والحياة التي يحيها فيحيها الله، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن (لكي تكونوا) أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١٠ و١١).

إذن، إن كنا نجوز الآن الموت عن الأهواء والشهوات الجسدانية، نكون قد جُزنا الموت مع المسيح، وبالتالي نستحق أن تسكن روح القيامة في أجسادنا التي تجوز الموت كل يوم عن الخطية بمعاناة وألم ومغاض لا يقل عن مغاض الموت حتى تُستأهل لقيامة أفضل .

وهكذا إذ نستمد من المسيح إرادة الموت الاختياري بملء الحرية بالإيمان، نستمد منه في الحال وبالإيمان أيضاً استحقاق القيامة، التي ندخل بها مجال حرية أولاد الله لتابعة الحياة الجديدة معه بأعضاء متألمة تجوز غصة الموت يومياً عن الشهوات؛ وبموازرة

نعمته الرحيمة تحيا مجدداً . وهذه هي قيمة عمل الصليب وعظمة الجهاد ضد الذات .

موت الرب قوة كفارية روحية أنشأت للإنسان فداءً دائماً أبدياً فعالاً ، وفي المعمودية تحل علينا كنعمة مجانية ، ثم يصبح علينا بعد ذلك أن نمارسها ونطبقها في كل أيام حياتنا بالإيمان مقابل كل الخطايا والأهواء والشهوات الجسدية والعالية التي تدهم أجسادنا الترابية المنعطفة نحوها ، ولكننا أعطينا نفس غلبة المسيح عليها ، لأنه مات عن الخطية بإرادته ليعطينا قدرة الخلاص منها .

وأما قوة قيامة الرب فهي بهجة الحياة الجديدة التي ليست من هذا الدهر ، ونحن ننالها بالروح القدس بعد قبول شركة الموت مع المسيح بالدفن معه في الماء ، وتحل علينا كنعمة مجانية تُعطى للمعتمد بعد خروجه من الماء بدهن الزيت ووضع اليد .

وهكذا نجد أن سر القيامة يعمل فينا مع سر الموت بالمعمودية جنباً إلى جنب ؛ ولذلك تكون شركة الموت مع المسيح هي أساساً موضوعة لشركة القيامة والحياة معه ، فقوة الواحدة تكمل الأخرى ، لأنه بقدر ما نموت نحيا وبقدر ما نحيا نموت . والموت والقيامة في المسيح هما في الحقيقة فعل واحد مزدوج القوة والتأثير نستوعبه على ثلاث مراحل : مرحلة الإيمان ، ومرحلة الأسرار ، ومرحلة التطبيق العملي .

فبالإيمان : نحن نعلم تماماً أننا بالصليب قبلنا جميعاً ، وعلى مستوى عام لكل العالم ، الموت والقيامة مع المسيح كهبة مجانية وكنعمة بلا أي ثمن أو جهاد أو سؤال أو صلاة أو معرفة مسبقة : «لأنه ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه» (رو ٥ : ١٠) ، «لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٨ : ٣) ، «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣ : ٣) .

وبالأسرار : نأخذ قوة هذا الموت وقوة هذه الحياة كمعطية شخصية تسليمية ، تمت وتحيى بالفعل السري : «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦ : ٤ و٥) ، «لقد سُقينا روحاً واحداً» (١ كو ١٢ : ١٣) .

وبالتطبيق: نجاهد كل يوم بالإيمان والنعمة التي نلناها: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤)، «كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١١).

فرحة القيامة قوة روحية ألغت الخوف من الموت إلى الأبد، وأسست بدلاً منه انتظار المجد الآتي وفداء الأجساد.

لقد كانت الخطية أصل الموت، والموت هو الذي أنشأ الخوف والرعب في قلب الإنسان حتى صار أسيراً وعبداً للخوف من الموت كل أيام حياته، ولكن انتصرت نعمة الله بالمسيح على الخطية والموت، فصارت القيامة منبعاً للفرح وللحياة الأبدية. وأما الحياة الجديدة فلأنها غير مائتة فقد تحررت من خوف الموت إلى الأبد: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢: ١٤ و١٥).

والقيامة وقدرتها على إلغاء الخطية والموت والخوف من الموت وبعث البهجة والفرح حققها المسيح كقوة فعالة يمكن أن تدخل طبيعتنا فتغير كل شيء: «جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب (مقاماً)» (يو ٢٠: ١٩ و٢٠).

فالحقيقة التي ينبغي أن تشرق في قلوبنا مع فرحة القيامة التي صارت نعمة مجانية لنا، أننا لن ندوق الموت بصورته المخيفة المرعبة الأولى باعتباره عقوبة الخطية وثمرتها الحزينة. فهذا الموت ذاقه المسيح بنعمة الله من أجل كل واحد، حتى لا نعود ندوقه على الإطلاق: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» (عب ٢: ٩). إذا فقد ذاق المسيح هذا الموت عنا مرة واحدة، ولن يسود عليه ولا علينا بعد ذلك إلى الأبد: «أين شوكتك ياموت، أين غلبتك ياهاوية!» (١ كو ١٥: ٥٥)، فلا يموت فينا بعد

ذلك إلا جسد الخطيئة الذي نستودعه القبر بإرادتنا؛ وتنطلق النفس من فوق القبر في نصرة فائقة وفي مجد القيامة الذي لا يوصف وفي حضرة ملائكة لتكمل حفظها ونصيبتها السعيد في شركة الحياة الأبدية مع المسيح؛ وتبقى النفس مع المسيح في سعادة القيامة تنتظر في ثقة و يقين فداء الأجساد جميعاً حيناً يلبس الفاسد عدم فساد في مجيء الرب الذي سيغير شكل جسد تواضعنا الذي انحل في التراب ليصبح على صورة جسد مجده القائم من الأموات، وكما لبسنا سابقاً الجسم الترابي نلبس من جديد الجسم السماوي الذي لا سلطان للموت والألم عليه فيما بعد.

إذاً أين الخوف من الموت بعد الآن لأولاد المسيح، والموت قد ألغى كعقوبة؟ فالقبر لا يمثل لنا إلا مستودعاً لجسد الخطيئة تمهيداً لإعادة قيامته هو الآخر ليشارك في مجد الروح!! «نحن الذين لنا باكورة الروح (بالمسيح القائم من الأموات كبكر القيامة) نحن أنفسنا أيضاً ننن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨: ٢٣).

أما القيامة فتعمل فينا الآن بنعمة المسيح بواسطة الكلمة والصلاة والبذل في عمق الفرح والرجاء الثابت الذي لا يتزعزع بشخص المسيح «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبهجون بفرح لا يُنطق به وبمجيد» (١ بط ١: ٨). فلنا بملء الشقة أن نقول مع بولس الرسول: «أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاروية!! لأننا متنا مع المسيح مرة واحدة ولن يسود علينا الموت بعد إلى الأبد، بل تسودنا النعمة وتقودنا من مجد إلى مجد في ملء الحياة المستمرة مع المسيح في الله. وليس ذلك فقط بل إن الحب الذي ينبثق من فرحة القيامة بعد أن يكمل قدرته في التغلب على الخوف من الموت يمتد بنا في رجاء وفي ترقب مستمر لاستعلان مجيء المسيح لننال بقية حفظنا ونصيبتنا في القيامة المتبقي الذي نأخذه عند ظهوره «متى أظهر المسيح حياتنا حينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٤).

وهكذا نعيش لا بعيون جزعة ترتعب من رؤية المقابر فيما بعد، بل بعيون شاحصة إلى السماء كل يوم يغشاها الفرح بالآتي من وراء الألم والحزن الحاضر، تنتظر بفاغص الصبر

مجيء المخلص: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر غلباً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢٠، ٢١).

قوة القيامة استعلان لمنتهى قوة الله وشدة نصرته على أضعف ما عند الإنسان وهو الموت:

إذا استطعنا في نور المسيح أن نواجه حقيقة الموت بالنسبة لنا الآن على ضوء ما أكمله المسيح على الصليب وفي القبر وفي ثالث يوم، نرى أن الموت هو الحادثة العظيمة والنهائية التي سيُستعلن لنا فيها أعظم وأقوى أعمال الله بالنسبة لنا!! إذ سنواجه بالموت التحام قوة الله فينا بصورة حسيّة روحية، فنرتفع في الحال فوق الجسد بكل ما يحمله من ترسّبات الماضي الخزين من الألم والضعف والسقوط والخطيئة والفساد، فتدخل النفس في دائرة ضوء الابتهاج الإلهي لتحيا في مجال نصرته من غلب الخطيئة والموت والهاوية وأُعطي كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض، بعيداً عن ماضيها الخزين، وتشترك في الحال مع خورس المزمّنين، وتمارس حقها في فرح الأبدية الذي بلا نهاية.

وهكذا تكون قد تفاضلت رحمة الله علينا جداً وانسكبت أحشاء محبته فينا؛ عندما قاد ابنه الوحيد من ألم إلى ألم، ومن إهانة إلى ظلم، ومن جحود إلى حكم، ومن صلب إلى قبر حتى انتهى إلى آخر مراحل ضعف الإنسان وبلغ به قمة الهوان والمذلة وهو الموت؛ لأنه كان يذخر لنا في موت ابنه قيامة أبدية وقوة حياة لا تزول: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة»، نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات... وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده» (أف ١: ١٧-٢٣).

أي أن قيامة المسيح من الأموات هي تعبير عملي عن عظمة قدرة الله الفائقة التي أراد

بها أن يوضح محبته نحونا في كيف دبّر لنا القيامة والحياة في شخص يسوع المسيح: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو ١٧: ٢٢).

هذا هو مجد القيامة الذي أشرق لنا كأعظم قدرة لله أظهرت نحونا حيث تلتحم فينا وفي أضعف ما ينتهي إليه الإنسان من الذلة والهوان حينما يسقط على الأرض ميتاً. هنا وفي الموت يلتحم بنا سر المسيح ليرفع الروح إلى ذروة المجد الإلهي، حينما يجد الإنسان نفسه في لحظة فوق التراب كسهم من نور ينطلق إلى أعلى السموات ليكون حيث يكون المسيح في مجده الأبدي.

(١٩٧١)



القيامة والعمل الروحي بالنسبة للخليقة الجديدة

+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

يلاحظ من هذه الآية، وبحسب موضعها في الرسالة، أن العمل الصالح هنا هو هاجس الخليقة الجديدة وشغلها الشاغل؛ وليس هو الواسطة أو الوسيلة التي تؤدي إلى الخليقة الجديدة. ومع أن طبيعة الخليقة الجديدة التي صارت لنا بالقيامة هي من عمل النعمة المحض، ولم تستلزم منا عملاً مسبقاً ولا حتى سؤالاً أو صلاة، إذ أنها أعطيت لنا كهبة عامة ونحن مغروسون بالجهالة في صميم الخطية والتعدي، إلا أننا بمجرد أن نحصل على هذه الخليقة الجديدة وندخل في مجالها الحي نطالب في الحال بالأعمال الثلاثة بها:

+ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقيين أيضاً؛ الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع، لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد، لأننا نحن عمله

مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها»
(أف ١: ٢-١٠).

و يلاحظ من الآية الأخيرة أن الأعمال المفروض أن نسلك فيها هي أعمال تتبع
منهجاً خاصاً سبق الله فأعده وأوصى به في الإنجيل ، فهي ليست تتبع هوى كل إنسان ،
ولمّا تتبع ترتيباً أو تدبيراً خاصاً تستطيع الكنيسة أن تقدمه بالروح حسب قياس قامه
كل إنسان في النعمة .

عل أن مجموع هذه الأعمال الصالحة تهدف لغاية واحدة هي ذات أهمية عظمية
تتعلق بموقف الإنسان الجديد المولود من الله بالنسبة للحياة الجديدة أرواح القيامة التي
نالها ؛ فكل الأعمال الصالحة تنصب مباشرة في الشهادة لهذه الحياة في هذا الدهر ،
وتعمل لإستعلانها كنور للسائرين في الظلمة وتمجيد الله الخالق والمعطي لها .

فالخليقة الجديدة إن كان سمح لها الله أن تعمل في الزمان الحاضر وفي هذا الدهر ، مع
أنها ليست من طبيعة هذا الزمان ولا تتناسب مع هذا الدهر ، فذلك لكي تكون شهادة
دائمة على موت الرب وقيامته ، لأنها في الحقيقة فوق مستوى فكر هذا الدهر . لذلك أصبح
من الضروري الإعلان الدائم عن صدق مواعيد الله التي تمت في صميم الزمان بشهادة
مسنودة ببرهان الروح والقوة . فالإنسان الجديد مخلوق أساساً للشهادة ، والشهادة بالروح
هي مجد ذاتها عمل صالح «مخلوقين لأعمال صالحة» ؛ بحيث لو كفت الإنسان الجديد عن
الشهادة للملكوت الله وحياة الدهر الآتي بسيرته وسلوكه ، يصبح وكأنه يلغي وجوده
الروحي أو يطمرو زنته في التراب إذ يتجاهل ميراثه الأبدي ، العلة التي من أجلها خلق
ويعيش ليشهد لها كل يوم ، لأنه «إن كنا أولاداً فإننا ورثة» ، ورثة الله ووارثون مع
المسيح » (رو ٨: ١٧) .

وهذا المنهج الحتمي للأعمال الصالحة الهادفة في النهاية لتجديد الله والمفروضة على
الإنسان الجديد القائم من الأموات مع المسيح هو في الحقيقة مطابق تماماً لمنهج المسيح

نفسه، فالمسيح قام من الأموات بمجد الآب ولتجيد الآب في نفس الوقت: «حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو ٦: ٤)، أي نسلك في الحياة الجديدة كقائمين من الأموات، شهادة لمجد الآب. «أنا مجدتك على الأرض» (يو ١٧: ٤)، «أنا أظهرت إسمك للناس» (يو ١٧: ٦).

ولكي يتضح أكثر هذا المنهج العملي المفروض على القائمين في جدة الحياة، يعود القديس بولس الرسول وينبها إلى أن المسيح نفسه إنما يحيا الآن لله، وهكذا ينبغي أن تكون حياتنا نحن أيضاً لله: «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها لله، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١٠ و١١)، أي أن هدف الحياة الجديدة هو الشهادة لتجيد الآب.

وهكذا يتحدد أمامنا أكثر الهدف من الأعمال الصالحة بالنسبة للإنسان الجديد القائم من الأموات بسر المسيح، فسواء كان عمل أو فكر أو إرادة أو نية «فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كو ١٠: ٣١). فكما أن المسيح بعد القيامة هو «لمجد الله الآب»، هكذا كل من كان في المسيح كخلقة جديدة هو كله لمجد الله الآب.

وهذا الهدف المحدد من المنهج العملي المفروض على الخلقة الجديدة التي نالت القدرة على العمل الصالح بقيامة المسيح من الأموات، وبانسكاب روح القيامة الذي هو روح القداسة والتجديد، إنما يرد رداً واضحاً صريحاً على عجز الخلقة الأولى العتيقة التي عجزت تماماً عن إتمام أي عمل صالح لتجيد الله، وكانت سبب تحديف وإساءة لإسم الله العظيم.

فالآن أصبحت وظيفة الخلقة الجديدة هامة وخطيرة بالنسبة لما أخفقت فيه الخلقة العتيقة التي تسببت في فضيحة الإنسان وإهانة الله وتشويه صورته التي وهبا لنا بالخلقة، لذلك أصبحت المسؤولية الملقاة على إنسان الله الجديد المولود من فوق والحامل لطبيعة

الخليقة الجديدة مسئولية عظمى لإعادة العلاقات الصالحة مع الله وإعادة كرامة صورته إلى وضعها الأكمل ، وذلك تجاه نفسه وتجاه الله ، وتجاه الآخرين أيضاً .

فأولاً: تجاه نفسه: فهو بعمله الصالح إنما يرد أولاً على ما عمله من الشرور التي تسببت في تشويه صورة الله التي فيه من جهة تلوث الفكر والإرادة والضمير والجسد؛ فأصبح العمل الصالح بمثابة إعادة صورة الله الصحيحة في الإنسان الجديد « المخلوق بحسب الله ، على صورة خالقه » (أف : ٤ : ٢٤ ، كو : ٣ : ١٠) ، « أنتم عبيد للذي طيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر ، فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أُنعمتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها ، وإذ أُعنتم من الخطية صرتم عبيداً للبر ، أنكم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم ، لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة » (روم : ٦ : ١٦-١٩) .

وثانياً: تجاه الله: فهو بعمله الصالح ، إنما يجد الله ، بينما بتعديبه وجهالته السابقة في طبيعته العتيقة كان سبباً في التجديف على اسم القدوس : « لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أبائكم الذي في السموات » (مت : ٥ : ١٦) . هنا العمل الصالح يدخل صميمياً في مفهوم الصلاة والخدمة الروحية والتسبيح العلني لتمجيد الله ، حيث يأخذ الإنسان الجديد بأعماله الصالحة مكانة ثابتة وسط صفوف الخدام السمايين المنوط بهم خدمة العلي وتمجيد اسمه القدوس ، وهذه غاية من غايات الخلقة الجديدة .

وثالثاً: تجاه الآخرين: وأخيراً فإن العمل الصالح للخليقة الجديدة هو في صميمه موجه نحو الآخرين ، وهو بمثابة كرازة بالعهد الجديد ، وبشارة بالقيامة ، وإظهار لفعالها المجتد المفرح الذي دخل كيان الطبيعة البشرية فأعاد خلقها ، ونقلها من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن الله ؛ ولسان حال كل من يشهد للقيامة من نحو الآخرين هو : « لأخبر بفضل الذي دعاني من الظلمة إلى نوره العجيب » (١ بط : ٢ : ٩) ، حيث تهدف أعمال الإنسان الجديد ليس لإرضاء ذاته بل الآخرين في وجه يسوع المسيح الذي لم يُرض ذاته قط بل الآب من أجلنا . وهذا في الواقع لا يحتاج إلى إقناع أو اجتهاد ذاتي ، بل إن كل

من يدخل بهجة القيامة و يذوق صلاح الرب وتستنير عيون قلبه بمعرفة محبة المسيح
و يعيش أفراح حياة الدهر الآتى لا يمكن أن يسكت لأنها تصير كنار في عظامه !!

ماهية العمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد القائم مع المسيح :

العمل الصالح بالنسبة للإنسان العتيق أمر شاق عسير و يكاد يكون مستحيلاً ، فهما
جاهد الإنسان في طبيعته العتيقة فلن يكون عمله الصالح أكثر من مقاومة مريعة ضد
الخطية ودوافعها الشريرة ، أو مجرد أعمال ظاهرية لا تتعدى أثر الجسد أو النفس :
« يقدر إلى طهارة الجسد !! » (عب ٩ : ١٣).

أما بالنسبة للإنسان الجديد فالعمل الصالح يتعدى الوجه السلبى للجهاد ضد الخطية
ليشمل خدمة البر والقداسة ، أو عبارة إنجيلية ليس هو « خلع الإنسان العتيق الفاسد
بحسب شهوات الغرور » « مع أعماله » (أف ٤ : ٢٢ ، كور ٣ : ٩) الذى هو مجرد تسديد
ديون باهظة تورط فيها الإنسان بسبب الجهالة و غرور الذات ، ولكن العمل الصالح
يتجاوز الخلع إلى اللبس : « ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه »
(كور ٣ : ١٠).

المعرفة الكاملة للمسيح كأساس العمل الصالح للإنسان الجديد :

لا ينبغي أن نفصل المعرفة وحدها ونشرح صلتها بالقيامة ، لأنه لا توجد معرفة صالحة
صادقة بدون عمل حتى ولا عند الملائكة .

إن المعرفة الروحية بحسب الخليقة الجديدة أو العهد الجديد هي معرفة موهوبة وليست
مكتسبة من الخبرة الشخصية ، وهذه هي طبيعة الحق ، فالحق الإلهي هبة مُنحت للإنسان
الجديد : « ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كور ٣ : ١٠) ،
حيث « المعرفة » هي في الأصل اليوناني تحمل معنى كمال المعرفة الحق !! ومعنى ذلك أن
يصير الإنسان الجديد أكثر فأكثر على صورة خالقه إنما بقدر يتجدد كل يوم بواسطة المعرفة
الجديدة الخاصة بالمسيح الذى هو النموذج الكامل الأعلى لصورة الله التى استعلنت لنا

جهاًراً.

وهنا يمكن المماثلة النظرية مع الخلقة العتيقة؛ فكما خلق الله الإنسان على صورته أولاً فشووها الإنسان بالخطيئة حتى لم تعد للإنسان ملامح البر أو القداسة أو الحق، هكذا عاد الله وأعاد خلقة الإنسان روحياً على أساس البر والقداسة والحق في شخص يسوع المسيح الذي هو باكورة الخليقة الجديدة ورأس الإنسان الجديد الحامل لصورة الله الجوهرية في الإنسان بمجد وإعجاز بسر الكمال الفائق الذي لا يُنطق به!!

وبذلك تصبح معرفة المسيح هي اللبن العقلي الذي نفتذي به فنمو حتى نصل إلى أن يتصور المسيح فينا الذي هو صورة الله. ولكن يعلمنا بطرس الرسول أن المعرفة لا تنمي الإنسان الجديد إلا إذا كانت خالية من كل غش، حيث الغش هنا ينصب على المعرفة العتيقة، وهنا التركيز قائم على جدة المعرفة أو المعرفة الجديدة الخالية من كل شوائب فكر الإنسان العتيق التي كانت تركز على مهارة وجهد الذات الإنسانية ونخادعها المضلل سواء بالخطية أو العلم الكاذب الإسم، حيث المعرفة الجديدة تكون صادقة وحققة بقدر تطابقها على المسيح وروح القيامة، لذلك يتحتم أن تكون مستمدة من الروح القدس والإنجيل «يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٤)!!

+ «فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة (هنا خلق الإنسان العتيق مع أعماله المنبثقة من الذات الخادعة، ويلاحظ أنها كلها صفات عقلية شريرة)، وكأطفال مولودين الآن (بقية المسيح) اشتهاوا (الإرادة الجديدة التي تستمد شهوتها من بر المسيح وليس من لذة الخطيئة) اللبن العقلي (أي الكلمة = أي معرفة المسيح) العديم الغش لكي تنمو به إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح» (١ بط ٢: ١-٣).

ويلاحظ هنا أن مضمون كلمة «كأطفال» يشير إلى أن المعرفة ليست من نوع المهارة الذاتية أو الجهد الفني الشخصي، إنما مجرد عطش وطلب ودموع واشتهاء كاشتهاء الطفل اللبن أمه. وهنا بطرس الرسول يتفق تماماً مع بولس الرسول في أن الخليقة الجديدة تنمو وتتجدد بالمعرفة الحققة الكاملة للمسيح التي هي بمثابة طعام الحق عديم الغش (أي

الخالية من غرور الذات والخطيئة)... وهنا تصبح كل معرفة جديدة صادقة للمسيح مستمدة من الكلمة هي بمثابة نمو للإنسان الجديد، وتجديد متواصل لصورة الله فيه !!

هنا معرفة المسيح هي غذاء سري لقلب الإنسان الجديد وضميره وعقله ينمو به كل يوم ويتحرك ويفكر ويسلك، فتزداد شهوة الإنسان إلى العمل الصالح «اشتبهوا اللبن العقلي» بقدر مذاقة صلاح المسيح «إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح». هنا المعرفة الروحية ترتفع إلى مستوى التذوق للحق كالأكل والشرب بالنسبة للروح !!!

تجدد المعرفة الحقيقية وتغيرها من مجد إلى مجد صفة أساسية :

التجدد والتغير من مجد إلى مجد من أهم خصائص المعرفة الروحية الصادقة ، فالمعرفة الكاذبة ينسخ بعضها الآخر:

أ — أما صفة التجدد المستمر: «وليسم الجديد الذي يتجدد للمعرفة» (كو ٣: ١٠) فهي ضرورية حتمية بسبب الاحتكاك المتواصل بالجدس العتيق والمعرفة الغاشة التي تؤثر في المعرفة الروحية للمسيح فتضعفها وتؤذيها وتطمس نورها، إما بالخطيئة التي تتربص دائماً بفكر الإنسان، وإما بالمعرفة الكاذبة الإسم التي تتناول على معرفة الروح وتنسب إليها العجز والقصور باطلاً.

ب — أما صفة قبول التغير المستمر: فناتج أصلاً من ديمومة وامتداد الحق الإلهي ولانهائية كمال المسيح «المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم...» (كو ٢: ٣) (اقرأ الأصحاح الثاني من رسالة كولوسي لأنه في غاية الأهمية هنا).

ولأن «معرفة محبة المسيح فائقة المعرفة» بالنسبة للإنسان وستظل كذلك حتى بعد العبور الكامل للحياة الأخرى، لذلك أصبح التغير من مجد إلى مجد صفة حتمية في النظر العقلي أو التطلع الروحي بالرؤيا العقلية لمجد المسيح: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الجهالة الذي تضعه الخطيئة على العقل فتطمس نوره)» (٢ كو ٣: ١٨).

من المعرفة الصادقة إلى العمل الإيجابي الصالح :
+ « فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه ، متأصلين ومبينين فيه ، وموَّظدين في
الإيمان كما علَّمتم متفاضلين فيه بالشكر... » (كو ٢: ٦ و ٧).

إذا قبلنا المسيح قبولاً روحياً كاملاً واستضاءات معرفتنا به عن طريق الكلمة
بالإنجيل نجد أن المعرفة تولَّد إيماناً وطيداً مساوياً للمعرفة الصادقة (لأن المعرفة هنا هي في
حقيقتها صلة سرية شخصية بالروح القدس ، كنتيجة للشركة) ، وحينئذ يبدأ العمل
الصالح بدفع الإيمان كقوة منبثقة من مصدر سرّي داخلي لا ينضب ، وكحرارة منبعثة
من مصدر داخلي تتجدد كل يوم بالمعرفة أي بالكلمة .

لذلك بعد أن نوفي المعرفة الحقّة كل واجباتها ، أي نكون على مستوى الشركة السرية
مع المسيح « الحق » بالحب الشخصي والصلاة ، نستطيع أن נוَهِّل للعمل الصالح بدفع
يقينية الشركة هذه وثقة الصلة الروحية المستمّدة من المسيح بالإنجيل .

ويمكننا تقسيم العمل الصالح إلى قسمين كبيرين يلتحمان معاً في النهاية ليكونا
عملاً واحداً منسجماً :

القسم الأول : ويشمل جميع الأعمال الصالحة المفروضة علينا تأديتها والسلوك فيها ،
لتجتمعنا معاً نحن المؤمنين كل المؤمنين لتكون جسداً واحداً وروحاً واحداً حتى نصبح
أهلاً للإتحاد بجسم المسيح .

القسم الثاني : ويشمل جميع الأعمال الصالحة التي يقدمها لنا الله كوسائط أو
كأعمال نعمة مملوءة بالأسرار لتجتمعنا وتوحدنا بالمسيح .

أولاً : القسم الأول : العمل الصالح كجهد مبذول من جهة الإنسان لتكوين
الوحدة المفروضة بين المؤمنين :

وقبل أن نشرح هذا الاتجاه من الأعمال الصالحة يلزم أن نعلم أولاً أن هذه الأعمال
المفروضة علينا تكيّلها — بهدف تكيّل الوحدة أو الإتحاد معاً لتكون جسداً واحداً وروحاً

واحداً حسب تعبير بولس الرسول — هي مبنية أساساً على صفات وخواص ومواهب ممنوحة من الله للخليقة الجديدة، ومغروسة في صميم طبيعتها، أي أن الأعمال الصالحة المفروضة علينا تكميلها والسلوك فيها سبق الله وأعدّ لنا مستلزماتها المفروضة، وشق لنا مسالكها في طبيعتنا الجديدة؛ لذلك أصبحت أولاً: مفروضة علينا، وثانياً: إذا أكملناها لا نُعتبر ذوي فضل، لأن كل إلهاماتها وقوتها ودوافعها موضوعة فينا بالروح القدس لتكون من صميم خلقتنا، وثالثاً: أصبح من الضروري أن نكمل واجباتها أولاً قبل أن نستحق ممارسة القسم الثاني السري من الأعمال الصالحة الممنوحة لنا بالنعمة من داخل الأسرار.

وهنا يتضح أماننا عمق الصلة بين المعرفة والعمل وذلك بالنسبة للخليقة الجديدة المهيأة للحياة الروحية السرية مع المسيح، لأن كل عطية يعطيها المسيح وكل موهبة روحية يمنحها لنا بالروح القدس في حياتنا الجديدة أو في إنساننا الجديد؛ فهي حتماً تكون حسب قياس معين ومحدد يتناسب تناسباً دقيقاً غاية الدقة مع إمكانية وضرورة وكيفية اتحادنا بالآخرين لصالح الوحدة النهائية اللازمة والمحتمة بالنسبة لجميع المقيدين والمخلصين، أي أن أساس جميع المواهب والعطايا الروحية التي يمنحها المسيح لنا هي لكي تؤهلنا لوحدة كاملة متكاملة مع الآخرين أولاً ثم مع المسيح بالتالي كجسد واحد بمعنى الكلمة!! (١).

لذلك أصبحت الطبيعة الإيجابية للعمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد محددة أمام عيوننا تحديداً لا مفر منه، وهو أن العمل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُحسب عملاً صالحاً بالنسبة للخليقة الجديدة أو في ضوء القيامة إلا إذا كان لحساب الوحدة ومنتياً إليها: الوحدة التي تجمعنا معاً، ثم الوحدة التي تجمعنا مع المسيح. وبذلك يصبح قول بولس الرسول لأهل أفسس ذا قيمة كبيرة لنا في هذا المجال:

+ «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها. بكل

(١) إقرأ هنا أفسس ٤ عدد ١ — ٧ ثم مباشرة ١٠ — ١٣ فهي في غاية الجمال.

تواضع ووداعة ويطول أناة محتلمين بعضكم بعضاً في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دُعيتُمْ أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة. إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم. ولكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (أف ٤: ١-٧).

إذاً هذه هي روح العهد الجديد أو روح الدعوة الجديدة لكل إنسان في المسيح. وهذه هي روح العمل الصالح للخليقة الجديدة التي تعمل لحساب النهاية الواحدة السعيدة.

ثانياً: القسم الثاني: العمل الصالح كنعمة ممنوحة مجاناً من الله:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل، وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح... الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقتزناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يُحصَل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف ٤: ١٠-١٦).

الحياة الأرثوذكسية داخل الكنيسة، حينما يجتمع الشعب كله مع الإكليروس في وحدة الصلاة والتسبيح والشكر، تعتبر استعلاناً لحالة الوحدة المستقبلية تُعاش الآن زمنياً، أي أن وحدة الكنيسة الآن هي في جامعيتها المتحدة بالصلاة هي أصلاً شركة مواهب بالروح تمارس العمل الصالح حسب قياس الموهبة الصالحة الممنوحة لكل إنسان في المسيح كطبيعة الخليقة الجديدة وللكنيسة كلها، حيث كل واحد يعمل للبنيان حسب الموهبة التي منحه الله. وهكذا فإن العبادة العامة تضمن بكل ثقة ويقين نمو بنيان الكنيسة لحساب الملكوت على أساس تعدد المواهب التي تعمل لوحدة كل إنسان في جسد

المسيح !! العبادة الأرثوذكسية هنا هي شركة مواهب تعمل لسر الخلاص ، عمل المواهب هنا هو عمل الصلاح الفائق الذي هو تاج كل الأعمال طراً .

لذلك يلزم أن لا ننسى أبداً أن الموهبة هي أساس العمل الصالح للخلقة الجديدة . ويقول الرسول أيضاً : « لكي يخلق الإثنين في نفسه (شركة) إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً (العمل الصالح) » (أف ٢ : ١٥) . وهذا المعنى يتحول مفهوم العبادة والصلاة والتسبيح إلى مفهوم العمل الصالح ، باعتبارها أعمالاً جماعية تعمل بوحى المسيح بروح واحد لمجد الله ، لتخدم معنى الوحدة . وهذا تكون كل أعمال العبادة من ذات طبيعة الخلقة الجديدة وكعمل أساسي لها لقيام ودوام وتثبيت وحدة المؤمنين في جسد واحد بالمسيح الرأس منذ الآن !!

+ « اتمثلوا بالروح ، مكمّلين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنين ومرتلين في قلوبكم للرب ، شاكرين كل حين على كل شيء في إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب ، خاضعين لبعضكم لبعض في خوف الله » (أف ٥ : ١٨ - ٢١) . وهنا تظهر هذه الأعمال التي هي في صميم العبادة وترتيبها أنها أعمال موحاة من الروح القدس ونتيجة مباشرة للإمتلاء منه سبق الله فأعدها لنسلك فيها ، وهنا يلزمنا أن نشرح أكثر كلمة « نسلك فيها » ، فكلمة *peripatēō* في الأصل اليوناني تفيد أن ينظم الإنسان نفسه بمقتضاها ، أن يقود الإنسان نفسه فيها ، أن يحدد الإنسان سلوكه بحسب أصولها ؛ وكلها تفيد معنى واضحاً دقيقاً يمكن جمعه هكذا : إن الله سبق فرتب لنا أعمالاً روحية تتناسب مع صلاحه ومع طبيعتنا الجديدة التي نأخذها من المسيح بالروح القدس ، وتتناسب مع مواهب الروح التي سكبها ويسكبها علينا حتى نمارس هذه الأعمال (العبادة) على الدوام ، حتى تصبح سلوكاً محمداً وحياة متوافقة وخاضعة بسرور لمشيئة الله وتدبيره ؛ وهذا ليس حسب هوى نفوسنا وذواتنا ، لذلك يلزم فيها من جهة الجسد عملية القمع والضغط والخضوع حتى تصير الطبيعة الروحية غالبية والعبادة الصالحة هي السائدة كما سنرى في العمل الصالح من الوجهة السلبية الأخرى تجاه الخطايا والجسد .

إن قة أعمال العبادة التي يمارسها المؤمنون معاً، كجماعة متحدة وبنفس الوقت كأفراد، لتخدم طبيعة الوحدة وتعلنها وتنشطها بصورة دائمة هي سر الإفخارستيا، حيث يجتمع الجميع كجسد واحد وروح واحدة حول جسد واحد وروح واحد، وإذا يأكلون الجسد الواحد بروح الفرح والمحبة يصيرون بسر المسيح القائم من الأموات جسداً واحداً فعلاً وكنيسة واحدة قائمة من الأموات. وهذا يُعتبر سر الإفخارستيا قة الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها وربتها لنسلك فيها، أو بحسب التعبير اليوناني أن ينظم الإنسان نفسه بمقتضاها، ويقود نفسه بحسب ما يتضمنه من معنى مستخلصاً منه قوة لسلوكه في الوحدة التي يقوم عليها سر الإفخارستيا بالدرجة الأولى: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد» (١ كو ١٠: ١٦ و ١٧)، هنا سر الشركة إسم على مسمى، دخول فعلي في حياة جديدة مثل سر الشكر تماماً.

وهذا يعتبر سر الإفخارستيا هو استعلان سر الملء أو سر الوحدة للخليقة الجديدة، حيث يجتمع الكل في جسد واحد حي هو جسد المسيح المقام من الأموات، فهو استعلان سر الخلاص النهائي للبشرية كلها حيناً يجمع المسيح كل شيء في نفسه: «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد الكنيسة... لأنه فيه سرُّ أن يحل كل الملء» (كو ١٧: ١٩).

وبالنهاية تكون جميع ثمار الأعمال الصالحة التي نقدمها لله هي في حقيقتها متاجرة رابحة، أو الربح الناتج من المتاجرة بالموهب الممنوحة للطبيعة الجديدة التي وُلدنا بها ثانية بقيامة المسيح. والله إذ يتقبل منا هذا الربح الناتج من وزناته يرده إلينا على هيئة فيض نعمة، انسكاب بركة ومحبة: «الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرسيملون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو ١٧: ١). ولكن هذا الفيض الإضافي من النعمة يدفع الإنسان الجديد لمزيد من العمل والشهادة والبذل، وهكذا يحتمر العالم كله بخمائر

صغيرة من مواهب الله المنسكبة على الخليقة الجديدة.

والأعمال الصالحة المفروضة علينا كخليقة جديدة في المسيح يسوع لكي نؤديها بحسب ما أعطانا المسيح من مواهب، أو على حد تعبير بولس الرسول: «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١ كو ١٢: ٤ و ١١)، فتتقسم هي أيضاً إلى نوعين من الأعمال يلتحمان معاً في النهاية و يصيران عملاً واحداً يهدف إلى وحدة المؤمنين:

النوع الأول: يشمل الأعمال السلبية التي نشهرها كأسلحة جديدة تُسلحنا بها طبيعتنا الجديدة لنقاوم بها طباغنا وأخلاقنا وسلوكنا التي للإنسان العتيق الذي كانت تتحكم فيه الخطايا والأهواء وشهوات الغرور.

والنوع الثاني: يشمل الأعمال الإيجابية التي تظهر كطباغ أو أخلاق أو فضائل أو مميزات الإنسان الجديد الملهم بالنعمة التي هي أصلاً صفات وأفكار المسيح فينا. وقد شدد المنهج الإنجيلي على حتمية البدء بالأعمال السلبية ضد الإنسان العتيق.

أولاً: النوع الأول السلبي:

الأعمال السلبية المفروضة علينا كجهد مبذول من جهتنا كخليقة جديدة ضد سلوكنا القديم:

هذا النوع يعتبر في طبيعته جهداً سلبياً موجهاً ضد الإنسان العتيق وأخلاقه، الذي كانت الخطايا تتسلط عليه سابقاً.

أسبقية الجهاد السلبي:

هذا الجهاد السلبي وإن كان يمشی جنباً إلى جنب مع الجهاد الإيجابي أي إظهار صفات الإنسان الجديد، إلا أنه يتحتم أن يتم الجهاد السلبي أولاً، وهذا يوضحه بولس الرسول باختصار في قوله:

١ - «هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم (وهي ساعة قبولنا

الحياة الجديدة بكل حرارتها ومعرفتها وقوتها وغيرها)، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا، قد تناهى الليل وتقارب النهار (ليل جهالة الخطية ونهار معرفة النعمة)، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (رو ١٣: ١١ و ١٢)، الخلع أولاً ثم اللبس.

- ٢ — «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٢—٢٤).
- ٣ — «إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ١٠ و ٩).

ما هي أعمال الإنسان العتيق؟ وكيفية سقوطنا فيها؟ وكيفية قيامتنا الجديدة منها؟:

أعمال الإنسان العتيق:

- لقد حدّد بولس الرسول أعمال الإنسان العتيق في مواقف عدة نلخصها كالآتي:
- ١ — «وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل زنا فسق سرقة شهادة زور تجديف» (مت ١٥: ١٨ و ١٩).

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحرّي الشكر، فإنكم تعلمون هذا أن كل زاني أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. لا يفرّكم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية، فلا تكونوا شركاءهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب» (أف ٥: ٣—٨).

«لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح» (أف ٥: ١٢).

- ٢ — « أميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديّة الطمع الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية، الذين بينهم أنتم أيضاً سلكتم قبلاً حين كنتم تعيشون فيها، وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض » (كو ٣: ٥-٩).
- ٣ — « لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسُّكْر ولا بالمضاجع والمهرلا بالخصام والحسد، بل ببسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رو ١٣: ١٣).
- ٤ — « وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزّب شقاق بدعة حسد قتل سكر بَطَر... إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله... لا تكن معجبين بغضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً » (غل ٥: ١٩-٢١ و٢٦).
- « لأن من يزرع لجسده فن الجسد يحصد فساداً » (غل ٦: ٨).
- « إن عشتَ حسب الجسد فستموتون » (رو ٨: ١٣).
- ٥ — « لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة... فأَي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن؟ لأن نهاية تلك الأمور هي الموت... لأن أجرة الخطية هي موت » (رو ٦: ١٩ و٢١ و٢٣).
- ٦ — « ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث » (أف ٤: ٣١).
- ٧ — « الروح الذي حلّ فينا يشاق إلى الحسد. لكنه يعطي نعمة أعظم (الآن) » (يع ٤: ٦ و٥).
- ٨ — « من أين الحروب والخصومات بينكم... تشتهون ولستم تملكون، تقتلون وتحسدون... تحاصمون وتحاربون... تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديّاً

لكي تنفقوا في لذاتكم... أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله... لا يذم بعضكم بعضاً أيها الإخوة، الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس... فن أنت يا من تدين غيرك...» (يع ٤: ١-١٢).

٩ — «مملوئين من كل إثم وزنا وشروطع وخبث، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكرًا وسوءاً، نقامين مفترين مبغضين لله ثالبن متعظمين مدّعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد ولا حن ولا رضى ولا رحمة» (روا: ٢٩-٣١).

* * *

ويلاحظ هنا أن كل أعمال الإنسان العتيق تنقسم إلى قسمين أساسيين:
القسم الأول: أعمال موجهة ضد الله: وهي تنصب كلها في أعمال الزنا والنجاسة والتجديف وعبادة الأوثان القديمة والحديثة، حيث الزنا والنجاسة هما تسليم الجسد والنفس للروح النجس عوض تسليمه لروح الله للقداسة. هنا الجسد يصير متحداً بالروح النجس عوض طبيعته المتأصلة على أساس اتحاده بروح الله، ويصير متعبداً للنجاسة عوض أن يكون عابداً بالقداسة: «ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد!!!!» (١ كو ٦: ١٣)، «لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة» (١ تس ٤: ٧).

أما التجديف وعبادة الأوثان التي هي محبة المال والقنية والإعتداد بالذات وتأليهها فهي بمثابة تقديم العقل والفكر والضمير لسيد العالم وإله هذا الدهر، ويصير الإنسان متعبداً للعالم عوض الله: «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشرية بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كو ١: ٢١ و٢٢).

القسم الثاني: أعمال موجهة ضد الإنسان: وهي تعدي على حقوق الغير وعلى كرامتهم وسمعتهم وإيذاء نفوسهم، وكلها تعمل لتفكيك الوحدة والصلة بين الإنسان

وأخيه الإنسان على كل المستويات .

وهكذا نرى أن أعمال الإنسان العتيق الشريرة سواء الموجهة ضد الله أو الموجهة ضد الإنسان الآخر إنما تعمل لهدف واحد شرير وتنتهي عند هذا الهدف ، وهو تفكيك وحدة الإنسان بالله وتفكيك وحدة الإنسان بالإنسان .

كيفية سقوطنا في أعمال الإنسان العتيق الشريرة:

١ — «لأنهم لما عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإله بل حققوا في أفكارهم واطلم قلبهم الغبي... لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم» (روا: ٢١: ٢٤).

٢ — «الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق» (روا: ٢٥).

«فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح» (غل ١: ١٠).

«لذلك أسلمهم الله الى أهواء الهوان» (روا: ٢٦).

٣ — «وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (روا: ٢٨).

٤ — «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل يسرون أيضاً بالذين يعملون» (روا: ٣٢).

٥ — «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضي لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢ كوا: ٤).

٦ — «فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً يبطل ذهنهم إذ هم مظلّموا الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي

فيهم بسبب غلاظة قلوبهم ، الذين إذ هم قد فقدوا الحسّ أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع» (أف: ١٧-١٩).

٧ — «كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ربح تعليم بحيلة

- الناس بكر إلى مكيدة الضلال» (أف: ٤: ١٤).
- ٨ — «لا تعطوا إبليس مكاناً. إغضبوا ولا تخطئوا، لا تقرب الشمس على غيظكم» (أف: ٤: ٢٧ و٢٦).
- ٩ — «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكن فيكم قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الذي يعمل الآن في أبناء المعصية» (أف: ٢: ١ و٢).
- ١٠ — «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أف: ٥: ١٥ و١٦).
- «من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب» (أف: ٥: ١٧).
- ١١ — «لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سُرُّوا بالإنم» (٢ تس: ١٠: ١٢-١٠).



وهكذا يمكن تلخيص الأسباب كالآتي:

أ — عرفوا الله (ذكاء وعلم) ولم يمجّدوه (عبادة وصلاة)، وهكذا يُحسب ذكائهم وعلمهم أنه حماقة فكر وظلمة قلب. والنتيجة أنهم أسلموا إلى شهوات قلوبهم ليعملوا النجاسة. وهكذا يكون تعظم الفكر واحتقار أمور الله كالصلاة والعبادة، النتيجة الحتمية للتخلية الإلهية كجزء طبيعي، وبالتخلية تنعمي البصيرة في الحال، فلا يرون الحق الإلهي، فيسقطوا راضين في خداع الشهوة والباطل.

ب — لم يستحسنوا أن يُثِقوا الله في معرفتهم (أي انتقلوا من صف الله إلى صف العالم) — أسلموا إلى ذهن مرفوض (خالي من نور الله)، لأن غياب الله ظلمة في الفكر والقلب.

ج- عرفوا حكم الله ولم يخشوه بل فرحوا أيضاً بالمخالفين — لذلك أسلموا إلى الدينونة وإلى قساوة قلب غير تائب، لأن مقاومة الحق تؤدي إلى قساوة شيطانية مرة ضد التوبة .

د - المتشككون بفكر وعمل هذا الدهر — ينعمي ذنهم — لا يُقبلون على الإنجيل ، وإذا قرأوه لا يجدون فيه أي شيء نافع أو منير لهم ، لأن القلب إذا ذهب وراء العالم انقلبت الذهن تجاه الإنجيل .

هـ- متجنبون عن حياة الله (أي يهربون من كلمة الوعظ ومكان العبادة)، والنتيجة تكون حالة جهل بالله — ذهن يعمل في الباطل ، والنتيجة أن يفقدوا الإحساس الروحي .

و- طفولية التفكير في الروحيات — محمولين على كل تعليم بلا تمييز، والنتيجة — اضطراب نفسي والنتيجة — سقوط في مكيدة الضلال .

ز- إسكان الشيطان في الفكر وفي النفس بسبب الدوام في حالة غضب ، والنتيجة — تسلط الخطية والتفنن في التعدي .

ح- مجارة روح العالم وأهل العصر (حسب دهر هذا العالم) = (حسب رئيس سلطان الهوى) = والنتيجة — السقوط تحت قيادة روح المعصية .

ط- السلوك بدون تدقيق وبدون الرجوع لكلمة الله والنتيجة — الدخول في حالة جهالة هي غباء حقيقي — ضياع العمر في الباطل .

ي - الإنصداد عن محبة الحق (إستهتار) وعلامتها — يفرحون بالضلال و يصدقون الكذب — ويسرون بالإثم .

و يلاحظ أن جميع أسباب السقوط في جميع أعمال الإنسان العتيق الشريرة تتعلق كلها بالمعرفة . فإما تعالي على الحق وإما رفضه وإما تجاهله وإما الجهل به . وهكذا

ترتبط الخطية بالمعرفة رباطاً أكيداً منذ البدء .

* * *

ثانياً: النوع الثاني الإيجابي :

أعمال الإنسان الجديد المميزة والمتصلة بالمسيح
وأهمها المواظبة على الصلاة والتناول كطعام القيامة :

اجتماع المؤمنين باستمرار للإشتراك في كل صلاة وبالأخص القداس هو في حقيقته السرية تواجد متواتر مع المسيح القائم من الأموات « اصنعوا هذا لذكري » ، تواجد مشترك ، فهو الذي يدعونا لتتصل به اتصالاً فعلياً شمولياً ، وليس اتصال معرفة هنا ، أو اتصالاً بالفكر ، بل اتصال جسми — جسد ودم — ليدخل المسيح بشخصه في واقع الإنسان بكل عمقه وامتداده ، لا لتتواجد معه فقط بل ليتواجد هو معنا حسب مسرة مشيئته : « لأنه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون في وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) ، ونحن لا ندعوه ليتواجد معنا فقط ، بل إذا خُتم الاجتماع بالتناول من الجسد والدم فإنه يكون بمثابة دخول سري فينا حيث نأكل ونشبع من وجوده ومن قيامته ، لأن الجسد والدم يحملان قوة وفعل الفداء والحياة لنمو وثبوت الأعضاء في جسد المسيح السري القائم من الأموات : « اثبتوا فيّ وأنا فيكم » (يو ١٥ : ٤) .

هنا العمل الصالح الذي أعدّه لنا الرب بنفسه هو في الحقيقة طعام القيامة السري النازل من السماء كل يوم ليعمل عمله ويفعل فعله العميق غير المنظور في خليقتنا الجديدة ، ويثبت الأعضاء الجدد في الجسد ويوحدهم جميعاً ، ليكون لهم وللجسد كله مصدر حب وفرح وإلهام كقوة متجددة وشكل واحد بالروح : « فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه » (١ كو ١٢ : ٢٦) . كل فرد يأخذ من المله والملاء يزداد بصورة مستمرة بانسكاب مواهب الله الجديدة على الجسد كله : « وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » (١ كو ١٢ : ٢٧) . وبالنهاية يصبح كل فرد — بسبب امتلاكه لصفات ومميزات الإنسان الجديد — له كل

ما للجسد من كرامة ومجد حتى مجد الرأس، والجسد له كل ما للأفراد في وحدة متناظرة فائقة هي أصلاً وبالأساس وحدة حب وبذل وانسجام وترقق، وهي الصفات التي لها القدرة الإعجازية على التجميع لبلوغ حالة تمجيد لله: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. وأنا ممجد فيهم» (يو ١٧: ٢٢ و ١٠).

كيف أن استعلان العمل الصالح يمجّد الله:

+ «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦). هنا التمجيد الذي يقصده المسيح ليس التمجيد اللفظي وإنما انعكاس النور الذي ينبعث من الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان الجديد فيكشف مجد الله للعالم. العالم بطبيعته المادية وبتركيبه المنطقي العلمي لا يعرف الله ولا يستطيع أن يعرفه من ذاته: «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله (أمور الروح) لأنه (لأنها) عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه (يعرفها) لأنه إنما يُحكم فيه روحياً، وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحكم فيه من أحد» (١ كو ٢: ١٤ و ١٥). والأمور الطبيعية والمنطق العلمي مجد ذاته يمكن أن يؤدي إلى معرفة الله وإنما بتوسط الروح القدس الذي يكشف الصلة بين الخالق والمخلوق، ولكن العالم من نفسه أو الإنسان الطبيعي بتركيبه الطبيعي ليس فيه روح الله، لأن الروح القدس هو عطية الله الجديدة للإنسان الجديد: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كُث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤: ١٧).

إذن أصبحت الأعمال الصالحة المعمولة بالروح القدس وبواسطة الإنسان الجديد المخلوق جديداً بالقيامة من الأموات، هي بمثابة الصلة الوحيدة بين عالم الماديات ومنطق الطبيعة وبين الله خالقها. فالعمل الصالح المعمول بالنعمة هو برهان الروح الوحيد لإظهار الله كخالق وكشف قوته المجتفية وراء الطبيعة والماديات. وهذا هو مجال تمجيد الله الوحيد، ولكن يلزم هنا أن يكون العمل الصالح قد بلغ قوته وكماله في جمع المتفرقين إلى واحد ولمّ شمل الأعضاء جميعاً في جسد واحد يتحرك بصورة إعجازية فائقة على مستوى

الطبيعة في المحبة والألفة والبذل والفداء، حيث يصبح أيضاً وعاءً صالحاً يسكب الله فيه قواته الفائقة للمنطق العقلي، فتصبح الكنيسة بمجملتها ومجد ذاتها كوحدة مجتمعة شاكرة مسبحة مستقبلة لعطايا ومواهب الروح القدس، برهاناً على وجود الله وعمله وصلاحه، وتكون بوحدتها القوية غير المتحلة هي معجزة العالم الجديد الشاهد لله وسبب تمجيده إلى الأبد.

ولكن الذي يعطل شهادة الكنيسة لله كخلقة جديدة في العالم في كل زمان ومكان هو فُرقتها وانقسامها، سواء في العقيدة الواحدة أو من جهة انقسام العقائد كلها، أو من جهة السلوك المادي. العالم الآن غريب عن الله — بسبب تغرب الكنيسة عن طبيعتها وظهورها بهذه الصورة المنقسمة المتفرقة، المتشايعة لهذا الزمان ولنفسها وليس لله. فالكنيسة غير منظورة جيداً كعمل صالح، وغير موجودة كشهادة لله حية وفعالة بالنسبة للعالم، وفُرقه الكنيسة وانقسامها وانشغالها بالماديات يجردتها من جوهر العمل الصالح، ويجعل تصرفها يظهر وكأنه من صميم الطبيعة الأرضية. هذا تعيشه الكنيسة دون أن تدري أنها بذلك تبرهن للإنسان الطبيعي على عدم وجود الله في العالم!

(١٩٧١)

عيد القيامة يوم الخليقة الجديدة

اليوم يا أحبائي يوم عيد، يوم تجديد، يوم خلقة . والله الذي قال في القديم أن يشرق نور من الظلمة، اليوم أيضاً أشرق نوراً على البشرية، لأنه قد صار لها خلقة وتجديد وحياة.

ولكي أنبه ذهنكم لأهمية القيامة، ينبغي أن أذكركم بأن كلمة: «القيامة — أناستاسيس» ἀνάστασις كلمة غريبة على البشرية، ليست من ضمن كلمات بني آدم. إنها فعل غير أرضي، ليس له أية علاقة بتراب الأرض ولا بأي خلقة تدب على الأرض.

القيامة فعلٌ جديد، حَدَثٌ، هبط إلينا من السماء، فعلٌ مفهومه يفوق الجسد واللحم، و يفوق العقل، و يفوق العواطف والمشاعر والتفكير وأعماق الضمير، إنه فعل جديد جداً على البشرية.

يا أحبائي — أنبه ذهنكم — القيامة خلقة جديدة، كما قال الله قديماً: «ليكن نور» (تك: ١: ٣)، فكان نور، وأمسك حفنة تراب ونفخ فيها لتكون إنساناً...

هكذا تماماً يا أحبائي في هذا اليوم، سوف تسمعون وترون وتحسون بقلوبكم أنه فعلاً قد صارت خلقة جديدة، والقيامة التي نتكلم عنها ليست غريبة عنا، أو على الأقل

ليست غريبة عن الذين يعيشون فيها الآن: «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى» (رؤ ٢٠: ٦)، نحن الآن نعيش القيامة الأولى، نفس هذا الفعل السماوي، نفس هذه الحياة الجديدة التي لم يكن يعرفها إنسان، قد صارت لنا في هذا اليوم بقيامة يسوع المسيح.

ولكن العجب أن الإنجيل يحدثنا حديثاً بسيطاً للغاية عن القيامة، هذه الحقيقة الخالدة، هذا الفعل السماوي، هذه المعجزة العظمى، لأنه إن كان المسيح قد صنع معجزات هذا عددها، وإن كانت قد صارت أيضاً معجزات في العهد القديم هذا عددها، ولكن لم تسمع البشرية قط ولم تر معجزة مثل هذه المعجزة التي نحن فيها مقيمون. ولكن بالرغم من هذا الإعجاز الكلي وبالرغم من هذا العمق، وهذا المفهوم الذي يعلو فوق كل مستوى عقلي، فإن الإنجيل يتحدث عنه ببساطة منتهى البساطة كأنه خبر، كأن ما حدث أمور عادية، لدرجة أن قارئها ربما تعبر عليه القيامة وكأنها عمل بسيط لا يسترعي إنتباهه.

— ١ —

«في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر
باكراً والظلام باقٍ» (يو ٢٠: ١).

ما هذا؟ كلام وجل ومبتدأ وخبر وفاعل ومفعول، ثم فجأة نجد مريم واقفة عند القبر تبكي، وملاكين بثياب بيض جالسين، قالوا لها: «لماذا تبكين؟». — «أخذوا سيدي»، «لست أعلم أين وضعوه؟» (يو ٢٠: ١٣)، وكأنها بلبله، ثم من بين هذا كله «إلتفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع» (يو ٢٠: ١٤). وهكذا دخل فعل القيامة، هكذا فعلاً — يا أحبائي — تماماً دخل فعل القيامة إلى أرض الإنسان، بهذه البساطة المتناهية جداً جداً. كخبر لا يحتاج إلى يقين: «قالت هذا والتفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع» (عدد ١٤). باللعجب، دخل

المسيح أرضنا قائماً من الأموات — وسوف نرى بماذا هو واقف، وبماذا قام.

يعوزني الوقت يا أحبائي والوقت متأخر جداً، الآن الساعة قاربت على منتصف الثانية بعد منتصف الليل، ولهذا أتمنى أن أجد آذاناً صاغية لأن الأمر جد خطير.

سوف تسمعون شيئاً عن القيامة، لم تسمعه من قبل. والذي يسمع بوعي، سوف يحس بالروح، والذي سوف يحس بالروح سوف يحيا، يحيا القيامة.

الصليب والقيامة:

كنت قد حدثتكم سابقاً عن حرية الإرادة التي تقدم بها المسيح إلى الصليب^(١) وشرحتها بدقة، ولكن فات عليّ أن أشرح لكم كيف أسلم المسيح الروح على الصليب بمنتهى حريته أيضاً.

ليس فقط أن المسيح تقدم إلى الصليب بحرية إرادته، ولكن في مضمون الفعل «أسلم» الروح في الأصل اليوناني، يتضح أنه يشمل معنى تقديم الشيء بالإرادة. ولكي يزداد يقيننا بحرية المسيح في تسليمه، نقرأ الآية التالية التي قالها: «في يديك أستودع روحي» (لو ٢٣: ٤٦).

ثم من هو الذي يقول هذه الكلمة؟ ... يقولها إنسان يحتضر في آخر لحظة من الموت؟! وبعد إعياء إبتداء من يوم الخميس غروباً بعد انتهاء العشاء السري مباشرة، لم يذق طعاماً يوم الخميس كله ثم ليلة الجمعة وبعد ذلك الصليب يوم الجمعة بحوادثه، بعد آلام وجلد على الظهر ٣٩ جلدة، بعد مهانة وفضيحة كافية أن تكسر النفس لا الجسد فقط، بعد كل هذا نسمع في الآخر «في يديك أستودع روحي» بمنتهى الهدوء. وفعلًا قد تم ما قد سبق أن أنبأ عنه المسيح أن «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها» (يو ١٠: ١٨).

(١) راجع نص عظة: «يوم الصليب» التي أُلقيت يوم الجمعة العظيمة عام ١٩٧٣ — بكتاب: «مع المسيح في آلامه حتى الصليب»، ص ٢٠٧.

والآن وضح لدينا أنه يستخدم ذات سلطانه في أنه يضعها، ولكن اليوم وفي هذه الساعة — يا أحبائي — بنفس السلطان الذي به وضع روحه، والآن وبنفس السلطان ها هو يرفعها! ...

قام المسيح، قام بإرادته وسلطانه وحده. حرية الإرادة في قيامة المسيح بهذا الجلال والبهاء وبنفس الجسد الذي تمزق على الصليب بجروحه النافذة، يقوم السيد بمجد وجلال عظيمين. هذا طبعاً لا يمكن في نظر أي إنسان، مهما بلغت به المماحكة الفكرية، إلا أن يقول أنها معجزة ليست على المستوى البشري على الإطلاق. لا يمكن ولم يحدث قط فيما مضى من الزمان، ولن يحدث إلى نهاية الزمان، معجزة أخرى مثل معجزة الصليب تتبعها قيامة بعد أكثر من ٣٦ ساعة. مستحيل، لذلك يقول القديس بولس الرسول وهو في يقين الرجاء أن المسيح صار ابن داود من جهة الجسد «وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤). «تعين» معناها (استعلن ولكن بخطة واضحة). أي أن المسيح استعلن بتدبير سابق إبناً لله بقوة من جهة روح القداسة، أو الروح القدس، بالقيامة من الأموات.

فالقيامة هنا يا أحبائي تضمني على المسيح قوة وجبروتاً، لأن ما بعد القيامة يثبت أيضاً أن القيامة كانت معجزة، لأن القيامة تبعها أو رادفها صعود، وسنرى قوة الصعود في حينه ...

ليس هذا فقط، أن القيامة أضفت على المسيح «تعييناً» لدى ذهن الإنسان أن هذا ليس إنساناً، إذ هو أمر يفوق الإنسان بكثير جداً، أو كما عبّر القديس بولس الرسول «أنه تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات»، ولكن هذا الأمر شيء أكثر مما يعني، لأنه ينصب مباشرة على إثبات ألوهة المسيح، وهذه الساعة ساعة القيامة هي ساعتنا، يهمننا ما هولنا فيها.

درجات استعلان القيامة

في الواقع يا أحبائي، درجات استعلان القيامة ستسير درجة درجة حتى نرى نصيبنا فيها تماماً. فبشيء من التأمل نجد أن الإنجيل تدرج في إعلان القيامة على مستوى الأشخاص (راجع يوحنا ٢٠). أولاً ابتداءً بالمجدلية، وأنتم تعلمون من هي المجدلية. سوف نتأمل في سيرتها جيداً لأنها ستعطينا اليوم الشيء الكثير من الحب البشري والأمانة والإخلاص الذي يفوق العقل الذي ليس ما يسندُه إطلاقاً من جهة المنطق. فبعد ما ابتدأت المجدلية تحس بالمسيح القائم من الأموات وتخطبه، انتقل القديس يوحنا الرسول سريماً في روايته ليكشف عن القيامة وهي تُستعلن قليلاً قليلاً في شخصين آخرين هما يوحنا ثم بطرس.

هنا التدرج في المحبة واضح، إذ بعد استعلانها للرسولين يوحنا وبطرس سوف ترون القيامة تستعلن قليلاً قليلاً، مع شيء من التوبيخ و يسندها كثير من البرهان، في العشرة المجتمعين في العلية. وهذه هي الدرجة الثالثة في الإستعلان.

وبعد هؤلاء المجتمعين في العلية تستعلن القيامة في تلميذي عمواس هذين الأخين الطيبين جداً!! اللذين كانا سائرين يتطارحان حديثاً عابساً عن ذلك النبي المزعوم الذي كانا يتطلعا إليه كنبى قادر أن يخلص، ولكنه خيب رجاءهما أشد الخيبة إذ مات. فرجعا بالبكاء والحزن إلى عمواس ليكلا بقية الأيام في خزي بسبب معلم تبعوه وكانوا يتمسكون به كنبى ويتعظمون بسيرته بين الرفقة، ثم إذا به يخذلهم ويصلب، فيعودون إلى المدينة يفتطمخ الحجل والعار بسبب ما سيعانونه من فضيحة وسط الأهل والأحباء. ولكن إذ نظر المسيح فوجد في قلبها شيئاً من الحب، أظهر ذاته لهما، وقد وضح هذا الحب في رواية الإنجيل عنها لما أخبر القديس لوقا الإنجيلي كيف صارا يتطارحان الحديث مع بعضهما، عندما تركهما المسيح، قائلين: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا

إذ كان يكلمنا؟» (لوقا: ٣٢).

هذا الحب الملتب في القلب هو علامة حب ذفين صامت لم يستطع أن يعلن ذاته أو يُستعلن بشيء من الإيمان، ولكن المسيح استطاع شيئاً فشيئاً أن يكشفه بعد أن وبخهما بالقول: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده، ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لوقا: ٢٤: ٢٥-٢٧).

وبعد تلميذي عمواس، أنتم تعرفون الشخص الأخير، وهو الخامس في درجة الحب، الحب الشكاك، ولكن أخشى أن نكون نحن بعده، وهو توما حينما أعلن عن منهجه: «لا... كلكم صنف وأنا صنف آخر».

لقد ابتدأت القيامة تُستعلن للمجدلية بخط رأسي من السماء إلى الأرض، إذ أحست بالمسيح مباشرة، إحساساً رأيته بالرؤيا غير الواضحة فقالت له: «ربوني»!! لا زالت تراه معلماً. أما توما فقد ابتدأ يقلب الوضع تماماً بخط رأسي يبتدىء من الأرض ويرتفع إلى فوق. قال: «إن لم أتحمس بأصبعي في جروحه فلن أؤمن» وكأنه يريد أن يتحسس السمويات كما يتحسس الأرضيات. إنه يريد أن يبتدىء بإحساس من الأرض ويصعد به إلى الإيمان بما في السماء. وبش هذا الإيمان، لقد وبخه المسيح جداً جداً، وقال له: لا مانع هات أصبعك وضعه في جروحي ولتكن في إيمانك آخر كل إنسان، ولكن ياتوما «طوى للذين آمنوا ولم يروا» (يو: ٢٠: ٢٤-٢٩)!!

في هذه الدرجات الخمس يأحبائي استُعلنت القيامة، ولكن الدرجة السادسة طبعاً هي: «طوى للذين آمنوا ولم يروا» (يو: ٢٠: ٢٩).



« لا تلمسيني »

والآن نبتدىء الإستعلان درجة درجة مع المجدلية، لقد ظنت أولاً أنه البستاني فقالت له: «ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا أخذه» (يو: ٢٠: ١٥)، بالجرأة، امرأة ولكن جبارة جداً!! تريد أن تحمله هي وتمشي به! قال لها يسوع: يا مريم! ... فالتفتت تلك وقالت له «ربوني».

يا أحبائي — إن المسيح بظهوره في القيامة، لم يظهر بهيئته تماماً التي كان يعيش بها، كانت هيئته مختلفة — نوعاً ما. في إنجيل مرقس نقراً: «وظهر بهيئة أخرى» (مر: ١٦: ١٢). فهنا للمجدلية عذر — نوعاً ما — ولكنها استطاعت حيناً سمعت صوت المسيح أن تتبينه فقالت له: «ربوني». يال للأسف... لا يزال المسيح بالنسبة للمجدلية مجرد معلم. هنا يتدخل القديس يوحنا بتعليق من عنده على قول مريم للمسيح القائم من الموت «ربوني» «الذي تفسيره بالمعلم»!! ثم أردف الإنجيل بسرعة رداً على قولها: «قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي» (يو: ٢٠: ١٦—١٨). هنا موضوع حديثنا كله يا أحبائي في هذه الليلة، أصعب ما قيل في القيامة، سنأخذ منه نقطة إنطلاق لنتعزى بها ونأخذ منها القيامة السهلة التي تنسكب في قلوبنا انسكاباً تلقائياً كالنور.

فكما أعطانا الله يوم الصليب أن نتأمل معاً في الآية الصعبة جداً وهي: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت: ٢٧: ٤٦) وأخذنا منها نصيباً من القوة، هنا سنأخذ أيضاً نصيبنا من القيامة من آية معقدة أشد التعقيد بالنسبة للشرح العقلي.

قال لها يسوع: «لا تلمسيني»، من هنا سننطلق يا أحبائي لنفسر القيامة ثم الصعود، وعلاقة القيامة بالصعود ونصيبنا من هذه ومن تلك.

لما رجعتُ إلى الأصل اليوناني، وجدت أن كلمة «تلمسني» هي αττω وهي تشمل معنى «يمسك في» وليس مجرد «يلمس»، والشرح المدققون الذين يعرفون اليونانية القديمة رفضوا أن تترجم كلمة «هاپتو» بكلمة «تلمسني» لأن كلمة «تلمسني» لها كلمة أخرى في اللغة اليونانية. إنما «هاپتو» تعني «يمسك في» أو «يعبّط في». و يلاحظ أن الكلمة العربية «يعبّط» هي يونانية متمصرة.

أرادت يا أحبائي أن تعبّط في المسيح، لأنها كانت تحبه حباً شديداً جداً، لأنها كما تعلمون كانت سابقاً امرأة ضعيفة تعذبت من الأرواح النجسة، سبعة شياطين، كانت حياتها كلها عذاباً في عذاب، وبعد ذلك تعطف عليها السيد وأخرج منها الشياطين (لو ٨: ٣٠ و ٣١) فصارت تتبعه كل أيامها وهي متعلقة به أشد التعلق. كانت بقلبها وعينيها و يديها وكل عواطفها تتبع المعلم.

طوبى للإنسان الذي يستطيع أن يكون مثل هذه المجدلية، أن يتمسك «هاپتو» بالمسيح بقلبه وبروحه، بنفسه وبجسمه، بعقله وشفتيه، وبكل ما يملك!...

يا أحبائي، ثقوا أنه بسبب هذه المجدلية أعلنت لنا القيامة بصورة أوضح مما لولم تكن هذه المجدلية في أحداث القيامة...

تأملوا معي، نحن الآن في الفجر والساعة الآن الرابعة إلا قليلاً، وذلك بحسب أدق الأبحاث في تحديد موعد القيامة. في الساعة الرابعة إلا قليلاً خرجت المجدلية من بيتها في أحد الأركان داخل أورشليم، بينما كان القبر خارج أورشليم. وتعلمون أن أورشليم مدينة لها باب مغلق وعليه حراس، والأبواب لا تفتح إلا بعد انبثاق النور (انتبهوا للكلام لأنكم ستجدون في الأناجيل الأربعة قصة القيامة من زوايا متعددة أربكت الشراح فعلاً)، لأن أحد الإنجيليين يقول: «والظلام باقٍ» قامت المجدلية، والثاني يقول: «في الفجر والظلام باقٍ» (يو ٢٠: ١)، وآخر يقول: «وإذ طلعت الشمس» (مر ١٦: ٢).

هل هناك «تعارض» بين الأناجيل؟ مع أنها قصة واحدة ومتقنة جداً!
أقول: قامت المجدلية من بيتها والظلام باقٍ فعلاً، وبالتحديد قبل الساعة الرابعة وصلت باب المدينة فيما بين الظلام والنور، أي في الفجر، حيث كان قد ابتدأ نور الفجر أن يشرق، وجلست هي والثلاث مرعات وراءها لأنهن كن متواعدات على هذا الميعاد، إلا أن المجدلية سبقتهن. وكانت كل واحدة منهن تحمل إناعين، واحداً على رأسها والآخر في يدها، أما الذي على رأسها فكان إناء به حنوط ذائبة مثل المروالمعة وبعض الزيوت العطرية، وأما الذي في أيديهن فكان صرة بها قرفة وسليخة ومروعود، هذه هي الحنوط الناشفة، شيء كثير جداً، كل واحدة كانت تحمل الكثير...

وصلن جميعاً وجلسن عند الباب، باب مدينة أورشليم المواجه لوادي قدرون، حتى فتح الحراس الباب، ثم خرجن وابتدأن المسير ليعبرن وادي قدرون، مسافة لا تقل عن نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة وابتدأن يدخلن البستان الذي فيه القبر، هناك بعيداً عن أورشليم.

كل هذا يرينا مراحل الأزمنة التي ذكرها الإنجيل. وفي الواقع يا أحبائي أن هذه المجدلية تُظهر أمانة وإخلاصاً لا يمكن أن يتصوره العقل. لماذا قامت مبكراً يا أحبائي؟ لا يجب أن نقرأ بدون وعي، كان متبقياً ساعات قليلة جداً و يبدأ الجسد في أن تفوح رائحة الشتانة منه، هكذا تصورت المجدلية، لذلك قامت والظلام باقٍ، ودموعها على وجنتيها، وبآخر سرعة، وربما استحثت الحراس في ذلك اليوم وترجتهم بشدة حتى يفتحوا لها الباب مبكراً عن مواعده وانطلقت جرياً نحو القبر، لأنه كان قد مضى آنذاك أكثر من ٣٦ ساعة منذ الدفن.

هنا يا أحبائي، الإخلاص والحب والأمانة، يُعجب لها، تريد في آخر لحظة أن تعمل شيئاً لمعلمها، سندهن بالأطياب وتلفه بالمروالمعة والسليخة.
آه يامرم، ألم تدري أن هذا ليس إنساناً يُحفظ وليس إنساناً يُعطر بالعطور؟ ألم تقرأ في عنه في نشيد الأنشاد: «فتى كالأرز طلعت من لبنان، وثيابه عطر»

(نش: ٥: ١٥)، ألم تقرأ أن «المروالمبعة والسليخة من ثيابه» (مز ٤٥: ٨)، المروالمبعة المذكوران في المزامير سماويان في الواقع، عطر جميل زكي هو عطر الطهر والقداسة تفوح من الرب.

ألم تدري أن هذا هو الرب الذي سوف يعطر المسكونة كلها، الأرض والسماء معاً، برائحة قيامته التي سوف تزيح من البشرية كلها رائحة النجاسة ونتاجة الخطية؟

— ٤ —

«الخليقة الجديدة في المسيح»

أعود ثانية للمجدلية و«ربوني»، «ربوني الذي تفسيره يامعلم، قال لها لا تلمسيني»، وسبق أن قلت أن «لا تلمسيني» هي في الأصل «لا تمسكيني، لا تمسكي في» لأنني لم أصعد بعد إلى أبي.

إذن بين المسك والصعود علاقة وثيقة، الرب قال لها أن لا تمسك فيه لأنه لم يصعد بعد إلى «أبي».

ما هذه العلاقة؟ في الواقع يا أحبائي إن مريم أرادت أن تمارس علاقتها الروحية المحبوبة بمعلمها، تمسك فيه وتقبل يديه ورجليه حباً وإخلاصاً وأمانة. فابتدأ يقول لها: لا... لا، لا تقترني مني، لا تمسكي في، أنا لم أصعد بعد إلى أبي. لماذا؟

في الواقع يا أحبائي، إن مريم لم تكن بعد قد انفتحت عيناها على الخليقة الجديدة، التي صارت للمعلم. أرادت أن تمسكه كما كانت تمسكه قديماً باعتبار أنه إنسان معلم.

هنا المسيح لم يسمح لها!! هذا هو الحد الفاصل، هنا ينبغي أن تكون انتباهة مهمة لنا جميعاً، للبشرية كلها، يوجد حد فاصل قاطع حاد بين الخليقة العتيقة وبين الخليقة الجديدة.

لا يمكن لإنسان وهو يحيا في الخليقة العتيقة أن يمارس أي علاقة عن قرب بخلقة جديدة.

لا يمكن أن حياة أرضية تنفتح على حياة سماوية.

لا يمكن أن تكون هناك خلطة للظلمة مع النور: «لا تلمسيني، لا تمسكي فيّ» لأنني لم أصعد بعد إلى أبي.

ولكن لم يكن هو الذي سيصعد، بل هي التي ستصعد فيه!!

هنا يا أحبائي ارتفع بذهنكم مرة أخرى لفهم الصعود الذي سوف يجوزه المسيح توأ، أو وشيكاً الآن، وسوف نرى.

الرب يسوع المسيح كما تعلمون، تجسد، ومعنى التجسد الذي أوضحته لكم مراراً، أنه أخذ جسداً منا أو أخذ جسدك وجسدي، وُصِّلَ به لكي يبرئه ويبرره على الصليب، ومات لكي يوفي كل عقوبة الخطية ومخالفات الناموس، ثم قام بهذا الجسد عينه.

والمسيح الآن وهو واقف أمام المجدلية، يحمل جسداً هو في الواقع جسد المجدلية، وجسد كل إنسان على الأرض يؤمن بالرب يسوع المسيح. ولكن المسيح نظر فرأى أن هناك فاصلاً عجباً بين المجدلية التي أمامه والمجدلية التي فيه أي جسده المقام من أجلنا، أيجوز هذا؟ ليت تكون انتباهة في قلبكم وذهنكم الآن، أيجوز هذا؟ أن تكون هناك صلة بين المجدلية التي في المجدلية وبين المجدلية التي في المسيح؟!

المسيح يحمل جسد المجدلية مقاماً من الموت مبرراً ومبرراً من كل خطية، جسداً طاهراً نقياً، جسد البشرية الجديد، ولكن هذه الخليقة لم تصعد بعد إلى الآب لكي يكون لها قدوم إلى الآب ووجود مع الآب...

ثم أتقدم قليلاً لعلكم تتحسنون معي هذه الأفعال:

ولكي يكون للخليقة الجديدة جلوس عن يمين الآب، لكي يكون لهذه الخليقة الجديدة وحدانية: «ليكونوا واحداً فيك» (يو ١٧: ٢١)، لأنه لا يمكن أن نمارس وحدتنا

مع المسيح الإبن إن لم تُقبل وحدتنا واتحادنا مع الآب أولاً: «لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقيّمه في اليوم الأخير» (يو: ٦: ٤٤).

لذلك، وإن كانت البشرية المقامة الآن متحدة بالمسيح، وفي المسيح، وواحداً معه، إلا أنها لم تبلغ بعد وحدتها بالرب، حسب صلاة المسيح في إنجيل يوحنا ١٧: «كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» (يو: ١٧: ٢٠).

نحن الآن في الدرجة الأولى، فنحن متحدون مع المسيح بالقيامة، جسد مبرر متحد بالمسيح أشد اتحاد، وحدة يأحباثي وليس اتحاداً فحسب. قال لها: «لأنّي لم أصعد بعد إلى أبي» بجسدكم وخليقتكم التي طهرتها لكم. إلى هنا والكلام للذي جداً، ولكن الأمر يحتاج إلى انتباه.

أعود ثانية إلى «لا تلمسيني»، لا أريدك أن تأتي ناحيتي وتكلميني، ولا أريدك أن تمسكي فيّ وتحديثني، ولا أريد أن نتبادل أبداً بل ولا يمكن أن نتبادل أي شيء من المعرفة والمحبة الآن «لأنّي لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

— ٥ —

بالصعود صرنا للمسيح إخوة

ياأحباثي، كلمة «لأنّي لم أصعد بعد» انتبهوا لها، قال لها يسوع: «لا تلمسيني لأنّي لم أصعد بعد». هنا اللمس غير ممكن إلا بعد أن يصعد، ثم قال لها: «ولكن قولي لإخوتي أني أصعد إلى أبي وأبيكم». والفعل اليوناني في اللغة اليونانية يعني الإستمرار، أي أني سأمارس وشيكاً أو سأصعد في الحال أو سأصعد الآن. إذهبي خبرهم وبشرهم. حقاً لا تلمسيني لأنّي لم أصعد بعد، ولكن إذهبي وقولي لإخوتي (وهذه أول مرة يدعو فيها المسيح التلاميذ كإخوة) كان كل مرة يقول لهم ياأحباثي، ياأولادي ولكن ياإخوتي هنا أول

مرة ينطقها، إذ هنا قد حدث شيء، الآن أنتم على وشك إدراكه، لقد أصبح الآن بكرًا من الأموات «لكي يشبه إخوته في كل شيء» (عب ٢: ١٧). هنا الحالة الروحية التي سيحضرها أو سيخلقها المسيح لنا — بالمجدك يا يسوع بل بالمجدك يا بشرية بقيامة يسوع. بقيامة المسيح أخذنا لقباً جديداً لأن الخليقة الجديدة أصبحت متحدة بالمسيح اتحاداً كلياً، في وحدانية مطلقة، أصبحنا إخوة المسيح وبالتالي بالنسبة للآب «أبناء».

في هذه اللحظة التاريخية (إن جازت كلمة تاريخ)، هذه اللحظة الزمنية (إن جاز أننا نرجع للزمان)، في هذا الحدث الخطير، في هذا الحدث بالذات، صار للبشرية علاقة بالمسيح كعلاقة أخ بأخيه. لأننا اتخذنا به وتوحدنا فيه وصرنا معه أبناء للآب.

هنا يا أحبائي في هذه الجملة الصغيرة والتي أتعبت الشراح، تتكسد كل مواهب البشرية، كل نعم الخلاص، كل مفهوم القيامة والخليقة الجديدة والحياة الأبدية.

«إذهبي إلى إخوتي»: هنا حدث ارتقاء شديد جداً، من خليقة عتيقة في العبودية — بالكاد استطاع أن يسميهم «أحياء» حينما كان يعلمهم من قبل — ارتقاء إلى درجة «الأخوة»، لأن الخليقة الجديدة خلقت من المسيح وبالمسيح في المسيح، فصرنا فيه إخوة وهو صار لنا بكرًا من الأموات، وباكورة من بين ثمار.

هذا فقط عبوراً على «إذهبي قولي لإخوتي» ولكن لنا كلام آخر فيها إذا استطعنا ذلك في هذه الليلة، أو نجعله لوقت آخر.

«إذهبي لإخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». لاحظوا هنا أن يوحنا في اختياره للكلمات والتلميحات والإشارات ليس هيناً، واحذر أن تعبر على أي كلمة وتظن أنه وضعها في موضعها بدون قصد، أو كأن ليس لها ضرورة حسب المنطق أو منطق الكلمات وتسلسلها.

ما معنى، بل وما هي الضرورة، بل ما هو السبب في أن يقول هنا: «إلى أبي وأبيكم

وإلهي وإلهكم؟»... لا يا يوحنا لا... لا، أنت هنا في هذا التكرار تخبيء شيئاً، وضح لنا هذا من فضلك!! لأن في سياق الكلام سابقاً قالها مرة واحدة وانتهى: «لأنني لم أصعد إلى أبي».

— ٦ —

خليقة عتيقة وخليقة جديدة — حد فاصل بينها

ولكن يعيد ويكرر ويضيف ويشير خفياً: «وقولي لهم أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

يا أحبائي إن الذي انتبه للكلام السابق، حالاً قلبه الآن سيلتقط المفهوم. هنا المسيح يتكلم عن نفسه كابن الله «لوعوس»، ويتكلم أيضاً عن الخليقة الجديدة التي يحملها في جسده، وهو في نفس الوقت يخاطب المجدلية. إذأ، فالخليقة الجديدة التي يحملها لها مقابل أمامه، وهي الخليقة العتيقة في المجدلية، وهذين الاثنين يفسر المسيح الآن علاقة الآب بهم.

«أبي وأبيكم» هنا يتكلم المسيح عن أبيه، فهذه هي الأبوة التي بالطبيعة، الأبوة والبنوة اللتان على درجة التساوي بحسب الجوهر الإلهي.

ثم «إلهي وإلهكم» لاحظوا هنا السر، اسمعوا... اسمعوا وعوا الكلام جيداً!! هنا ليسا صنفين من الألوهة ولكن هناك صنفين من الخليقة، هنا خليقة عتيقة يكلمها، أي يكلم البشرية في شخص المجدلية والتلاميذ «إلهكم». أما «إلهي» هنا فهو يشير بها إلى الخليقة الجديدة التي يحملها المسيح في جسده بعد القيامة وينطق بها باسم البشرية المجددة. أما «إلهك» فهنا يقصد المسيح إله الخليقة القديمة، فهو «يهوه» في العهد القديم، إله الإنسان العتيق إسرائيل الغليظ الرقبة، طبعاً أنتم تعرفونه من هو؟ مخيف ومرعب. مرة نزل «يهوه» على طور سيناء فدخل الجبل واتقد ناراً. وارتعب الشعب جداً وصرخ

لموسى، واستعفى الشعب من سماع صوته وقال الشعب لموسى لا... لا... تكلم أنت معه وما يقوله لك الله قلله لنا أما نحن فلا نستطيع أن نبصره ولا نكلمه (راجع خر ٢٠: ١٨-٢١).

هذا هو إله العهد القديم، هذا هو إله الخليقة العتيقة، نار آكلة. من ذا يستطيع أن يقف قبالة الله. من ذا يستطيع أن يحاججه، من ذا يستطيع ؟ «الكل زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله» (مز ١٤: ٣). لا يمكن أن نقف أمام الله وجهاً لوجه، هذا هو إله العهد القديم، هذا هو إله الخليقة العتيقة.

و«إلهي»، هنا المسيح يتكلم باسم البشرية المجدة، البشرية التي قامت من الأموات مبررة من كل خطية. كان قد غلب الخطية والموت معاً، كسر شوكة الموت، وشوكة الموت هي الخطية، وقام «بالجسد البشري طاهراً» نقياً، و«النفس البشرية قدوسة» مقدسة، و«الروح مبررة».

هذه الثلاث صفات: طهارة الجسد، وقداسة النفس، وبرارة الروح، أحب أن أرسخها في ذهنكم: صفة الجسد للإنسان تطهير، والصفة بالنسبة للنفس تقديس، والصفة بالنسبة للروح تبرير.

في الواقع، ها قد وضع الكلام عن «أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». هنا الصعود يأحبائي سيكون لتقديم الخليقة الجديدة التي حملها المسيح في نفسه ووحدتها بذاته، أي باللوغوس، بالكلمة، بالبنوة الإلهية، بنفسه كابن الآب. هنا يقدم الخليقة الجديدة ليجلسها في السماء معه عن يمين الآب.

أنبه ذهنكم للآية: «أقامنا معه، وأجلسنا معه»، فالمسيح وهو يكلم المجدلية كان في حالة «أقامنا معه» فقط. هنا نحن قائمون مع المسيح، الآن في هذه الآية، في هذه اللحظة الزمنية أو في هذا الحدث العجيب. فحينما قال المسيح للمجدلية «لأني لم أصعد

إلى أبيكم» فقد كان المسيح قائماً ونحن قاثون معه، وبعد ذلك «أجلسنا معه في السماويات» أي قدمنا إلى الآب، أي أنه باتحادنا بالمسيح الابن ثم بجلوس المسيح الابن عن يمين الآب بمفهوم التساوي ومفهوم القرى والوحدة والاتحاد، قربنا بالتالي وبالضرورة إلى الآب كخليقة مطهرة مقدسة بلا لوم، وأحضرنا أمام الآب في جسده المقام فصارت لنا بالآب صلة وصلات عن طريق الابن، وصارت لنا وحدة—غير منظورة طبعاً—ولكننا نجني ثمارها منذ أن حدث ذلك وإلى اليوم والأبد.

«إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». هنا يا أحبائي يكون بحسب التفسير الدقيق الصعود قد تم تماماً، وأنا متمسك بدقائق أزمنة الأفعال، والحوادث أيضاً تقف تماماً في صف هذا الشرح، لأنه بعد ذلك (في إنجيل متى ٢٨: ٩) أي بعد أن تم الصعود والعودة يقول أن المزمين قبلناه وأمسكتنا بقدميه ولم يقل لها شيئاً. كذلك لما وقف في العلية وأراهم نفسه قال لهم: «جسوني وانظروني» (لوقا ٢٤: ٣٩)، هذا معناه أنه أكمل الصعود وحينئذ حدثت إمكانية الألفة معنا. معنى هذا أن البشرية قد صار لها وجود مع الآب ووجود مع الابن كخليقة مجددة في حياة جديدة أبدية. ولكنها منحصرة فقط في المسيح يسوع، وما بقي إلا أن تنتقل من المسيح للكنيسة، ومن الكنيسة للبشرية كلها، وهذا أكمله المسيح في فعل واحد أو في آية واحدة، فيها من العمق الروحي ما يحتاج إلى وقفة وانتباه، وسنشرحها لنلاشي الغموض الذي فيها، أما هذه الآية فتتصل بسابقتها، وباتصال الآيتين وربطهما معاً يفتح أمامنا سر القيامة والصعود.

«ولما قال هذا نفخ وقال لهم إقبلوا الروح القدس».

ما هذا؟ وهل يمكن على مستوى القيامة فقط من الهاوية، وعلى مستوى ظهوره في الجسد أن ينفخ ويعطي الروح القدس؟ وأين إذن ما سبق وقاله: «إني ما يرض إلى الذي أرسلني، إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو ١٦: ٦٥)؟ علماً بأنه سبق وأوضح أنه سيرسل الروح القدس «من عنده أبي». ما معنى هذا؟... واضح جداً أنه لما نفخ الروح

القدس بعد القيامة وقال لهم إقبلوا الروح القدس، كان قد صعد حتماً ونزل ومعه الروح القدس من عند الآب كعطية للمخلوقة الجديدة.

لقد أخذ الروح القدس في ذاته كإبن متجسد، ولكن ليس في ذاته كلوغوس، لم يأخذ الروح القدس في نفسه كإبن أزي، لأن الروح القدس معه قبل التجسد وبعد التجسد وهو في الأردن وبعد الأردن وقبل الأردن، فالروح القدس معه ومتحد به دون أي انفصال لا زمنياً ولا جوهرياً، لا لحظة واحدة ولا طرفة عين.

إذن حينما قال المسيح لا بد أن أنطلق ليأتيكم المعزي، فهل معنى هذا أنه لم يكن فيه وقتشذ الروح القدس؟ لا طبعاً، فالروح القدس متحد فيه، إلا أنه لا بد أن يأخذ الروح القدس من الآب ليعطيه لنا ليس للمخلوقة الجديدة التي فيه بل لينفخه في المخلوقة العتيقة لتصير مخلوقة جديدة!! وهكذا وهذا الروح القدس تتحد المخلوقة الجديدة التي فيه بالمخلوقة الجديدة التي أمامه — أي التلاميذ — الكنيسة الجديدة.

ولتلاحظوا أننا هنا الآن في عملية خلق جديدة، هنا الروح القدس الذي أخذه المسيح من الآب، ونفخه في التلاميذ فهو إنما ينفخه ليس من نفسه فقط ولكن أيضاً من الآب، إذن فهنا مخلوقة جديدة.

ولعلكم تتذكرون أنه في سفر التكوين نفخ الله في آدم، فصار آدم نفساً حية.

و يلاحظ أن القديس يوحنا يشير في كلامه إلى شيء أعمق من الكلمات: فعندما نفخ قال لهم: «إقبلوا الروح القدس»، النفخ هنا ليس لبطرس أو لبقية التلاميذ على مستوى فردي، لكن القصد من النفخ هنا موجه للكنيسة مجتمعة. هنا الإشارة إلى حَدَثٍ قد تم وهو إقامة المخلوقة الجديدة مباشرة وللتو.

لما نفخ المسيح الروح القدس المحيي المرسل من الآب في المخلوقة العتيقة (التلاميذ) صيّرَها مخلوقة جديدة باسم الآب والإبن والروح القدس (الكنيسة).

«غفران الخطايا، نفخة الروح من المسيح للكنيسة»

لقد تأكدنا أن المسيح صعد إلى السماء وقدم الخليقة الجديدة المطهرة المعنى عنها إلى الآب، التي كسر عنها سلطان الخطية والموت، وصارت مرة ثانية في رضى الآب بعد أن كانت في خصومة وقطيعة معه منذ آدم، منذ أن أغلق باب الفردوس في وجه الإنسان، وحمل الشاروويم سيف نار متقلباً يحرس الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية أي إلى الآب.

وكانت الخطايا التي على البشرية تحجب وجه الآب عن الإنسان، ولكن دخل المسيح كسابق من أجلنا يحمل البشرية فيه واستطاع أن يصالحها مع الآب، وهكذا صالح الله الآب العالم لنفسه بالمسيح يسوع.

إذن فالله قد صالح العالم لنفسه بالمسيح، والمسيح نفخ الروح القدس في البشرية التي كانت في عداوة وبغضة وظلمة مع الآب، مبتعدة عن النور، نفخ فيها خليقة جديدة، حياة جديدة، حياة أبدية، وقال لهم «إقبلوا الروح القدس».

«إقبلوا» في اليوناني معناها «إمسكوا» λαβετε (أي مد يدك وخذ)، هنا النفخة وقبول الحياة الجديدة والخليقة الجديدة لابد وأن تكون فعلاً إرادياً، أي يلزم أن تمد يدك وتأخذ مثل القول الإلهي: «افغرفاك فأملأه» (مز ٨١: ١٠)، أو «أنا اجتذبت لي روحاً» (مز ١١٩: ١٣١ الترجمة القبطية في الأجيبة). لابد أن يكون الخلق الجديد فعل إرادة وإلحاحاً «إقبلوا الروح القدس» روح الحياة، لقد كانوا في موت والروح المحيي نقلهم إلى حياة جديدة، و«القدس» هنا تقديس.

ولكن الآية التالية أيضاً لها قيمة بالغة «من غفرتم خطاياهم تُغفر له ومن أمسكتموها عليه أمسكت» (يو ٢٠: ٢٣)، بالكثرة ما تراكم على هذه الآية من مفهومات خاطئة

أبعدتها جداً جداً عن حقيقتها .

هنا الآية مرتبطة بالآية التي قبلها التي فيها نفخ الروح القدس للكنيسة وقال لهم : « اقبلوا الروح القدس » ، وهذه مرتبطة بـ «إني أصعد إلى أبي» ، و«أصعد إلى أبي» مرتبطة بـ «لا تمسكيني» أي لا تقتربي مني ولا يكون لك معي عشرة ولا محبة ولا تفاهم ولا حديث حتى تأخذي الحياة الجديدة .

فهنا الغفران في قول المسيح : «من غفرتم خطاياهم غُفرت» هو فعل من أفعال الروح القدس ، هو نفخة المسيح بالروح في الكنيسة . وهذا فعله المسيح بالذات لكي يرفع الخطيئة التي هي العائق الذي يفصل بين الخليقة الجديدة والخليقة العتيقة ، لأن الذي يفصل بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة هو الخطيئة .

إذن لا يمكن الإنتقال من الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة إلا بواسطة الروح القدس وغفران الخطيئة . فهنا غفران الخطيئة متعلق تعلقاً شديداً جداً بالسلطان الجديد الذي أعطاه المسيح للكنيسة لكي تُغفر الخطيئة ، لكي يكون للكنيسة سلطان لتجديد الخليقة العتيقة .

هنا لو وضعنا الكلام في ضوء ما يتم في المعمودية يظهر الأمر وينكشف ، لأن فعل غفران الخطيئة في الكنيسة لا يظهر بقوة المحيية وبأعلى مستواه بقدر ما يظهر في سر المعمودية . لأن الشخص المتقدم للمعمودية (وسنتصوره هنا إنساناً كبيراً) يعترف بخطاياها ، ثم يمجّد الشيطان ، فيأخذ الحل والغفران الكامل ، فهنا تُغفر له خطاياها السابقة بنفخة الروح القدس . أي لا يمكن أن يجري فعل غفران في المعمودية إلا بواسطة الروح القدس .

لذلك ، كان الأسقف قديماً هو الذي يعتمد لأنه هو الذي ينفخ الروح القدس ، ثم بسبب كثرة المعتمدين في الكنيسة استبدلوا نفخة الروح القدس بالمسحة ، التي هي الآن

تمثل في الواقع نفخة الروح القدس وتساوها . ولكن مفهوم غفران الخطية ونفخ الروح لا ينكشف بسهولة في إجراء طقس مسحة الميرون ، لذلك ضعف الربط بين المعمودية وغفران الخطايا ، مع العلم بأن نفخة الروح القدس في الطقس القديم بواسطة الأسقف هي لإعطاء حياة أبدية وسلطان البنوة لله من داخل غفران الخطايا .

وهذا أستطيع أن أقول أنه قد ارتبطت المعاني الآن ، فسلطان غفران الخطايا أو عدم غفرانها بنفخة الروح القدس هو معطى للكنيسة للتفريق بين ما هو مستحق ومهيأ للحياة الجديدة لكي يعيش مع المسيح ، وبين من ليس هو مستحق الذي لا تحمل له هذه النفخة للغفران والحياة الجديدة .

و يلاحظ يا أحبائي ، في ظهورات المسيح بعد القيامة أن المسيح لم يُستعمل لإنسان غير مختار البتة ، بل كان المسيح هو الذي يظهر ذاته ، وليس أن الإنسان يراه من نفسه ، إذ لابد أن المسيح يُظهر ذاته .

فعملية الانتقال من الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة تحيي باختيار وتمييز ، وليس عفواً . الرب يسوع المسيح كان يميز ويختار ما بين إنسان لا يظهر له ذاته وإنسان يظهر له ذاته وهبه عطية الحياة الأبدية لكما يتغير من حياة إلى حياة . هذا التمييز نفسه بين إنسان مستحق وإنسان غير مستحق قد أُعطي للكنيسة ، ففي الآية « من أمسكت خطاياهم أمسكت ، ومن غفرتم خطاياهم غُفرت » تسليم كامل ومطلق لقوة المسيح والروح القدس حيث أصبح للكنيسة التمييز بين الذي يوهب الحياة وبين من لم يتأهل بعد لنوال الحياة الجديدة .

□

وهكذا أكون قد عبرت على القيامة والصعود معاً ، ولكن أعود فأربطهما بيوم الخميس .

أنتم تعلمون أن المسيح صعد في يوم الأربعين إلى الآب وأرسل الروح القدس كأقنوم قائم بذاته بدون نفخة وبدون وجود المسيح على الأرض، انتهوا، هنا الحلول الآخر أو إرسالية الروح القدس الأخرى ليست لنقل الخليقة العتيقة في الرسل إلى خليقة جديدة، ولكن لإعطاء الخليقة الجديدة في الرسل التي هي نواة الكنيسة، إمكانية التحرك للعمل . ففي البداية أخذ الرسل كممثلين للكنيسة نفخة الروح القدس وسلطان غفران الخطايا ولكن قال لهم: « أقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي » (لو ٢٤: ٤٨)، هنا كان التلاميذ ينتظرون قوة إضافية لحساب الكنيسة . حلول الروح القدس يوم الخمسين أي بعد الصعود بعشرة أيام كان المهمة أخرى هي إعطاء الرسل قدرة على التحرك والكراسة والبشارة والتعميد، أي تجديد البشرية، أي « خلق الكنيسة » . وهذه المواهب عينها سلمها الرسل للكنيسة مرة أخرى ممثلة في الأساقفة .

— ٨ —

« صعود المسيح طريقنا إلى شركة الثالوث »

لذا أريد أن أربط هنا بين الصعود الأول والصعود الثاني . الصعود الأول الذي صعد به المسيح كان ليقدمنا إلى الآب ليوحدنا به ليصير الآب والإبن والروح القدس ثالوثاً مفتوحاً للإنسان .

لهذا يا أحبائي، صارت المعمودية بعد هذا باسم الآب والإبن والروح القدس، لكي ينال الإنسان الحياة الجديدة أو الخليقة الجديدة أو ينال الإنسان قوة الميلاد الثاني .

هنا أصبح الثالوث منفتحاً على الخليقة الجديدة والإنسان . أما بالنسبة للآب فبالصعود الأول الذي صعد به المسيح، قدمنا إليه فصرنا مقبولين فيه وتصلحنا معه إلى الأبد بواسطة الإبن، وأما بالنسبة للإبن فعرفوه أنه اتحد بنا اتحاداً كلياً، وأما بالنسبة للروح القدس فالمسيح نفخه بعد القيامة لغفران الخطايا ثم أرسله يوم الخمسين من عند

الآب لتكميل الحلقة الجديدة على الأرض .

لذلك ، فإن الصعود والقيامة وإرسال الروح القدس يوم الخمسين لا يمكن فصلها بعضها عن بعض .

فإن كان المسيح تجسد فلكي يُصلب ، وإن كان قد صُلب فلكي يقوم ، وإن كان قد قام فلكي يصعد ، وإن كان قد صعد فلكي يرسل الروح القدس .

كل هذه المفاعيل يا أحبائي صارت لنا ، بل أجتريء بالفرح أيضاً وأقول صارت فينا . التجسد أصبح لحسابنا ، الصليب أصبح جزءاً في حياتنا : « مع المسيح صُلبتُ » (غل ٢ : ٢٠) ، القبر أصبح جزءاً من حياتنا وسيرتنا : « دُفُتاً معه في المعمودية وقنا معه » (رو ٦ : ٥) ، والقيامة أصبحت لنا ، ثم الصعود أصبح لنا : « أجلسنا معه في السماويات » (أف ٢ : ٦) ، ثم « سأرسل لكم المعزي » (يو ١٥ : ٢٦) ليكث فينا ، هذا هو رجاؤنا الذي نمارسه مجدداً كل صباح ، كل هذه المفاعيل صارت لنا .

واليوم يا أحبائي ، تجلبت لنا القيامة في مفهومها السري العجيب في علاقة وحوار مذهل مع المجدلية ، استطعنا أن نكشف فيه إمكانية الحياة مع الآب حيث لا بد أن تكون من خلال التجديد أو من خلال القيامة أو من خلال الحياة الأخرى ، ليس بالقيامة فقط لكن بالصعود أيضاً .

فهل أدركتم قيمة الصعود في حياتنا ؟ وخصوصاً الصعود الأول ، إنه بالصعود الأول قد صار لنا الحق والاستحقاق أن نقول لله « يا آبا . الآب » ، قبل ذلك الصعود الأول ما كان ممكناً أن نقول للآب مثلما كان يقول المسيح له : « يا آبا . الآب » ، ذلك كان غير ممكن . بالصعود الذي صعد فيه المسيح يا أحبائي ، ثم بالجلوس الذي أجلسنا المسيح بواسطته مع الآب صارت لنا دالة مع الآب ، لو استطعت اليوم توصيلها لكم أكون قد بلغت القمة في توصيل روح القيامة والصعود لكم .

يا أحبائي، عشنا العمر كله كأننا لا زلنا في بُعد عن الآب، واليوم صارت لنا دالة مع الآب، اليوم أجلسنا عن يمين الآب جلوس المحب للمحبوب، جلوس الألفة بعد العداوة المرة التي عاشها الإنسان في غضب الله.

يا أحبائي، دالتنا مع الابن توصلنا لدالتنا مع الآب بالضرورة، ومعلوم أيضاً أنه غير ممكن أن نصل للإبن إن لم يجتذبنا الآب.

فاليوم يا أحبائي، قد توطدت الصلة مع الآب إلى الدرجة التي فيها نشعر أننا مع المسيح وفي المسيح نستطيع أن نقف أمام الآب بلا لوم في المحبة كقديسين. نعم يا أحبائي وإن كنا لم نكون قد أكملنا القداسة بعد، وإن كنا لم نكمل طهارة الجسد إذ لا زلنا ننتظر فداء الجسد بعد، وإن لم نكون قد أكملنا تبرير الروح بعد، لكن وبالرغم من ذلك كله فنحن في الطريق واصلون إلى ذلك.

فنحن نحاول أن نطهر الجسد ونقدس النفس شيئاً فشيئاً بهذه العشرة، فالمسيح إذا سكن فينا بالروح فهو يستطيع أن ينتقل بسهولة بين الروح والنفس والجسد، يطهر الجسد ويققدس النفس ويبرر الروح إلى الحد الذي يصير الجسد فيه متقبلاً تقديس النفس، وتصير النفس متقبلة براءة الروح.

وحينئذ متى متنا نصير في استعداد لإستعلان القيامة وأخذ الجسد الجديد الذي هو على صورة جسد المسيح في البر والقداسة.

يا أحبائي، فليعطنا الله في هذا اليوم أن نستمتع بالقيامة والصعود معاً، بخليقتنا الجديدة التي طهرها لنا المسيح وقدسها وبررها في ذاته وقدمها إلى الآب وختمها بختم الحب وسلمها إلينا في نفخة الروح القدس التي نفخها في الكنيسة، والكنيسة بالتالي سلمتها لنا في كل كيائنا في المعمودية والإفخارستيا وفي كل اعتراف وانحناء رأس، وفي كل اعتراف بالخطية وكل انحناء ركبة لأخذ حل وغفران من الكنيسة.

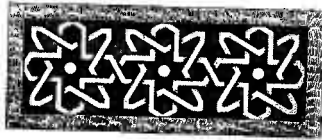
اليوم قد صار لنا هذا كله، كل هذه العطايا والمواهب، نعم اليوم صعد المسيح وهو

ظافر وغالب . سبي سبياً وأعطى الناس كرامات .

صلاة

يا ابن الله ، يا من صعدت بنا وقدمتنا إلى الآب لتكون أمامه في كل حين فيك
وبك ، وأنت شفيع وضامن تكميل خلاصنا إلى النهاية .
أعطنا سر قيامتك وسر صعودك وسر نفخة روحك القدوس فينا لنستمتع ببقية أيام
حياتنا بخلقة جديدة ، بحياة جديدة ، فيها ننسى ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام لعلنا
نبلغ القيامة .

نعم ، يا ابن الله ، لقد بلغناها فيك ، وسوف نأخذ استعلانها يوماً بعد يوم .
نعم ، بارك يا ابن الله في هذا اليوم ليكون لنا فيه غنى ، ولتكون لنا فيه تسبيحة تدوم
إلى الأبد .
مبارك اسمك من الآن وإلى الأبد آمين .



القيامة

خر يستوس آنستي ...

هذا هو هتاف الكنيسة الأولى الذي ألهب الروح فيها، منبثاً بافتتاح عصر الملكوت .
في يوم الجمعة العظيمة استودعنا آدم في المسيح بلحن « غلغثا » ، ميتاً على الصليب .
وفي السبت الكبير دفنناه بأطياب وحنوط للجسد، ومموته انتهى عصر البشرية العتيقة .

واليوم ينبثق نور الحياة الجديدة من ظلمة قبر الإنسان الأول، ويقوم المسيح، الإنسان الثاني، من بين الأموات باكورة الخليقة الجديدة ورأسها، معلناً بداية عصر الدهر الآتى وظهور ملكوت الله داخل القلوب .

يوم الجمعة العظيمة كان أعظم أحداث الخليقة الأولى قاطبة . كان يوم تصفية ليس لكل خطاياها وأوجاعها التي حملها المسيح في جسده على الصليب فحسب، بل كان تصفية جذرية ونهائية لعنصر الظلمة ورئيسها وجوهر الخطيئة ذاتها و ينبوعها . لقد دان الله الخطيئة والعالم في الجسد، فمات المسيح على الصليب حاملاً في جسده لعنة آدم وكل بنيهِ ، وشوكة الموت مفروسة في جبينه . ويموت البار من أجل كل الأثمة بل من أجل البشرية الأثيمة كلها، تم حكم الناموس في كل ذي جسد!!
+ « فإن كان واحد قد مات من أجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا » (٢ كوه: ١٤) .
ويموت الجميع في المسيح انتهت البشرية الأولى بكل لعنتها، ودُفنت في السبت الكبير استعداداً ليوم الخليقة الجديدة .

القيامة التي أكملها الرب في اليوم الثالث وفي الجسد الميت ذاته، بذات جروحه

المميتة العميقة الغائرة وجنبه المفتوح، هي بالنسبة للمسيح قيامة من بين الأموات؛ أما بالنسبة لجسد آدميتنا الذي مات به فهي خليقة جديدة: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة!!» (٢ كور ٥: ١٧).

عندما انتهى العالم إلى قرار صلب المسيح، قال الرب لهالبيه: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة، الآن دينونة هذا العالم» (لوقا ٢٢: ٥٣، يوحنا ١٢: ٣١)، فكانت هي الساعة الأخيرة في عمر العالم العتيق والإنسان الأول. وبقيامة الرب استعلن العالم الجديد بإنسانه الثاني الجديد، عالم خلقه الله بيسوع المسيح ليكون الله فيه، والمسيح هو نفسه ملكاً عليه، وإليه ينقل الإنسان الذي يلده بروحه، مجدداً كل من يعتمد و يؤمن باسم ابنه؛ ينقله الآب من الظلمة الأولى وسلطان الشيطان إلى ملكوته الأبدي ونوره العجيب: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كول ١: ١٢).

فإن كانت القيامة بالنسبة للمسيح هي أولاً وبالضرورة قيامة: «من بين الأموات» لأن الذي صعد هو نزل أولاً، والذي قام هو مات أولاً؛ فالقيامة بالنسبة لنا لا بد أن تكون قيامة «من بين الأموات»، ويتحتم لكي نقوم أن نموت أولاً.

إن القيامة التي قامها المسيح بكل مجدها وهباتها لم تأت من فراغ بل بدأت من قبر ومن ظلمة، من موت حقيقي، من تسليم كلي للذات في يدي الآب، من طاعة شجاعة مذعنة مريدة سارت بأقدام الحب حتى الموت موت الصليب!!

يستحيل أن ندوق القيامة ونحن لم نكمل واجبات الموت وطقوس الدفن الإرادي، لأن الذي يريد أن يقوم مع المسيح يتحتم عليه أن يعتمد لموته ويُدفن معه بإرادته حياً.

يستحيل أن ينقلنا الآب إلى نور ملكوت ابن محبته، ونحن فينا شيء من الظلمة. لا يمكن بل ويستحيل أن تعبر «الخليقة العتيقة» لتعيش في دائرة «القيامة»، لأن القيامة روحية هي، وروحية خالصة! المولود من الجسد جسد هو، وحسب الجسد يعيش ويفكر ويفرح ويحزن ويطمئن ويندم، حيث كل معيشته وأفراحه وأحزانه واطمئنانه

وندمه كلها تدور حول أمور الجسد والنفس والدنيا وغرورها وهمومها . أما حياة القيامة فهي بدء الميلاد الثاني ، وهي بالروح . والمولود من الروح هو روح ، ومعيشته كلها هي بالروح ، وكل أفراده وأحزانه واطمئنانه وندمه كلها تدور حول أمور الروح وهي بحسب الله يعملها ، حتى الأكل والشرب والنوم أو أي عمل آخر فالكل يعمل له مجد الله !

فالإنسان الجسدي والإنسان الروحاني كلاهما يعيش في هذا العالم ، وكلاهما يفرح ويحزن ويطمئن ويندم ويحجوع ويعطش وينام ويؤدي كل مهام هذه الدنيا ؛ ولكن الأول يعيش ويعمل كل شيء للجسد ومن أجل الجسد وخوفاً على الجسد وحباً للجسد ، ويموت مع الدنيا ؛ والثاني يعيش ويعمل بالروح لمجد الله فقط ، لذلك فهو يعيش فوق الدنيا ولا يذوق الموت أبداً .

لا يمكن بل ويستحيل أن يعبر الإنسان إلى دائرة القيامة والحياة الأبدية وهو بعد يعيش بالجسد أو من أجل الجسد أو خوفاً على الجسد أو حباً في الجسد .

هوذا الله قد خلق بقيامه المسيح من الأموات كل شيء جديداً ، لأن الأمور العتيقة مضت كلها ، لقد تصفت نهائياً على الصليب ، مع كل ما لا ينسجم مع ملكوت الله .

لقد جمع الله في إبنه كل معائب بني آدم مع تفاهات البشر وكل ما كان يعوقهم عن الله وما كان يعوق الله عنهم ، وصلبها في جسده ، حيث ماتت الآدمية عن كل ماضيها في الخطيئة والتعدي ، ثم أكملت كل مستلزمات موتها في القبر والهاوية . ثم أقامها المسيح معه في اليوم الثالث خليفة أخرى جديدة فيه ومنه ، ليس فيها ما يعوقها عن السير في جده الحياة ويمقتضى ناموس الروح في ملكوت الله . وكأنما قوة الصليب بمفهومه كموت حقيقي قد صارت لنا باب الخلاص من كل ما يعوق الخلاص ، حيث بقوة موت المسيح يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات ، ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط .

بالصليب انتهى دهر «اللاخلاص» ، دهر الخليقة العتيقة ، آدم الخطية والموت

والأرض وكل شقائها. وبالقِيامة ابتدأ دهر «الخلاص الأبدي»، دهر المسيح والخلِقة الجديدة، جيل الإنسان الجديد المولود من فوق لميراث ملكوت الله.

الصليب صار كسيف لهيب النار المتقلب لحراسة الطريق المؤدي إلى ملكوت الله حتى لا يدخله أحد ولا شيء ما من الخليقة العتيقة!!

والقيامة هي الباب الجديد الذي افتتح به الرب أزمنة الخلاص وهبة الملكوت وأتار طريق الخلود.

أما أزمنة الخلاص وهبة الملكوت والحياة مع المسيح فلا تبتدىء من القيامة بل من خلف آلام الصليب، حيث في سر الألم والموت يعتمد الإنسان للمسيح لميلاد حياة جديدة وقيامة ليس فيها للألم أو الموت سلطان بعد على حياة الإنسان، إلا ما هو لتعميق الخلاص وكشف الرؤيا وتسهيل العبور.

أما الصليب بالنسبة للسائرين في بداية الطريق نحو الملكوت السعيد فيبدو ثقلاً لا بد منه، يسألون بلهفة وحزن النفس لو أمكن أن يعبر عنهم أو يعبروا من دونه، وكأنهم يريدون أن يلبسوا مسكنهم السماوي على العتيق المرقع.

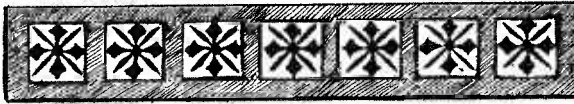
أما بالنسبة للذين استحثوا المسير وقاربوا النور، فيبدو الصليب أمامهم ضرورة حتمية، من أجلها بدأوا وعلى أساسها ساروا.

أما بالنسبة للذين هلت عليهم نسمات القيامة من بعيد، واستمعوا لنشيد الخلاص الصادق من وراء أسوار الجسد، واستيقظت أرواحهم واستعدت للحدث العظيم الآتي؛ فيبدو الصليب أمامهم وكأنه هبة الله العظمى ورحمة السلام الحقيقي وباب الخلاص، الذي جعل العبور من الموت إلى الحياة ومن الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى ملكوت الله ومن وثق الجسد العتيق إلى حرية أولاد الله في المجد، جعله أمراً ممكناً ومضموناً بعد أن كان شيئاً مستحيلًا!

وهكذا: «إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته!!»
(رو ٦: ٥).

ويلاحظ هنا في هذه الآية أن «الإتحاد» الأول في الموت جاء بفعل ماضٍ «صرنا»، أما «إتحاد» القيامة فيجيء كفعل المستقبل الدائم «نصير»!! وهذا معناه أن اتحادنا مع المسيح في موته أمر، واتحادنا معه في قيامته أمر آخر، لأنه في موته كنا حقاً فيه، أي في جسم بشريته، فبشريته هي نحن، لأنه بتجسده أخذ الذي لنا ومات بما لنا. أما في قيامته فلا يتأتى أن نتحد به تلقائياً، إذ يتحتم أن المسيح القائم من الأموات يدخل إلينا «المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠).

فنحن «كنا في المسيح» لما مات، ولكن لكي نقوم معه ينبغي أن «يكون هو فينا»، يأتي، ويدخل إلينا ويصنع منزلاً وإقامة!! ولكن لا يستطيع المسيح أن يعطي قيامته كفعل حياة جديدة إلا في إنسان أكمل موته تماماً عن حياته العتيقة. هذا ما كان قد سبق وعلم به كثيراً.
(١٩٧٤)



أحد توما

توما وإضافة «حقاً قام»

أوكتاف القيامة — أي اليوم الثامن :

ثمانية أيام مضت على خبر القيامة بتوكيدات وشهادات من ملائكة وشهود عيان كثيرين : مريم المجدلية ، بقية النسوة ، تلميذا عمواس ، والأحد عشر .

وبالرغم من ذلك بقى توما وحده مصمماً على عدم قبول القيامة إلا بشروط خاصة !!

* * *

القيامة ، حدث هام جداً بالنسبة لحياة المسيح على الأرض وتعاليمه كلها ، فهو يضيئ عليها اليقين والألوهة .

المسيح قام من الأموات ، إذن تكون كل حياته على الأرض إلهية ، وميلاده إلهياً «يا للطلقات الإلهية» ، ولكن من موضع عكسي ، فإن تعاليم الرب وميلاده العذري والنبوءات الخاصة به تحتم — وقد صُلب ومات — أن يقوم . هذا هو منطق المسيح مع تلميذي عمواس : «أيها الغبيان والبطيئ القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده ! ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به في جميع الكتب» (١) .

(١) لوقا ٢٤: ٢٥ و ٢٦ .

ولأن القيامة آخر وأهم معجزة في حياة المسيح، إذ يتعلق عليها بالفعل برهان ألوهيته واعتباره مخلص العالم والفادي، فالإنجيليون الأربعة يلقون عليها أضواءً عديدة. ولكن كل إنجيلي قدم الأخبار بطريقته الخاصة التي آمن بها ورآها مناسبة لإيمان من يكتب إليهم!!

إنجيل يوحنا

- + لأنه كان يكتب في سنة ١٠٠م. تقريباً والأنجيل الثلاثة كلها مقروءة، فلم يجد داعياً للتسجيلات التاريخية.
- + يعتمد على ذاكرته ليسجل الوقائع البارزة التي رفعت التلاميذ إلى ذروة الإيمان من وسط برائن الخوف والحزن واليأس والشك أيضاً:
- ١ - يختص برواية شك توما.
- ٢ - ظهور المسيح ثامن يوم القيامة.
- ٣ - استعلان قيامته برواية محددة لأشخاص محددين بكل دقة: لرمي المجدلية / بطرس و يوحنا / لتوما.
- ٤ - إعطاؤه سلطان مغفرة الخطايا.
- ٥ - ونفخ فيهم الروح القدس.

إنجيل لوقا

- ١ - إنجيل لوقا يجمع كافة أخبار القيامة على مدى أربعين يوماً ويركزها كلها كأخبار حدث، جمعها أولاً في عشية القيامة!! وهو عالم بذلك لأنه هو الذي أورد خبر الأربعين يوماً في (أع ١: ٣).
- ٢ - ولوقا أيضاً يركز أخبار القيامة في محيط مدينة أورشليم فقط.
- ٣ - كذلك يختص برواية تلميذي عمواس بالتفصيل.
- ٤ - ظهور المسيح قبل الصعود.
- ٥ - ظهوره لبطرس منفرداً.
- ٦ - روايات الظهور في سفر الأعمال كلها للوقا.
- ٧ - رواية الظهور التي أوردها بولس الرسول في (١ كور ١٥: ٨-٥) هي عن لوقا البشير:
- (أ) ظهور المسيح لبطرس وللإثني عشر في أورشليم.
- (ب) لخمسائة أضع مرة واحدة.
- (ج) ليعقوب وكل الرسل (أورشليم).
- (د) لبولس آخر الكل.

إنجيل مرقس

- يختص بـ:
- بشارة الملاك للمريمات وسالومة.
- توبيخ التلاميذ على عدم إيمانهم.

إنجيل متى

- يختص بـ:
- الزلزلة ونزول الملاك ورفع الحجر —
- دعر الحراس من المنظر.
- تلفيق رؤسا الكهنة ورواي الحراس.
- أحاديث عز جبل الجليل.

هذا من جهة الإنجيليين الأربعة من جهة تخصص كل منهم في الرواية بانفراد وتمايز معين .

أما من جهة اتفاقهم في أخبار رواية القيامة فتتلخص في النقاط الآتية :

- (أ) لا يعطي أي من الإنجيليين الأربعة أي وصف لعملية القيامة أو لمنظر قيامته .
- (ب) الإنجيليون الأربعة يشتركون في أن ظهور المسيح كان قاصراً على المؤمنين به فقط .
- (ج) ظهور المسيح لم يقتصر على بعض الأفراد فقط بل وكان لجماعات برمتها أيضاً .
- (د) ظهور المسيح بعد القيامة كان عملاً شخصياً إرادياً . فالمسيح هو الذي كان يُظهر ذاته حسب مسرته مشيئته .
- (هـ) أخبار القيامة بدأت ، في سرد الإنجيليين الأربعة ، مشكوكاً فيها ، والجميع في تردد شديد لقبولها .

(و) جميع أخبار القيامة لم تُقبل في البداية .

(ز) القيامة أخذت أول تقرير رسمي معتمد لها بعد ظهور المسيح حياً مع تلاميذه في العلنية .

(ح) القيامة صارت رواية معتمدة لدى الإنجيليين الأربعة حيث تبتدىء بزيارة النسوة في الفجر كبداية حياة للرجاء الجديد الذي غير معالم الحياة على الأرض ومستقبل البشرية كلها .

(ط) رفع الحجر عن فم القبر كان بداية التساؤلات كلها .

(ي) ظهور الملائكة قبل ظهور المسيح كان توكيداً سماوياً لفعل القيامة مثل الميلاد .

(ك) الرب أظهر نفسه أولاً للمجدلية .

أما رواية انبثاق القيامة مع ساعات ما قبل فجر يوم الأحد والإعداد السابق لها فنضعها أمام القارئ موقفة بحسب ترتيبها :

(مت ٢٨ : ١) : السبت قبل الساعة السادسة بعد الظهر :

ذهاب مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، ذهبن ونظرن القبر أين وضعوه .

(مر ١٦ : ١) : السبت بعد الساعة السادسة بعد الظهر :

ذهاب مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة لشراء حنوط للجسد .

(مت ٢٨: ٢-٤) : الأحد باكراً جداً (عند الفجر):

جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر « وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن القبر » .

+ وجلس عليه خارج القبر، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج .

+ ارتعد الحراس من الخوف وصاروا كأموات .

+ بشارة الملاك بقيامه الرب من بين الأموات وذهابه إلى الجليل .

توضيح أكثر

(يو ٢٠: ١) : الأحد الساعة الخامسة صباحاً:

مريم المجدلية (باتفاق مع مريم أم يعقوب وسالومي وأخريات) يبدأن مسيرتهن للقبر والظلام باق .

+ مريم المجدلية تسبقهن وترى ما حدث وتأتى بسرعة لبطرس ويوحنا .

(مر ١٦: ٢) : الأحد الساعة الخامسة والنصف صباحاً:

الفوج الأول من المرمات والنسوة يصلن القبر (بعد المجدلية)، وكانت الشمس قد بدأت تظهر في الأفق .

+ رسالة الملاك لهن أنه قام، وأن يذهبن سريعاً ويخبرن التلاميذ أنه يسبقهم إلى الجليل .

(لو ٢٤: ١) : الأحد الساعة السادسة صباحاً:

الفوج الثالث من النسوة وبينهن «يُونَّا» (ومعهن أناس) يصلن القبر بينما لا يزال الوقت مبكراً، ولكن كانت قد «طلعت الشمس» (مر ١٦: ٢) .

+ ومن داخل القبر ملاكان يعطيانهن بشارة القيامة والرسالة إلى الرسل .

(يو ٢٠: ٣-١٠) : الأحد الساعة السادسة والنصف:

بطرس ويوحنا يسرعان إلى القبر، ويجدان الأكفان موضوعة، ويمضيان من حيث

أتيا. ومريم تقف وحدها خارج القبر تبكي، ونظرت داخل القبر فظهر لها الملاكان وصارا يحدثانها.

(يو: ٢٠: ١٤-١٨، مر: ١٦: ٩، مت: ٢٨: ٨ و ٩ و ١٠): الساعة السابعة صباحاً:

الرب يُظهر ذاته لمريم المجدلية كأول ظهور لقيامته.

ثم يظهر بعد ذلك مباشرة لبقية النسوة اللائي كن يركضن في الطريق ليخبرن التلاميذ برسالة الملاك أنه قام.

(لو: ٢٤: ١٣، مر: ١٦: ١٢): الأحد من الساعة الرابعة إلى السادسة بعد الظهر:

ظهور الرب لتلميذي عمواس، وقد بدأ النهار يميل، فانفتحت أعينها وعرفاه ثم اختفى عنها فقاما.

(لو: ٢٤: ٣٤، ١ كو: ١٥: ٥): الأحد بعد الساعة الرابعة بعد الظهر:

فقاما (التلميذان) في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم وهم يقولون أن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان.

(لو: ٢٤: ٣٦، مر: ١٦: ١٤، يو: ٢٠: ١٩): الأحد الساعة الثامنة مساءً:

ظهور الرب للتلاميذ الأحد عشر مجتمعين مع آخرين في أورشليم (في العلبة)، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام!!

وعلى العموم نجد تدرجاً في الإيمان بالقيامة على مستوى درجات متتالية:

الدرجة الأولى: يوحنا يؤمن بالقيامة بدون أن يرى الرب، ولكن بمجرد أن رأى الأكفان موضوعة في القبر الفارغ — هنا الإيمان على مستوى تصديق الوعد.

الدرجة الثانية: مريم المجدلية تؤمن بالقيامة دون أن تتحقق من شخصية الرب، ولكن بمجرد أن تذكرت صوته.

الدرجة الثالثة: التلاميذ الأحد عشر، عندما رأوا وجسوا لحمه وعظامه وجروحه.

الدرجة الرابعة: توما بعد أن استوفى لنفسه خاصة شرط الإيمان بوضع أصبعه في

الجروح .

ثم الدرجة فوق الأولى : وهي التي أعطى الرب لها الطوى ، وهي إيمان الذين صدقوا القيامة بالخبر وحسب .

وبعد هذا السرد الوقائي المحدد بساعاته وأشخاصه لحقيقة القيامة ، يتضح للقارىء أن الأناجيل قدمت رواية القيامة بكل دقائق ملاساتها ، وبالأخص جداً من جهة الشكوك وعدم التصديق الذي أبداه التلاميذ جميعاً وبلا استثناء .

فالقيامة لم يقدمها أي من الإنجيليين كحقيقة مقطوع بها ، بل الكل تساوى في تقديمها كخبر غير مصدق وغير معقول ، بل ومدهش وغير للعقول .

+ « فخرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاها ولم يقُلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات » (مر ١٦ : ٨) .

+ « فذهبت هذه (مرم المجدلية) وأخبرت الذين كانوا معه (التلاميذ) وهم ينوحون و يبكون » (مر ١٦ : ١٠) .

+ « فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا » (مر ١٦ : ١١) .
+ « وذهب هذان (تلميذا عمواس) وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين » (مر ١٦ : ١٣) .

+ « أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » (مر ١٦ : ١٤) .

+ « فتراى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن » (لو ٢٤ : ١١) .
+ « فقام بطرس ورأى الأكفان موضوعة وحدها ، فضى متعجباً في نفسه مما كان » (لو ٢٤ : ١٢) .

+ « بل بعض النساء منا حيرنا إذ كنَّ باكراً عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات أنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي » (لو ٢٤ : ٢٢-٢٤) .

+ « وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم ، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً ، فقال لهم : ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم ؟ » (لوقا ٢٤: ٣٦-٣٨).

+ « وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون ، قال لهم : أعندكم طعام ... فأخذ وأكل قدامهم » (لوقا ٢٤: ٤١ و٤٣).

+ « إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن » (يو ٢٠: ٢٥).

وهكذا وقف توما وهو واحد من الأحد عشر على قبة الشكاكين مصمماً على حتمية أن تكون القيامة بنفس الجسد الذي تمزق على الصليب وليس بأي جسد آخر بأي حال من الأحوال ، وأن يكون على مستوى لمس اليد ووضع الأصبع في نفس الجرح النافذ وفي نفس الجنب المطعون .

ولكن لأن القيامة التي قامها الرب هي قيامة حقيقية بالجسد الميت فعلاً ، لذلك لم يمانع الرب أبداً من تحقيق شرط توما ، بل رحب بشرط توما وظهر خصيصاً ليكمل له إيمانه هذا . فصار إيمان توما واعترافه المفاجيء « بئي وإلهي » البرهان الأخير إزاء كل الشكوك وفوق كل الشكوك بأن المسيح « حقاً » قام !! وبأنه قام بجسده الذي تمزق على الصليب هو هو !!

ولكن لم يشأ القديس يوحنا الذي أورد خبر إيمان توما أن تقف الرواية عند هذه الصورة الحسية الخالصة للجسد ، فأورد بشيء من الإشارة السرية (حسب عاداته دائماً) أن بهذا الجسد المحسوس والمنظور هو هو ، دخل الرب إلى العلية والأبواب مغلقة تماماً ، لكي يعطي للجسد بقية الصورة الفائقة لمفهوم القيامة !! وفي ذلك إشارة ضمنية أيضاً إلى إمكانية دخول المسيح القلب والحواس مغلقة !! أو في غيبة من الحواس .

ثم يضيف الرب رداً على إيمان توما — مشيراً به إلى مستقبل الكنيسة كلها — « لأنك

رأيتني ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» .

وهذه هي الطوبى التاسعة والأخيرة التي أضيفت على التطويبات الثمانية التي بدأ بها الرب خدمته والتي تفوقهن جميعاً.

ولكن في إعطاء الطوبى العظمى للذين يؤمنون بالرب يسوع وبقيامته من بين الأموات بدون شروط توما، أي بدون رؤيا أو علامة حسية، إشارة ضمنية إلى تفوق مثل هذا الإيمان في نظر الرب على كل حال. فالإيمان بالمسيح وبقيامته من بين الأموات «عمل» مجد ذاته، وهو عمل فائق على كافة الأعمال التي يمكن أن يأتي بها أو يمارسها أي إنسان على أي مستوى.

فإن كانت التطويبات الثمانية التي ذكرها الرب قد جمعت كافة ما يمكن أن يأتيه الإنسان في الإيمان، فالطوبى التاسعة التي ختم بها الرب كافة تعاليمه فيما قبل وفيما بعد القيامة تأتي متفوقة على جميع التطويبات لأنها عمل يحوي كافة الأعمال جميعاً ويرتفع فوق كافة الشكوك المانعة للخلاص.

لذلك فمضمون الإيمان الذي يحتويه المرد التقليدي «حقاً قام» = «آليثوس آنستي» هو هو «الطوبى» التاسعة التي ورثتها الكنيسة في أوكتاف (اليوم الثامن) من يوم القيامة السعيدة.

(١٩٧٤)



المسيح قام ... حقاً قام ...

«المسيح قام... حقاً قام» .

«وُصِّلَ بنا على عهد بيلاطس البنطي وتألَّم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم

الثالث كما في الكتب» .

هذا هو إيمان الكنيسة كلها من مشارق الأرض إلى مغاربها .

الكنيسة تربط دائماً الصليب والآلام بالقيامة . نحن نؤمن بالموت على أساس

القيامة ، ونؤمن بالقيامة على أساس الموت .

ليست تعبيراتنا عن القيامة وعن الصلبوت وعن الآلام تتحول من مجرد عقيدة محفوظة

إلى مفاعيل داخلية .

حالة القيامة حالة غير منظورة ولا تدخل في محيط المادة والجسد في زماننا هذا .

القيامة هي خارج دائرة المادة . هي ليست كالألام والموت ، فالموت نستطيع أن نحسه

الآن بالجسد ، أما القيامة فيكاد يكون من المستحيل أن نحسها بالجسد .

لذلك فكل اعتمادنا — حينما نتكلم عن القيامة — إنما هو على مفاعيلها الداخلية ،

على فعلها داخل كيان النفس . ذلك لأن القيامة حركة داخلية تحرك أعماق الإنسان

دون أن يتحرك الجسد ، إنها تغير الكثير جداً من ذهننا ومن سلوكنا وأفكارنا وحديثنا دون

أن يحدث شيء ظاهري على المادة .

فعالية القيامة داخل النفس قوية جداً وعميقة جداً . ولكننا للأسف عشنا كل أيام

حياتنا نأخذ القيامة على أنها مفهوم عقائدي وتسبحة «خريستوس آنستي... آليوس آنستي»، ولم نحس ولم ندخل في مجال فاعلية القيامة التي تستطيع أن تغير كل معالم النفس البشرية.



ما هي القيامة قبل المسيح، وما هي القيامة في المسيح؟
قبل المسيح كان يوجد حديث عن القيامة من بين الأموات، وكان هذا «الحديث» عن القيامة له من يؤمن به وله من يرفضه. الصدوقيون مثلاً كانوا يرفضون القيامة بينما الكتبة والفريسيون كانوا يؤمنون بها (مت ٢٢: ٢٣).

ولكن لما جاء المسيح تحول الحديث إلى حديث، والكلام والحوار إلى فعل، والمناظرة إلى رؤيا محسوسة وملموسة... وهذا هو أساس دخولنا إلى القيامة.

كان معروفاً في تعاليم الربيين وفي لمحات من نبوات الأنبياء في العهد القديم أن مجيء المسيا سوف يكون هناك مجد ماسياني على أساس مفهوم «قيامة»، ولكن دون وضوح.

وهذا ما نستشفه من إرسالية يوحنا المعمدان لتلاميذه حينما أرسلهم ليسوع يسألونه: هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ وكانت فرصة المسيح لينبه ذهن يوحنا المعمدان، وذهننا، بل وذهن العالم كله، وذهن كل باحث وقارئ، حينما نظر إلى التلميذين الآتين وقال لهما: «إذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتَنْظُران: العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصُّم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيّ» (مت ١١: ٢-٦).

هنا السمع يسجل الحدث، والنظر يسجل الواقع. فالحديث عن القيامة صار حدثاً والمناظرة صارت رؤيا يُسمع عنها وتُنظر.

المسيح يعلن بالفعل ابتداء زمان المسيا، يعلنه أولاً في صمت، بأن أقام الموتى أمام عيونهم: «الموتى يقومون». ثم يعلن ويشرح أن إقامة الموتى هي علامة زمان المسيا كما تحدث عنه حكماء إسرائيل وكتبهم. ثم يردف: «وطوبى لمن لا يعترفني»، لأنه إزاء هذا المجد المستعلن المنظور والمسموع ليت لا أحد يعترفني المسيح.

□ □ □

أما حوادث إقامة الموتى التي أتاها المسيح فسنختار منها أربعاً:
أولاهـا: إقامته لإبنة يايروس رئيس الجمع، وكان عمرها ١٢ سنة. وكان رد الفعل لهذه المعجزة أن «بُهِتَ الجموع بهتاً عظيماً». أما يسوع فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك.

كان الرب دائماً لا يشاء البتة أن يعلن عن المعجزات التي تعلن عنه كمسيا، لم يكن يريد أن خبره يسبقه، كان يريد أن المعجزات تتبعه لأنه كان أعظم من المعجزة. كان دائماً يطلب أن يصدق بكلماته أكثر مما بمعجزاته: «صدّقوني أي في الآب والآب فيّ وإلا فصدّقوني بسبب الأعمال نفسها» (يو ١٤: ١١).

أما الحادثة الثانية فهي إقامة ابن أرملة نايين — وكان شاباً يافعاً وعمولاً على النعش خارج باب المدينة، والمدينة كلها خرجت تشيعه، فلم يكن ممكناً أن يمنع خبر المعجزة من الانتشار. فكان رد الفعل عند الشعب: «فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله» (لو ٧: ١١-١٧)، وتمجيد الله هنا هو تحقيق الإشارات إلى المجد الماسياني أي مجد المسيح نفسه.

أما الحادثة الثالثة فهي إقامة المسيح للعاذر — وكانت بقوة واقتدار عظيم بعد أن انتن في القبر أربعة أيام (يو ١١).

هذه حوادث قليلة لإقامة موتى ذكرها الإنجيليون. ولكن يبدو أن العدد كثير: «والموتى يقومون».

كذلك، مما يؤكد أيضاً حقيقة زمان المسيا ما حدث عندما صرخ المسيح بصوت عظيم وأسلم الروح «إذ القبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (مت ٢٧: ٥٣).

هنا صورة رائعة جداً للمجد الماسياني، لأن إقامة الموق هنا لم تحدث هذه المرة بكلمة أو بأمر (كما في المرات الثلاثة السابقة). لكن انطلق المجد ليعلم عن شخصية ذلك «الميت» على الصليب.

من هذا ندرك تماماً أن القيامة من بين الأموات هي قوة كانت تتبع المسيح وتنبع منه كصفة أساسية لطبيعة ابن الله المتجسد. هي قوة كامنة في المسيح استطاع أن يظهرها و يعلنها على صورتين:

أ — إما بالكلمة ولو كان قد مضى على الميت أربعة أيام وأنتن.

ب — أو تلقائياً بلا كلام، كما حدث وهو على الصليب، عند موته.

إذن، فهناك صفة ملازمة للمسيح كامنة فيه انطلقت بموت المسيح لتعلن عنه: إبن الله هو الحياة غير القابلة للموت، فلما أخذ جسداً قابلاً للموت ظهرت بالضرورة قوة القيامة الكامنة فيه. إذن قوة القيامة هي نتيجة حتمية للتجسد.

هذه مضادة، والإنجيل كله مضادة، والمسيح في حياته كلها كان مضادة. إنه يجمع النقيضين معاً في صلح رائع، يجمع الهوان والمجد معاً في مصالحة لا يمكن للإنسان أن يبلغ عمقها ومداه.

إن قوة القيامة حينما نفرحها بالجسد الميت أو القابل للموت، فهي تعبير مبدع عن المجد الإلهي الذي رافق الهوان التجسدي. «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» (عب ٢: ٩).

أي أن قوة المجد الإلهي الكائن في القيامة من الأموات وُجدت طبيعياً، جوهرياً، لاهوتياً، وحتماً بالضرورة بسبب التحام «اللاهوت بالناسوت»، التحام المجد بالهوان، التحام الحي غير القابل للموت بالجسد القابل للموت. وهكذا نشأت بالضرورة قوة قيامة من الأموات هي في مظهرها مجد، وهذا المجد وازن وعادل هوان التجسد.

وهكذا دخلت قوة القيامة كقوة إلهية سرية إلى العالم بتجسد المسيح، دخلت إلى الكيان البشري «هوأخذ الذي لنا وأعطانا الذي له» (ثيوتوكية الجمعة) — هذا عمل مزدوج ولا يمكن فصلهما بعضهما عن البعض أبداً.

هذه القوة أحسها المسيح فيه وتكلم عنها، حينما قال عن نفسه: «إبن الإنسان يتألم ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦: ٢١، مر ١: ٣١، لو ٩: ٢٢، ١٨: ٣٣)، قال أنه «سيُقتل» من عمق إحساسه بالهوان، وعلى نفس المستوى وبنفس القوة في التعبير قال «وسيقوم».

فالذي حمل هوان الجسد كان يحمل مجد القيامة، وكان المسيح يعيش في هذين الإحساسين المتضادين — مبارك ومُسَيَّح جداً هذا الذي جمع الهوان مع المجد، وصالح الألوهة مع البشرية.

بدأت مفاعيل القيامة في المسيح منذ بدء خدمته ولكن بصورة خاصة فردية في إقامة الموقى بكلمة!

ثم ظهرت هذه القوة بصورة عامة وفعالة ومنظورة عنه موته — إنما مؤقتة أيضاً — وحلت على أجساد القديسين الراقدين في القبور فقاموا.

ثم تثبتت هذه القوة — قوة القيامة من الموت — بصورة دائمة وأبدية كطبيعة جديدة للخليقة البشرية، إذ قام المسيح ليحيا إلى الأبد «ولا يسود عليه الموت بعد» (رو ٩: ٦). وأعطى هذه القوة بصورة سرية للكنيسة، جسده الحي، بواسطة الروح القدس، باعتبار المسيح رأس الكنيسة وباعتبارنا أعضاء أحياء فيه، في جسده الحي

القائم من الأموات.

المسيح كان يدرك قوة مجد القيامة التي فيه ، فأعلن عنها قبل حدوثها ، تماماً كما أحس وأدرك فعل هوان الموت الذي قَبِلَ ورضي بإرادته أن يجوزه وأعلن عنه قبل حدوثه .

فحينما ارتضى المسيح أن يجوز الهوان ، وجازه فعلاً ، أي جازموت العار على الصليب ، ظهر بالضرورة الحتمية المجد الإلهي الماسياني بقيامته من بين الأموات .

« هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق ، وبأيدي أئمة صليتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت (هوان الجسد) إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه » (أع ٢: ٢٤).

« الله جعل يسوع هذا الذي صليتموه أنتم رباً ومسيحاً » (أع ٢: ٢٦).

وهكذا انفك عقال قوة القيامة الرائعة المجيدة ، وتركها الرب حرة تحل على البشرية . خرجت من الرب بسماع منه وانطلقت وحلت على كل من ينتظرها حتى الأشخاص الذين ماتوا منذ زمن بعيد وكان عندهم رجاء أن يروا زمن المسيا ويفرحوا بيومه « لأنهم كانوا يطلبون وطناً أفضل أي سماوياً ... رفضوا النجاة لأنهم كانوا يطلبون قيامة أفضل » (عب ١١: ١٦).

يا أحبائي إنتبهوا لأنفسكم هنا ، إن لديكم من الإمكانيات أكثر مما للجسد الميت . فإذا كان الجسد الميت لشخص عاش في العهد القديم استطاع أن يلتقط قوة القيامة من الموت من على الصليب فكم وكم بالحري أنتم الذين تعيشون في ملء عصر النعمة ، في ملء اتساع قيامة الرب .

هذا كله الذي صار من أجلنا ألا يكون لنا نصيب فيه مثل النصيب الذي صار لهذه الأجساد التي ماتت منذ زمن بعيد واستطاعت أن تلتقط قوة قيامة الرب التي انطلقت منه ؟

ولكن يوم أن نرتضي أن نكمل واجبات الهوان ، سنتطلق فينا وعلينا قوة القيامة
لتعمل عملها من تبرير وتجديد حياة .
إذا قبلت الهوان والمذلة والآلام كما قبلها الرب فلا بد أن تستعلن فيك قوة الله التي
تنقذ هذا الهوان .
بقدر ما يحتمل الإنسان بإرادته الهوان ، بقدر ما ترفض إرادة الله أن تحمله هذا
الهوان .

الذي فيه مجد القيامة لا يمكن أن يُمسك في القبر أو في الهوان أو في الفساد «من
اتضع ارتفع» ، هذا قانون ، من قبل الهوان قبل المجد ، من قبل دُلة الموت حلت عليه قوة
القيامة .

هذا هو المنفذ إلى قيامة الرب ، هذا هو الباب الوحيد المفتوح أمامكم . القيامة حدث
لا يختص بهذا الزمان ، إنه فعل غير بشري . فأنت نقبل الهوان وذلة الإماتة بالإرادة أو
بالحري بمسرة حرية الإرادة ، ففي الحال تحل علينا قوة القيامة . هذا هو المدخل الوحيد
للقيامة .

فما وسيلتنا للقيامة إلا حل الهوان أو إكمال عملية الآلام أو الاماتة؟ فكما أنَّ الآلام
حركة ، والآلام مرارة ، أي فعل داخلي ، فهكذا القيامة أيضاً . فإن تحركت الآلام في
داخلك وعصفت بك وملكت عليك ، حينئذ انتظر القيامة بنفس القوة وب نفس الحركة
والفاعلية .

□ □ □

شهادات مجد القيامة :

وقد عُرفت قيامة المسيح من الأموات أنها «مجد» ، و«ارتفاع» ، و«قوة» ،
و«نعمة عظيمة» ، و«دينونة» ، و«غفران» ، و«تبرير» .

+ «إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا... شاهداً معنا بقيامته» (أع ١: ٢٢) .

+ «ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب» (أع ٢: ٣٣).
 + «وبقوة عظيمة (مستمدة من القيامة نفسها) كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أع ٤: ٣٣).
 + «هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. وأوصانا أن نركز للشعب ونشهد أن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات، له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (أع ١٠: ٤١).
 + «ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر، ولكن الله أقامه من الأموات... والذي أقامه الله لم يفسداً... بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا، وهذا يتبرر كل من يؤمن به من كل ما لم يتبرروا منه بناموس موسى» (أع ١٣: ٢٩).

ولقد أدرك التلاميذ والرسل الأوائل ما سبق وأعلنه الرب تماماً أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويقوم من الأموات، وما كانت أذهان التلاميذ مغلقة عنه، بل بدأوا يفهمونه بل ويبشرون به بنفس الكلمات تقريباً. فنسمع من القديس بولس الرسول نفس هذا التعبير:

+ «فدخل بولس إليهم (في تسالونيكي) حسب عادته وكان يحاجهم، ثلاثة سبوت، من الكتب موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات» (أع ١٧: ٢).

هي نفس الكلمات التي قالها الرب لتلميذي عمواس: «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده!!» (لو ٢٤: ٢٦).

القيامة بالنسبة لنا:

المسيح كان باكورة الراقيدين. قيامة الرب تمت على أساس أنه باكورة. ومن هنا سنتأمل في القيامة باعتبارها تختص بحياتنا نحن، أي بقيامتنا نحن أيضاً.
 بدأت الكرازة بالقيامة من بين الأموات بالنسبة للمؤمنين كنتيجة حتمية لقيامة

الرب، فقيامة الرب هي قيامتنا نحن . باعتبار أن قوة القيامة أعطاها لنا المسيح ، تماماً كما كانت آلامه لنا ومن أجلنا ، فلأن آلامه التي احتملها من أجلنا وعوضاً عنا ، فهكذا صارت قيامته لأجلنا ولنا أيضاً بالضرورة .

والقديس بولس الرسول يعبر عن ذلك بآية مختصرة : « إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادي بنور للشعب والأمم » (أع ٢٦: ٢٣) . أي أن المسيح لكونه أول من خضع للآلام بإرادته وهو غير مستأهل لهذه الآلام ، فقد صار بالضرورة هو أول قيامة الأموات ، المزمع أن ينادى به كنور للشعب والأمم معاً .

ولكن القديس بولس الرسول يوضح ذلك جداً في رسالته الأولى إلى كورنثوس : « لكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين » ، « فإنه إذ الموت بإنسان (آدم) ، بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات » (١ كو ١٥ : ٢٠ و ٢١) .

أي أنه إن كنا قد ورثنا الموت من آدم ونحن مظلومون ، فسناخذ القيامة أيضاً بنفس السهولة كمنتم بها علينا ، مقابل نفس الظلم الذي ظلمنا به ؛ تماماً كما ورثنا آلام الموت وهوانه من آدم دون أن يكون لنا دخل في سببها . هكذا نحن نأخذ أيضاً مجد القيامة التي في المسيح بالنعمة التي أعطيت ، وبصورة ممتازة فائقة .

ولكن إن كانت آلام الموت هي من طبيعتنا ، إلا أن القيامة ليست من طبيعتنا . المسيح عمل هنا معجزة فائقة للوصف ليركب القيامة ومجد القيامة على جسد الهوان ، تماماً كما أخذ هو طبيعة قبلت الموت بالإرادة وليس بالاستحقاق : « في آدم يموت الجميع ... في المسيح سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) .

كذلك في رسالة كولوسي يكرر القديس بولس هذه الموازنة ولكن بصورة واقعية أكثر : « هورأس الجسد الكنيسة ، الذي هو البداية ، بكر من الأموات لكي يكون متقدماً في كل شيء » (كو ١ : ١٨) .

أما في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى، فبينما يقدم لنا القديس بولس محاجة ساخنة جداً ضد الذين ينكرون القيامة، يكشف لنا العلاقة الهامة والأساسية جداً التي تربطنا بقيامة المسيح ربطاً مبدعاً جداً:

+ «إن كان المسيح يكرز به أنه قام من بين الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات؟».

أي أن قيامة المسيح أنشأت حتماً وبالضرورة قيامة الأموات عامة.
أي أن قوة القيامة دخلت العالم بقيامة المسيح.

+ «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام».
أي أن قيامة المسيح ليست فردية، ليست شخصية منحصرة في شخصه، بل إن قيامة المسيح أنشأت قيامة عامة وشاملة لجنس البشر.

+ «وإذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم».
إذن، يقصد أن الكرازة بالمسيح تقوم أساساً و كلياً على قيامة المسيح من بين الأموات!! وأن إيماننا بالمسيح يقوم أساساً و كلياً على قيامة المسيح من بين الأموات!!

+ «فتوجد نحن شهود زور لله إن كان الموقى لا يقومون».
أي أن قيامة الأموات هي الأساس الصادق لشهادتنا أن الله أقام المسيح.

+ «وإن كان الموقى لا يقومون فالمسيح لا يكون قد قام».
أي أن قيامة المسيح برهانها وصدقها وفعلها وأثرها المباشر هو قيامتنا نحن من بين الأموات — فالقيامة ذات فعل مباشر فينا.

+ «إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم».
أي أن قيامة المسيح هي القوة العاملة والأساس لغفران خطايانا.

+ «إن لم يكن المسيح قد قام فالذين رقدوا في المسيح قد هلكوا» .
أي أن حقيقة قيامة المسيح هي التي تجعل موتنا للحياة وليس للهلاك ، فلأن المسيح قام ، فنحن لا نهلك .



بحسب إيماننا المسيحي الأرثوذكسي هناك ثلاثة مفاعيل للقيامة :
أولها : القيامة الحاضرة الأولى : يجملها القديس بولس الرسول في آية واحدة في رسالة رومية ، أن المسيح «أسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤ : ٢٥) أي هي التبرير .

ثانيها : القيامة الحاضرة التي نعيشها الآن : «حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة ، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته ، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو ٦ : ٤) .

أي الحياة الجديدة التي نأخذها من المسيح ونحياها الآن ، وهذه هي القيامة الأولى .
ثالثها : قيامتنا العتيدة التي سنقومها كلنا ، وهذه هي القيامة الثانية ، وهي رجاء ينبع من القيامة الأولى .

١ - القيامة الحاضرة الأولى

(التبرير)

بر المسيح ليس قوة تهبط علينا من فوق بل هو ثمرة آلام الموت الذي جازه المسيح .
صحيح أن الموت أنشأ مجد قيامة ، والقيامة اكتسبت لنا برأ ، ولكن الأصل والأساس هو الآلام والموت . فشركة الآلام هي المدخل لحصول بر القيامة . فإذا دخلنا آلام المسيح دخلنا في بر القيامة .

الخطورة التي تواجهنا في قبول هذه الحقائق أننا تعودنا فهمها نظرياً ولم نقف أمامها

وقفه جدية واقعية لنعيشها بالفعل والقوة. نتمناها ولا نبذل الجهد الذي يجعل هذا التمني حقيقة مع أنه موهوب لنا مجاناً (أي بدون ثمن من جانبنا).

ولكن يلزمنا أن نفهم تماماً أننا حينما نقول: «بر مجاني» فهذا يعني في المفهوم الأرثوذكسي أن هذا البر مدفوع ثمنه الذي يساويه، ثمن البرهودم المسيح فقط. ولكن لا يعني البر المجاني أننا نحصل عليه بدون سعي وجهد من جانبنا بالرغم من أن سعينا وجهدنا مهما بلغ حتى الدم والموت لا يدخل إطلاقاً في حساب ثمن البر!!

لهذا، يلزمنا أن نستيقظ على معاني البر والخلاص والفداء، لأنها وإن كانت محسوبة أنها مواهب مجانية، أي مدفوعة ثمنها الذي يساويها وهو الآلام والموت والدم وقيامه المسيح إلا أننا لا يمكن أن نحصل عليها تلقائياً، بل يكون ذلك دائماً حصيلة إيمان وثقة ورجاء وطلب وإلحاح وعزيمة واحتمال وصلب!!

فلنكني نأخذ البر يجب أن نكون على مستوى البر نفسه (لا على مستوى الثمن)، لا بد أن نكون مستعدين أن نكون أبراراً. وأول مستوى للبر هو أن يكون عندك الإيمان أنه بالرغم من خطاياك الكثيرة، يمكن أن تحل عليك قوة القيامة وتبرر وتصير بلا دينونة، أي تصير باراً.

البر هو عكس الدينونة. أن أصير باراً يعني أنني إنعتقت من الدينونة، ولكن خروجي من الدينونة لا يعني أنني لست خاطئاً، ولكني خاطيء تبرأت، خاطيء وأول الخطاة ولكنني بار. ليس كأنني أنا الذي دفعت الثمن ولكن المسيح هو الذي دفع ثمن خطاياي بدمه.

اليوم يوم القيامة، يوم التبرير، إن لم تكن أنت اليوم باراً فليس لك أن تعيد عيد القيامة إلى أن تتوب عن عدم اعتقادك أنك بار بدم المسيح وقيامته.

اليوم عطية البر المجاني، اليوم ثمرة أتعاب المسيح.

حينما تنال منه البرتفرج قلبه جداً لأنه سيرى صليبه قد أثمر.
يوم أن تصبح باراً تقول: «هلليلويا» كما قلناها في لحن «بيك اثرونوس»، بنعمة
كرقص ذي صفين، وفرح وتهليل جداً، لأن بالصليب دُفع ثمن الخطية كلها.

حينما يدخل البر داخل القلب يحس الإنسان أنه بار لأن ثمن خطاياه قد دفع، لأن
الرب قام وانطلقت منه قوة القيامة مجاًناً.

كل إنسان في انتظار مجد القيامة يأخذها، كل إنسان يقول «أنا بار» ويفرغها،
تدخل قوة القيامة في أحشائه وتملأه، وبعد ذلك فليهلل كما يريد.

اليوم انطلقت قوة قيامة الرب وهي باستعداد الحلول في كل قلب مستعد لها.
الإستعداد يدور حول إمكانية إحساسك بأنك قد تبررت بدم المسيح.

وبعد ذلك، بعد أن يدخلك بر المسيح تصير على مستوى الحياة الجديدة، جدة الحياة.

٢ — القيامة الحاضرة التي نعيشها

التبرير هو المدخل الوحيد لجدة الحياة أو القيامة الأولى. دخولنا في جدة الحياة أي
القيامة الأولى هو قداسة حسب مشيئة الله، قداسة ليست منا أصلاً، لكنها ثمرة التبرير
الذي اكتسبه لنا المسيح بقيامته.

يأخذ القداسة كل من آمن بقيامة المسيح وبقوة قيامته، لأنها تحل مجاناً على كل قلب
عنده استعداد أن يقبلها، فيصير قدسياً وبلا لوم في المحبة أمام الآب في السماء.

برهان هذه الحياة الجديدة الظاهري خدمة الله بكل تقوى ووقار، والشهادة الفعالة
بالسلوك حسب المسيح.

أما أثرها الداخلي الواضح فهو السرور والفرح والبهجة الدائمة التي هي مفاعيل القيامة
التي تسود على مفاعيل الموت!!

وصدق حياتنا التقوية إنما ينبع من ويشهد لقيامه المسيح وحياته ، لأن قيامه المسيح وحياته صادقة وفعالة !!

٣ — القيامة المستقبلية (الثانية)

من هذه الحياة الجديدة يتولد لنا يوماً بعد يوم إحساس بالحياة الآتية . حصولنا الآن على رجاء القيامة من بين الأموات العتيدة أن تتم في أجسادنا في عدم فساد ، هذا نحصل عليه ، يوماً بعد يوم ، من صميم جدة حياتنا التي نعيشها الآن بحياة المسيح .

وبقدر ما نتعمق في تقوى الحياة المسيحية في الحاضر ، بقدر ما يزداد إحساسنا اليقيني الداخلي بالقيامه العتيدة لأجسادنا . وهذا يتجسم في رجاء قوي ساخن يكاد يغلب نفس الشعور بالموت ويلغى الخوف منه ومن ضعفاته سواء كانت هذه الضعفات مرضاً أو تهديداً بقتل أو خطراً أو جوعاً أو عرياً أو سيفاً... إلخ .

القيامه فعل إلهي متحرك وفعال وخلّاق ومجدّد (فالمسيح بعد أن قام مشى وتحرك) . هكذا المفاعيل الثلاثة للقيامه : البر — جدة الحياة — رجاء القيامة الثانية ، هذه كلها مفاعيل ، حركة ، قوة ، انتقال ، ارتقاء مستمر !!

لهذا تواجهنا أيضاً خطورة مخيفة يا أحبائي : لأنه إذا لم نحصل بالفعل على قوة التبرير كفعل وحركة وعمل له ثماره وبرهانه ، فهذا معناه أن القيامه لم تدخل حياتنا بعد كقوة وفعل وحركة ، وبالتالي لن نذوق جدة الحياة أو نحصل على رجاء القيامه . نحن محسوبون أعضاء في جسده السري ، فإذا لم نتحرك بحسب مشيئة وإرادة هذا الجسد السري بحسب فعالية قيامته نصبح أعضاء عاطلين .

أما برهان صدق حركة القيامه وفعاليتها فينا ، فيظهر على مستوى حركة موته وآلامه فينا تماماً ، فإذا كنا في سلوكنا وحياتنا نعيش آلامه وصليبه كشركاء أمناء فيها ولا

نستعني من مرارتها أو استمرارها أو شدتها مهما بلغت حتى إلى حدود الموت، فنحن حتماً سندخل في فعالية قيامته وحركتها كحياة جديدة كما يقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس: «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح (المسيح الحي والقائم فينا) تكثر تعزيتنا أيضاً» (٢ كو ١: ٥).

هذا ليس كلام وعظ ولكن تجربة روحية. ينبغي أن نتيقن تماماً أن ثمار موته توازي تماماً ثمار قيامته. ولكن الأولى هي التي تمنح الثانية وجودها وكيانها فينا، على مستوى ما قاله المسيح أن «كل من اتضع ارتفع» ولكن العكس خطير، أي من ارتفع دون أن يتضع يسقط.

فالقيامة بهذا المعنى هي النتيجة الحتمية للآلام، كالمجد بالنسبة للهوان. فالآلام التي تجزع منها هي هي لك باب القيامة الوحيد!!

معنى العيد

ماذا يعني عيد القيامة لنا؟
المسيح قام من بين الأموات ناقضاً أوجاع الموت وكاسراً شوكة الموت التي هي الخطيئة. إذن فنحن اليوم نعيد:

عيد انتصارنا على الموت والخطيئة...
عيد انتهاء أزمنة طغيان الشيطان وكسر سلطانه القديم...
الموت موجود ولكن لا سلطان له علينا نحن الذين نعيش القيامة.
الخطيئة موجودة ولكنها فاقدة لسلطان قضائها ضدنا نحن الذين نعيش القيامة.
هذا هو عيد القيامة، فإن كنا لا نحس ولا نؤمن أننا انتصرنا على الموت في شخص المسيح وكسرنا شوكرته التي هي الخطيئة، فنحن نكذب إن كنا نقول أننا نعيد للقيامة.

«خر يستوس آنستي. آليثوس آنستي» معناها انتصرنا على الموت وكسرنا الخطيئة،

ونحن نعيش الآن حياتنا في المسيح المقام أزمنة الخلاص الجديدة «الأشياء العتيقة قد مضت وهذا كل شيء قد صار جديداً» (٢ كور: ٥: ١٧).

هذه هي حقيقة عيد القيامة بالنسبة لإيماننا، فإما نأخذها هكذا وإما نحن نضحك على أنفسنا. فعيد القيامة هو عيد النصر على الموت وانهزام الخطية أمام بر المسيح.

أما الموت الذي يعمل الآن في العالم، فهو خطية وشر كاذب لا سلطان له. لقد حطم المسيح بقيامته قيود الموت وداسها وأفقدتها سلطانها، وكسر شوكة الموت السامة كما ينزع الإنسان الناب السام من فم الحية.

قوة القيامة تعطي الإنسان رؤيا صحيحة جداً وصافية للغاية، يرى فيها الإنسان الموت بلا موت، والخطية بلا قوة، فيضحك عليها، كما يلعب الطفل بحبة من البلاستيك!!

الكنيسة تكرم عيد القيامة تكريماً فائقاً جداً عن كل عيد، لأنها تستمد منه رؤيتها الصافية لإدراك سلطانها الجديد الذي أخذته من المسيح لتحيا به حياتها الجديدة منتصرة على الموت وكل ما يؤدي للموت، منتصرة على الخطية وقادرة أن تلغي كل قوتها وفعلها بالتنام، منتصرة على العالم لأن روح القيامة هو هو الغلبة والنصرة التي غلب بها المسيح العالم.

ونحن نستلم من الكنيسة هذا الإيمان لا كأنه مبدأ أو فكرة نؤمن بها، ولكن كقوة حقيقية لقيامه المسيح تنبعث منه وتسكن أعماق كيانتنا كله.

* * *

صلاة

+ المجد لك يارب في كنيسةك التي استودعتها سر قيامتك، سر مغايل حية، استلمتها منك يارب في أسرارها وفي قدسيها من خلال السر ومن خلال التقليد بالكلمة وبالقدوة الحسنة والسلوك.

+ فيا ابن الله، يامن استودعت كنيسةك هذا الغنى كحركة وفعل دام وسيدوم إلى الأبد، افتح قلبنا اليوم لكي نستقبل يوم قيامتك كفعل قيامة حقيقية، كفاعلية بر تسكن قلبنا، بر مجاني مدفوع ثمنه بالكامل، وكحياة جديدة نعيشها منذ هذه اللحظة، كفعل يسكننا لا كفكرة أو نظرية.

+ أتوسل إليك يارب أن تعطينا أيضاً رجاء القيامة من بين الأموات، رجاء حياً يسكن قلوبنا نستطيع أن نغلب به كل خوف من الموت، وكل انزعاج وكل ما يؤدي إلى الموت، كل الأمراض بأنواعها، وكل مخاوف وزعازع هذا الدهر وتهاويله الكاذبة. لأنك دست الموت فات الموت... ورفعت عن الخطية سلطانها.

+ لا موت ولا خطية اليوم، فالיום يوم قيامة، قيامة المسيح التي صرنا بواسطتها غير واقعين تحت سلطان الموت أو سلطان الخطية! اليوم نأخذ البر الذي هو اعتناق من كل دينونة إزاء الخطية.

+ أعطنا يا ابن الله مما اذخرته في كنيسةك من أسرار، كمغايل حياة نذوقها، نعيشها، نفرح بها أمامك. ولا تجعل للموت سلطاناً علينا بعد ولا الخطية، بل في قيامتك وملء قوتها أيها القائم المنتصر على الموت فلتعط حياة، لتعط تبرراً، لتعط رجاء لقيامة حية عتيده تسكن أعماق كياننا وإيماننا.

□ والمجد لك في كنيسةك منذ الآن وإلى أبد الأبدن. آمين.

(١٩٧٥)

□□□□□

القيامة والمصالحة (٥)

مقدمة :

إن خبر قيامة الرب يسوع من بين الأموات حدث هائل جديد كل الجدة، دوى في أورشليم كلها وفي الجليل وكل فلسطين. فالقيامة ليست تقليداً إيمانياً، ليست تعليماً متوارثاً، بل هي حدث مفاجيء كل المفاجأة على العقلية اليهودية لم يمهّد له بالتعليم، بل واقع ظهر في أفق الأوساط الدينية فأحدث ارتباكاً وانزعاجاً شديدين، أمر لم يكن متوقعاً في الديانة اليهودية، وكان مرفوضاً رفضاً كاملاً من الوثنية، ولكن ما العمل؟ ها هوذا يسوع المسيح قائم من الأموات!!

ولكن العجيب أن قيامة المسيح بدأت في الحال كمركز إشعاع يشرح كل العهد القديم والصليب وكل تعاليم الرب. وبقيامة المسيح من الأموات تعيّن في الحال رب الكنيسة الجديدة!!

والعجيب أن قيامة الرب من بين الأموات فوق أنها صارت في الحال قوة ورجاءً للرسل، إذ نزع عنهم كل الخوف من الرؤساء، فابتدأوا يظهرون ويشهدون ويتكلمون علناً أمام الرؤساء وفي المجمع ووسط الشعب؛ فإن القيامة صارت لهم بمثابة المفتاح الأول لفتح مغاليق المعرفة المستترة في العهد القديم. لقد استنارت عقول التلاميذ بالقيامة فاستطاعوا أن يشرحوا كل الأسفار بقوة و يقين على أعلى ما تكون المعرفة.

(٥) غظة عيد القيامة المجيد عام ١٩٧٧ أقيمت بدير القديس أنبا مقار— وادي النطرون.

علماً بأن العهد القديم شحيح كل الشح في موضوع القيامة من الأموات، لأنه لم يُشر إليها بوضوح، ولم يعط تعاليم مركزة عنها. ولكن كل ذلك لم يقف حائلاً أمام الإستنارة العظمى التي ملأت ذهن وقلب التلاميذ، فاستشهدوا عن القيامة حتى بما كتب في العهد القديم بقوة هكذا:

+ «وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١ كو ١٥: ٤). والإشارة هنا واضحة إلى مز ١٠١: ١٦ حيث يقول: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. وقُدوسك لن يرى فساداً».

كذلك في سفر الأعمال ٢: ٢٥-٣٦: «لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سُر قلبي وتهلل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرفتنى سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك. أيها الرجال الإخوة يسوع أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود أنه مات ودُفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذا كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسیه، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تُترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهوداً لذلك. وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعون. لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً».

كذلك في هوشع ١٣: ١٤: «من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلصهم أين شوكتك ياموت. أين غلبتك ياهاوية».

وإشعياء ٢٥: ٨ و٩: «يُبتلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه. ويقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا (لسان حال التلاميذ يوم القيامة)، هذا هو الرب انتظرناه نبتهج ونفرح بخلصه (فرح القيامة)».

وهوشع ١: ٦: «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو أقتس فيشفينا، ضَرْب فيجبرنا، يحيينا بعد يومين. وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه».

وحزقيال ٣٧: ١٢-١٤: «لذلك تنبأ وقلْ لهم هكذا قال السيد الرب هانذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم... فتعلمون أني أنا الرب، عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي. وأجعل روحي فيكم فتحيون».

ولكن لم يتعوق ذهن التلاميذ كثيراً حول شرح التراث القديم فيما يخص هذا التعليم عن القيامة، بل انطلقوا يبنون فكر العهد الجديد على هذا الأساس الجديد: «القيامة»، فالمسيح نفسه قائم أمام عيونهم!! بل وظل يتراعى لهم أربعين يوماً، لقد صار هذا هو الأساس الجديد للعهد القديم والجديد معاً وأساس المسيحية كلها والحياة الأبدية.

هذا اليقين الشديد نسمعه من فم بولس الرسول (١ كور ١٥: ١٤ و١٥ و٢٠):
+ «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح».
+ «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين» (امتداداً لقيامة المسيح من الأموات).

كذلك نستطيع أن نقرر أن كرازة التلاميذ والرسول منذ أول لحظة كانت تقوم على أساس قيامة المسيح من الأموات!! فقد حدث عندما أرادوا انتخاب رسول ليخلف يهوذا قالوا هكذا: «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع. وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا، يصير واحد منهم شاهداً معنا بقيامته» (أع ١: ٢١ و٢٢).

وهكذا بدأت الكرازة بقيامة الرب كأساس للإيمان كله، حتى أنه لما أراد التلاميذ أن يبرهنوا على حادثة يوم الخمسين أنها انسكاب سمائي، لم يبرهنوا على ذلك إلا على أساس قيامة الرب يسوع من الأموات: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال

لهم: ... هذا الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه! ...،
فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح
القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونونه!!
(أع: ٢: ١٤ و ٢٤ و ٣٢ و ٣٣).

- وهكذا صارت قيامة المسيح منذ أول لحظة أساس الإيمان المسيحي كله:
- ١ — أن المسيح تعين بهذا أنه هو ابن الله، بقوة و يقين وشهادة الروح القدس، وبآيات
ومعجزات.
 - ٢ — وأنه ثبت يقيناً أن الموت الذي مات على الصليب هو لحمل خطايانا، وأن قيامته هي
لأجل تبريرنا من كل خطايانا.
 - ٣ — وأنه أعطانا بقيامته من الأموات هذه حياة جديدة، إذ اعتبر نفسه كباكورة لنا
ونفخ فينا من حياته.
 - ٤ — وأن قيامته من الأموات هي تمهيد لمجيئه الثاني لتكميل مجد الخلاص علانية.

ولكن في هذا العيد — كما في يوم الجمعة العظيمة — نريد أن نفحص معنى الموت
والقيامة بالعمق اللاهوتي، حتى نبنى أنفسنا وإيماننا على أساس إنجيلي وآبائي.



علمنا يا أحبائي في عظة الجمعة العظيمة عن الصليب، أن الموت عنصر غريب على
الإنسان، لأنه في الحقيقة هو مضمون اللعنة — كفعل عقوبة — التي دخلت إلى طبيعة آدم
بالتعدي على نواമيس الله «موتاً تموت»!!

والموت يا أحبائي كما شرحت أيضاً هو في الحقيقة عنصر التزق الذي حدث بين
النفس والجسد بعد أن كانا في ألفة قوية. فالنفس كانت قادرة بنسمة القدير — كنعمة
خاصة يستمدّها الإنسان من الله لحظة بلحظة — أن تحيي الجسد. هذه القوة المحيية يسميها
القديس غريغور يوس النيسي: ζωτική δύναμις

لقد فقدت النفس هذه الألفة الدائمة مع الجسد بفقدان هذه القوة المحيية الفائقة، فبدأ التخلخل بين النفس والجسد بمجرد أن رفع الله نعمة هذه الحياة الدائمة معه بقوله للإنسان: «موتاً تموت»!! هنا الموت فِعْلٌ عقوبة تغفل الكيان الداخلي للإنسان. هذا التخلخل بين النفس والجسد، الذي هو نتيجة اللعنة ورفع نعمة الحياة الدائمة مع الله، هو بداية الفساد: فساد كل شيء في الإنسان، عقله وذنه وإرادته ونفسه وجسده. هذا الفساد زحف على كيان آدم وصار طابعه العام!! وصار الفساد هو النتيجة الملائمة للموت!!

فإذا عدنا إلى الصورة الآدمية الأولى قبل اللعنة، نجد نعمة الحياة الدائمة مع الله التي كان ينعم بها الإنسان الأول، آدم وحواء، في حضرة الله بمعزل عن التغير والفساد تحت تأثير الزمان. ولكن بمجرد حدوث اللعنة كفعل عقوبة رُفعت هذه النعمة الدائمة من الكيان البشري، ودخل الكيان البشري تحت الفساد بتأثير الزمان، بسبب غياب النعمة الواقية، نعمة الحياة والقيام الدائم في حضرة الله حيث كان يستمد الإنسان من الله الحياة مع الحكمة والبصيرة ويعيش في مجال قوة أرفع من كل الخليقة التي كان يسودها، وطبعاً كان يسودها بالقوة والنعمة الفائقة التي كان يستمدّها من الله!

وبمجرد دخول الإنسان مجال التغير المفسد تحت تأثير الزمان وتحت تأثير الخطيئة بناموسها الرابض في كل الأعضاء فقد الجسد قدرته على مواجهة ناموس القداسة والبر الإلهي، كما فقد قدرته على مواجهة واقع الحياة ومتطلباتها؛ فبدأ العنصر الجسدي يرضخ لناموس الخطيئة المحرّب، ويستهدف للانحلال والعجز والمرض واستنزاف طاقاته تمهيداً للموت.

كما بدأت النفس تُستهدف لعجز الجسد وقصوره، وتُستهدف هي الأخرى للواقع المريض في الخارج والداخل، وتفقد اتزانها مع الجسد وتفقد قدرتها على احتفاظها بالمثل العليا، فبدأت تتغرب عن الجسد والواقع المثالي قليلاً قليلاً استعداداً للتخلي عن الحياة في الجسد جملة!!

هذه هي النتيجة الحتمية للموت الذي دخل إلى العالم باللعنة، تمرّق بين النفس والجسد ووقوع كل منها تحت تأثير الخطيئة واستهداف كليهما للفساد! ... فالفساد هو التعبير الواقعي أو العملي للموت العامل بالخطيئة واللعنة!!

صحيح أن الموت هو عدو الإنسان الأعظم ومأساته الكبرى ومشكلته المحيرة التي استنزفت كل وقته وتفكيره وتدبيره ليتلافى حدوثها أو على الأقل يؤجل حدوثها بكل وسائل العلم والمعرفة، ولكن هيئات! فأخّر عدو يُبطل هو الموت!! بجد تعبير الكتاب.

ولكن ما معنى إبطال الموت؟ أليس هو إيقاف عوامل الفساد استعداداً لمصالحة النفس مع الجسد وتهيتها للقيامة؟؟ وكيف تتصالح النفس مع الجسد لوقف الفساد واستعادة الحياة دائماً بلا تخلخل أو انقطاع؟ أليس برفع الخطيئة واللعنة للعودة إلى الله والاتصال الدائم به لنوال نعمة الحياة الدائمة مرة أخرى؟ هذا الذي أكمله المسيح بالفعل على الصليب والقيامة وأعطانا عربونه منذ الآن؟

إذن، على ضوء معنى الموت وإبطاله تكون حقيقة أو قوة القيامة في المفهوم المسيحي هي رفع اللعنة، لإبطال الموت ولوقف الفساد نهائياً، استعداداً لمصالحة جديدة بين النفس والجسد، لقبول حياة جديدة ليست كالحياة الأولى.

موت وقيامة المسيح كنموذج عالٍ:

أما من جهة المسيح، فنجد أن الكتاب سبق فوعد بحزم قاطع أنه لن يرى فساداً: «لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدوسك يرى فساداً» (مز ١٦: ١٠). وهذا ما تم بالفعل إذ يقول: «أين شوكتك ياموت. أين غلبتك ياهاوية» (هوشع ١٣: ١٤).

ما معنى ذلك؟

معناه أنه كإبن الله سيقبل اللعنة نتيجة قبوله خطايا غيره في جسده، وبالتالي يأخذ عقوبة الموت عن الآخرين، وتنفصل نفسه بالفعل عن جسده. ولكن يمتاز هذا الموت دون جميع حالات الموت الذي عاناه كل إنسان في الوجود بغياب عنصر ناموس الخطيئة

المدمر والمفسد للجسد، وذلك بسبب قداسة المسيح الفائقة ولاهوته، فهو حامل خطايا ولعنة، ولكنه ليس خاطئاً ولا ملعوناً «لن تدع قدوسك يرى فساداً». لذلك يكون موت المسيح موتاً بلا فساد، أي يظل الجسد في أقدس وأطهر حالة مهيباً لقبول النفس في أية لحظة. وهذا ما تم بالفعل في اليوم الثالث.

المسيح هنا، كنموذج، صنع بقيامته أول مصالحة للإنسان بين النفس والجسد المنفصلين بالموت، برفع اللعنة وبالتالي إلغاء عقوبة الموت نهائياً، إذ بموته أمات الموت كذلك: «إن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ٩).

في القيامة بلغ التجسد كماله النهائي إذ دخل الاتحاد إلى الحياة الأبدية. لقد انغrust الحياة الأبدية في الجسد البشري واستعلنت فيه بنصرة فائقة على الموت على أساس من غياب حالة الفساد التي كانت تمنع الحياة.

فالقيامة حياة دائمة لا يسود عليها الموت بعد حدثت نتيجة غياب عنصر الفساد نهائياً، بل وعوضاً عن الفساد كان الروح القدس (روح القداسة) هو الفعّال في هذه المصالحة: «تعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤)، على أساس أن كلاً من النفس والجسد عند المسيح كانا — حتى بعد انفصالهما: واحد منهما في القبر والآخر في الهاوية — كانا متحدين بلاهوت المسيح كابن الله إتحاداً أثنومياً، كلٌّ منهما على حدة. وأخيراً أتت نفسه واتحدت بجسده في ثالث يوم وقام من بين الأموات.

هنا قيامة المسيح هي بداية حياة جديدة لا يسود عليها الموت. إذن، فهي ليست عودة إلى الحياة الأولى — وإن كانت امتداداً لها — ليست مجرد قيامة جسد أو قيامة جسدية، بل حالة تجلي رائعة لكيان جديد بين النفس والجسد أعلى من الحياة الأولى، حالة غير خاضعة للزمن ولا للطبيعة ولا للتغيير بعد. فالمسيح مات وقام من الأموات، لا ليعيش حياته أو حياتنا الأولى، بل مات ليستخلص كل عوامل الموت وتأثيراته من كل الجسد

والنفس، وليعطينا حياة جديدة تختلف تماماً عن حياتنا الأولى لا يسود عليها الموت بكل تأثيراته ولا الزمان بكل تغييراته .

ومعروف في تقليد الكتاب المقدس أن الملاك لما دحرج الحجر عن فم القبر في فجر الأحد، لم يصنع هذا ليسهل قيامة المسيح، بل ليعلمنا؛ لأن الجسد الذي قام دخل به المسيح إلى العلية والأبواب مغلقة، فهو جسد متجلي، جسد مجدد، جسد سمائي، كان يتراءى في أماكن متعددة في لحظة واحدة، ولم يكن من الكثافة حتى يمكن تتبعه أو ملاحظته كالأول، شأن كل السمايين. ولكنه أكل وشرب أمام تلاميذه، الذين لمسوه بأيديهم حتى لا يظنوا أنه روح. هنا محاولة هامة من طرف المسيح للتأكيد على أن قيامته حقيقية كإمتداد لحياته معهم، ولكن لا تفيد عودة إلى نفس مستوى العلاقات الأولى أو نفس الرسالة الأولى، إنما لتؤكد لها وتشرحها.

ولكن في كل ذلك لا تُعتبر قيامة المسيح مجرد قياس أو نموذج عادي لقيامة بشرية، فهو إبن الله القائم بالجسد من الأموات. فإن كانت قدراته قبل الصليب والقيامة إلهية وفائقة على كل البشر، فكم تكون بعد أن دخل في هذه الحالة العليا السماوية من التجلي الدائم؟... ولكنه في قيامته وتجليه الفائت كان يحمل البشرية ويجسد بشري على كل حال، فكان كباكورة لكل بني البشر الذين ماتوا على رجاء القيامة.

قيامة البشر من بين الأموات:

بنفس منطق القيامة التي أكملها المسيح لنا، ستم قيامتنا، أي على أساس مصالحة النفس مع الجسد وهو في حالة شبه ممجدة، وذلك بإبطال سلطان الموت (آخر عدو يبطل) القائم على الفساد. وهنا أقدم لكم أيها الأحباء صورة صافية لفكر الآباء عن مفهوم العلاقة بين الموت والقيامة على أساس خلع الجسد ولبسه الذي جاء في رسالة بولس الرسول (٢ كوه):

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم (١) في رسالته عن القيامة من الأموات:

(1) 6 M.G., L, C, 427-428.

[ليس الجسد هو الذي نخله عنا (في القيامة) وإنما الذي سنخلعه هو الفساد، فالجسد شيء والفساد شيء آخر. فلا الجسد هو الفساد ولا الفساد هو الجسد. صحيح أن الجسد يفسد ولكنه ليس هو الفساد، فالجسد يموت ولكن الجسد ليس هو الموت!! أما الجسد فهو عمل الله وخلقته، ولكن الموت والفساد إنما دخلا بالخطيئة، لذلك فكأنما بولس الرسول يقول: سأخلع عني هذا الشيء الغريب الذي لا يناسبني، ولكن هذا الشيء الغريب ليس هو الجسد وإنما الفساد. فالحياة الجديدة لا تبطل ولا تلغي الجسد وإنما تلغي ذلك الذي كان متعلقاً بالجسد أي الفساد والموت].

هذه صورة واضحة معبرة أشد التعبير عن تقليد الكنيسة العامة فيما يخص قيامة الجسد بدون فساد. فالجسد بمثابة حبة حنطة تقع في الأرض لتقضي فترة شتاء الموت المظلم في القبر، تنتظر فجر القيامة للدخول في ربيع الحياة الأبدية.

هذا كله تستمده الكنيسة من تعبيرات القديس بولس الواضحة: «لكن يقول قائل كيف يُقام الأموات؟ وبأي جسم يأتون؟...»، أسئلة محيرة.

قيامة الأموات هي هذه: «يُزرع في فساد (الموت وحياة ما قبل الموت)، ويُقام في عدم فساد. يُزرع في هوان، ويُقام في مجد. يُزرع في ضعف، ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً (متعلقاً بقوانين الأرض)، ويُقام جسماً روحانياً (متعلقاً بقوانين السماء)... ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني... وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح). فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد» (١ كو ١٥: ٣٥ و٤٢-٥٠).

هذه هي القيامة في الإيمان المسيحي: حياة بالنفس والجسد وإنما في أسمى إمكاناتها الروحية.

وبولس الرسول في موضع آخر— أي في رسالته الثانية لكورنثوس ٥ — يوضح أكثر أهمية وجود الجسد إنما في حالة روحانية أسمى: إن القيامة ليست هي حالة غري إذ نكون قد خلعنا الجسد، بل نلبس صورة السمائي فوق الجسد، نلبس قيامة الرب يسوع على الجسد فيُبتلع الموت الذي فيه:

+ «فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء (صورة جسد مجد المسيح القائم من الأموات). وإن كنا لا بسين (الجسد) لا نوجد عراة (بدون جسد). فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين (بالجسد التراي)، إذ لسنا نريد أن نخلعها (أي نخلع الخيمة — أي الجسد) بل أن نلبس فوقها ،، صورة السمائي،،. لكي يُبتلع المائت بواسطة الحياة (القيامة)» (٢ كور ٥: ٢-٤).

يشارك في نفس هذا التعلم بكل وضوح ودقة كل من القديس الشهيد أغناطيوس والقديس إيرينيئوس. كما يقول القديس أثناسيوس^(٢) في رسالته عن التجسد فيما يخص الموت ثم القيامة:

[كما تسقط البذرة وتُدفن في الأرض، هكذا نحن لا نهلك عندما نموت ولكننا نقوم كأننا زُرعنا].

هذا التراث قديم جداً في الكنيسة، إنه رسولي، يقول عنه أثيناغوراس^(٣):
[إن الجزء البشري الذي يستقبل العقل والفهم هو شخص الإنسان عموماً وليس النفس وحدها، لذلك يتحتم أن يظل الإنسان إلى الأبد صاحب نفس وجسد معاً. وهذا يستحيل، إذا لم تكن هناك قيامة، فإذا لم تكن هناك قيامة، بَظُل أن يكون هناك كيان بشري].

من هذا كله يتبين أن فكر الآباء عن القيامة كان تقليداً ثابتاً إنجيلياً بحسب واقع قيامة المسيح التي رآها ولمسها التلاميذ وعاشوها وأكلوا وشرَبوا معها وتحَدَّثوا إليها، فصار

(2) 21 M.G., xxv, p. 123.

(3) De resurrectione mort, 13 p. 63 Schwartz.

تعليمهم من واقع حي وتقليد شديد الرسوخ .

فالقيامة — كما يقول القديس غريغور يوس النيسي — ليست عودة إلى الحياة الأولى بأي حال من الأحوال ، ولا هي تكرار أفضل لصورة ما نعيشه الآن بأي حال من الأحوال ، لأن هذا التصور هو البؤس كل البؤس ، كما يقول النيسي بل هو بؤس بلا نهاية !! ولكن كما يقول بولس الرسول ، فإن الرب نفسه سيكون عاملاً بروحه في قيامتنا بقوة قيامته لتغيير جسدنا ليكون على صورة جسده « الذي سيغير (بنفسه) شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » .

صلاة

إلى الذي مات عنا وقام .

هكذا أحببتنا يا ابن الله .

قدمت الحياة رخيصة على الصليب ،

اشتريتنا بالدم يوم الجمعة ، وحررتنا فجر الأحد .

حررت أرواحنا من رق الموت والهاوية والفساد ، وصالحتنا مع أبيك .

الشكر لك والتسبيح والمجد الدائم ، يا ابن الله ، يامن صنعت عجباً لحسابنا ، أتوسل

إليك يامن صالحت النفس بالجسد ، أن تصالح نفوسنا بأجسادنا يارب .

أجسادنا ثقيلة جداً على نفوسنا ، صارت مرذولة لا تريد أن تستجيب لمطالب النفس

والروح . كم صارت أجسادنا ثقيلة ورذيلة نطالبها بالقيام والوقوف فتتكاسل وتتراخي ،

ألا ليتك تعطينا قيامة صادقة حقيقية للجسد والنفس .

ليتك تعطينا مصالحة عميقة وسرية لكيلا يتمرد الجسد فيما بعد على الروح بل

يتصالح معها ويستجيب ، والروح أيضاً تتصالح مع الجسد في ألفة أنت كونتها بعد

خصومة دامت آلاف السنين ، أيها القائم من الأموات ، بمصالحة عظمى بين النفس

والجسد . ليتك تصالح نفوسنا مع أجسادنا .

ثم ، ألا ليتك تصالح نفوسنا بنفوسنا . كم مرة تضيق نفوسنا بإخوتنا ، كم مرة تضيق

بالناس والآخرين . وأنت يارب الذي صالحت الكل فيك ، وصالحت البشرية بأبيك .
هذه هي قوة القيامة ، قوة المصالحة العظمى ، ليتك في هذا اليوم المبارك ، تشفي
خصوصتنا إن كان في داخلنا أو في خارجنا . إلفها ياربي كما ألغيت الموت .
إلغ الخصومة من أعماقنا كما ألغيت الفساد لكي يدب الصلح والسلام بين أنفسنا
وبين الآخرين ، كل الآخرين يارب . لا يعود لنا عدو لأن القائم من الأموات لا يرى
أمواتاً بل يرى حياة و يبارك كل الأحياء فيك يا ابن الله .

فأعطنا نحن الذين دعينا أبناء قيامة ونور أن نتصالح مع كل إنسان في الوجود .
أيها القائم من الأموات ، لتعط كنيسةك بذرة المصالحة حتى تأتلف الأعضاء كما
تأتلف المرافق في الجسد بالأزور والمفاصل سهلة الانحناء والالتواء ليسير الجسد ويقوم
و يستقيم .

سيدي الرب ، هكذا أقت كنيسةك بعد خصومة وتفتت من جراء ميراث آدم المرّ ،
أعطيت الرسل والتلاميذ ومن بعدهم الأساقفة على مر الأجيال وكل شعبك صلحاً
وسلاماً لكي يأتلف الجميع فيك وبك في كنيسةك و يقبلوا بعضهم قبله المصالحة ،
ليقدموا ذبيحة السلام والفرح والتسبيح .

هكذا ياربي نطلب بقوة القيامة وحققها أن نتصالح الكنيسة بالحق حتى لا تكون
القبلة مجرد دعاء شماس من وراء المذبح ، لا يستجيب له أحد ، وإن استجاب له فالقلب
بعيد كل البعد عن كل القلوب بل ومتنافر كل التنافر ، ليتك ياربي تعيد لكنيسةك
صلحها وسلامها : «آزپازيستا» ἀπαζέσθε بالحق وبالفعل وبالقوة تسكن كنيسةك
يارب لتكون القبلة بالقلب ليتصالح أعضاء كنيسةك رؤساء وبرؤوسين ، أساقفة مع
كهنة ، وكهنة مع شمامسة ، والكل مع شعبك . ليقدم لك الشعب عبادة مقبولة كما من
فم واحد .

ثم يارب ، أنت الذي أنشأت كنيسة واحدة وليس كنائس ، لم تقسم الرسل إلى
قسمين ولا إلى خورسين قبلي ومحري أو شرق وغرب ، بل جعلتهم خورساً واحداً ، أريتهم

دمك ثم أريتهم حبك وقلت لهم إن كنتم تلاميذي فليكن لكم حب بعضكم لبعض
ليعرفوا أنكم تلاميذي .

سيدي الرب ، انقطع الحب والسلام بين أعضاء الكنائس ، فهي كاذبة إن قالت أنها
كنيسة الرسل ، وكاذبة إن قالت أنها كنيسة واحدة مقدسة جامعة .

فالآن يارب ، يامن أسكنت تلاميذك قوة قيامتك ، فسلكوا بها ، وحل الروح القدس
عليهم بسبب هذه الألفة ، وامتلاّت كنيستك الأولى مواهب وقوى ونعمة فوق نعمة .
الآن افتقد كنيستك المنقسمة المتفتتة ليعود لها صلحها وسلامها ، لتعود لها ألفتها ، لكي
يحل روحك القدوس فيها و يعود إليها جامها وبهاؤها وينسكب عليها روحك القدوس ،
فتكون الشهادة بصدق الحياة وصدق السلام والمحبة .

آمين اسمع يارب في كنيستك في هذا اليوم المبارك ، ألق صلحاً وسلاماً على وجه
الأرض كلها حتى يهتم كل إنسان بخلاص نفسه .

لك المجد في كنيستك من الآن وإلى أبد الأبد . آمين .

(١٩٧٧)



القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي

بالفرحة العظمى التي تعيد بها الكنيسة لقيامة المسيح من بين الأموات، وهي تردد بلا انقطاع هذه الأيام «اخرستوس آنستي».

فاخرستوس آنستي بالنسبة للكنيسة معناها أنه قد كُمل الفداء، وأنه قد صار حقاً من حقوق كل الخطاة أن يستلموا بالإيمان وبلا ثمن صك الحرية والخلاص من عبودية الخطية والموت، وقبول الدعوة للحياة الأبدية.

ولكي نحصل على إيمان بالقيامة له هذه القوة، يلزم أن ندخل في عمق إيمان الكنيسة الذي يربط ربطاً شديداً: بين سر العشاء في مساء الخميس، وبين سر الصلبوت في يوم الجمعة، وبين سر القيامة في فجر الأحد.

ففي العشاء مساء الخميس كشف الرب لأول مرة عن معنى وحقيقة الصليب القادم الذي طالما تكلم عنه باعتباره آلاماً كثيرة وموتاً وحسب، ولكن فجأة وهو على العشاء أوضح بمنتهى الإختصار والسرية أنه سيقدم نفسه ذبيحة عن العالم وأن هذه الذبيحة ستقدم لله الآب كاملة، كذبيحة الفصح تماماً، جسداً مكسوراً يأكلونه ودماً مسفوكاً يشربونه لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية.

ولكن الذي أدهش التلاميذ على العشاء والذي لا يزال يدهش العالم كله أن المسيح

في عشاء الخميس لم يكن يشرح نظرياً كيف سيُذبح يوم الجمعة، بل استبق الحوادث، إذ قبل الصليب بيوم كامل قدّم نفسه لتلاميذه مذبحاً ليس كمجرد عمل من أعمال النية والتوضيح، ولكن كفعلٍ كسرٍ وذبحٍ وسفكٍ فعلي أكثر وأعظم وأوضح مما حدث يوم الجمعة على الصليب، بحيث أن كل أسرار تقديم المسيح نفسه ذبيحة على الصليب يوم الجمعة والتي يستحيل أن يراها أو يفهمها إنسان على الأرض، بادر المسيح في عشاء الخميس وكشفها وأوضحها لتلاميذه عملياً.

فالمسيح بعد ما كسر الخبز ومزج الخمر قدّمها لتلاميذه لا بصفتها مجرد تمثيل أو رمز لكسر جسده وسفك دمه على الصليب، بل قال لهم: «هذا هو جسدي المكسور. هذا هو دمي المسفوك». فهنا أحدث المسيح فعل ذبح إرادي بسر لا يُنطق به.

ثم أعلن سبب كسره أو ذبحه وهو: «عنكم»، ثم كشف لماذا سيُذبح عنهم، إذ قال لهم: «لمغفرة الخطايا».

ثم وأكثر من هذا كله، إذ بعدما أكمل فعل الكسر والسفك الفعلي لجسده ولدمه بالسر، أمرهم أن يأكلوا منه ويشربوا، لا كخبز مكسور أو خمر ممزوج بعد، بل «جسداً مذبحاً» فعلاً، موضحاً بهذا أن سر يوم الجمعة حاضر أمامهم كفصح إلهي حقيقي، فبوت الصليب يوم الجمعة لن يكون مجرد مقدمة للآب عن خطايا العالم وحسب، بل ذبيحة حب وعشاء دائم يأكل منها العالم كله.

وهذا كشف المسيح في عشاء الخميس بكل وضوح وعلانية أن ذبيحة نفسه التي سيضعها على الصليب هي ذبيحة الكفارة التي لا يقدمها أمام الله الآب بفعل تلقائي عن الناس وحسب، بل ذبيحة حب شخصي لا تتم الكفارة فيها إلا بالإشتراك الفعلي فيها، وهكذا شرح المسيح في سر عشاء الخميس أن الشركة الفعلية الكاملة في الإيمان بالمسيح المصلوب كذبيحة للخلاص وغفران الخطايا، لا بد أن يحققها الأكل الفعلي من الجسد والشرب من الدم بحسب السر الذي تممه في عشاء

الخميس، وبذلك فقط تم الكفارة ويتم الغفران ويتم الاتحاد بالمسيح للإمتداد في الحياة الأبدية.

بهذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أن عشاء الخميس الذي هو الإفخارستيا، وصلبوت يوم الجمعة، هما سر واحد لا يمكن إدراك الواحد بدون الآخر، ولا يمكن نوال سر قوة الواحد منها بدون الآخر، والحب كان هو الدافع لها كليهما. فعندما جلس للعشاء قبل عيد الفصح قال عنه يوحنا: «وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى!!» (يو ١٣: ١). هذا الحب مات به يسوع، وبه أيضاً قام!!

ولكن مرة أخرى عندما نتعمق في أسرار عشاء يوم الخميس نرى الإعلان عن سر القيامة ضمن الإعلان عن سر موته واضحاً غاية الوضوح، إذ بينما يقدم المسيح نفسه لتلاميذه ويقول لهم: «خذوا كلوا جسدي مكسوراً، وخذوا اشربوا دمي مسفوكاً»، يقدمهما بنفسه ليس ميتاً بل حياً، ويبيده، فالمسيح في سر عشاء يوم الخميس كان مذبوحاً وقائماً معاً، ميتاً وحياً معاً. هذا السر مدّش إذ استطاع المسيح أن يكشف به بكل قوة وإنما في سر عجيب عن القيامة المحققة والكائنة في الموت المزمع أن يتم على الصليب يوم الجمعة!! «أنا هو الأول والآخر، الحي وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين» (رؤ ١٧ و ١٨).

وهذا ندرك عظمة الإفخارستيا التي أكملها المسيح في عشاء الخميس والتي تكملها الكنيسة حتى اليوم، باعتبارها السر الذي يشرح ليس فقط أسرار الصليب يوم الجمعة، بل سر المسيح الميت الحي، وسر الفداء بكامله وبكل دقائقه، باعتبار أن الموت الذي حكموا به على المسيح لم يكن إلا ذبيحة حب إرادية وكفارية تحمل في مضمونها قوة الموت عن الآخرين، وقوة القيامة بالآخرين، وأنها بناءً على ذلك ذبيحة قادرة أن تعطي عوض الموت عن خطايا الماضي الحياة الأبدية، وذلك بما تحمله هذه الذبيحة من سر الشركة المفتوحة على الإنسان، الشركة في جسد ودم المسيح المذبح والقائم.

بهذا فهمت الكنيسة أن الموت على الصليب كان ذبيحة حية وعحية بأن واحد،
كفارياً وقادرة أن تقيم من الموت أيضاً، هذا كله فهمته الكنيسة عبر أسرار سر
العشاء.

وهنا أيضاً تعود الكنيسة إلى أسرار العشاء الأخير وتكشف عن حقائق جوهرية
بالنسبة لحوادث يوم الجمعة!

فالصليب لم يكن للمسيح — كما توهمه وكما انتهى إليه رؤساء الكهنة — آلة موت
وتعذيب له كخاطئ ومعدِّف: «أصلبه أصلبه»، بل كان في علم الآب وفي أعماق
المسيح أداة بذلٍ بدافع حب فدائي جارف بمقتضى ما أدركته الكنيسة من أسرار العشاء
الأخير وأحاديث المسيح السرية في إنجيل يوحنا. ألم يسبق ويكشف عن نوعية موته؟
«ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣).

وهكذا تحوّل الصليب بواسطة القيامة من مفهوم العقوبة والموت في يد الصالين إلى
أداة فعّالة للحب الإلهي في يد الراعي الصالح الذي فدى خرافه، والذي لا يزال يذهب
وراء الخروف الضال إلى أقصى الأرض. أي مكان في العالم أيها الأبناء لا يوجد فيه
صليب مرفوع؟ صليب يبحث عن الخطاة ليردهم إلى حظيرة الآب. لقد صار الصليب
آلة فرج لكل من أدرك سر الغفران الذي فيه، بل سر الحب الإلهي «لأنه أحبني وأسلم
نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠).

هكذا فالمسيح لم يميت إلا لكي يقدم نفسه ذبيحة عن خطاة الأرض كلها، ثم من
خلال هذه الذبيحة يعطي جسده المكسور ودمه المسفوك لكل إنسان على غرار يوم
الخميس ليأكل ويشرب غفراناً وقيامة وحياة أبدية.

فالمسيح لا يزال يمارس في كل كنيسة وبين أحبائه سر عشاءه، فعلى كل مذبح يقم
بيديه — مثل عشاء الخميس تماماً — جسده ودمه للمتناولين غفراناً للخطية وحياة أبدية،
حيث صار سر الإفخارستيا الآن حاملاً لنا كل قوة عشاء الخميس من حب بلغ حتى

المنتهى، مع كل قوة الآلام التي تحملها الجسد على الصليب، مع قوة القيامة التي قام بها الجسد تاركاً القبر فارغاً.

ولكن لا يغيب عن بالنا أيها الأحباء أن مثل هذه المعاني العميقة المذخرة في سر عشاء الخميس، وكل النور المضيء الذي انبعث منها ليكشف مجد الصليب، لم يدركه التلاميذ قط إلا بعد أن تحققوا من قيامة المسيح، فأثناء العشاء لم يفهم التلاميذ شيئاً بالمرّة من كل ما قاله وشرحه الرب، لقد مرت عليهم كلمات المسيح عن العهد الجديد والدم المسفوك وغفران الخطايا والحياة الأبدية كأنها بلا معنى، بل يقول الكتاب: «قد ملأ الحزن قلوبهم». ولما حضرت الساعة وبدأت إجراءات القبض وواجهوا خروج القضية وإعلان الصليب، انزعجوا وهربوا، وبعضهم أنكروا بالرغم من كل ما سبق وأعلنه المسيح لهم، وكان المسيح لم يُقيم إفاخرستيا ولا غسل أرجلهم ولا تكلم ما لا يقل عن ست ساعات متوالية — بحسب توقيت إنجيل يوحنا — عن موته وعن قيامته وعن عودته وإرساله المعزّي، وأنه لن يتركهم يتامى وكيف سيراهم وسيفرحون، كل هذا تبخّر أمام رعبة العنف وظهور جند رؤساء الكهنة وإجراءات القبض...

لذلك تقع القيامة في لاهوت الكنيسة من مفهوم الصليب — الذي هو ذبيحة إرادية للتكفير عن خطايا العالم كله — تقع موقع الأساس والقمة معاً. إن سر القيامة كحقيقة إيمانية ملموسة كان كنور بهي سمائي، عندما دخل قلب التلاميذ قلب كل أحزان الصلبوت المهينة والموجعة إلى كرامة وعزة ونصرة ومجد. فالموت صار فداءً والقبر الفارغ صار منيع حياة بعد أن كان مستودع موت.

لذلك كان ليس بلا سبب ما قاله بولس الرسول: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطل هو إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم» (١ كور ١٥: ١٧). ولكن الحقيقة الأكثر أهمية في لاهوت الكنيسة، والكنيسة تؤمن بالفعل أنه قام، هذه الحقيقة هي: «إن كان المسيح قد قام وقيامته صارت فينا حقيقة، فإيماننا حق ونحن لسنا بعد في خطايانا». أي أن قيامة المسيح التي قامها بالجسد في اليوم الثالث صارت هي القوة

الأساسية الفعالة في مغفرة الخطايا، وبالتالي فالقيامة هي في عرف الكنيسة عماد مفهوم الكفارة. أي لا نستطيع أن نقول إن الموت الذي ماته المسيح هو—بجد ذاته—دفع ثمن خطايانا واسترضاء الله لرفع غضبه عنا. فالقيامة هي التي جعلت موت المسيح له هذه القوة والكفارة والمصالحة.

لذلك حينما نعود إلى نشيد الكنيسة المبهج «اخرستوس آنستي»، ندرك لماذا هذه البهجة الطاغية التي ألغت كل أحزان الصليب وآلامه، بل وألغت من كيانتنا بالفعل كل أوجاع الخطية والموت! لأنه إن كان المسيح قد قام، فإيماننا حق ولسنا بعد في خطايانا، وصليبه هذا إنما كان مجداً وليس عاراً، وجسده ودمه الذي نأكله ونشربه إن كان هو جسد صليبه فهو جسد قيامته أيضاً، ولنا فيه شركة في القيامة عينها بكل تأكيد مع حياة أبدية...

فالقيامة جعلت عار ولعنة الصليب نعمة وخلصاً ومجداً!! وجعلت الجسد المكسور والدم المسفوك ليس حياً فحسب بل محيياً!!

بل وإن كان الموت دُفع ثمناً لخطايانا، فالقيامة زادت هذا الثمن بأن جعلته ثمناً مقبولاً، ومقبولاً علناً ودائماً في السماء والأرض!!

لذلك ما أوجبنا الآن إلى قيامة بنفس القوة والعلانية التي استعلنها التلاميذ في اليوم الثالث، لتلغي كل مفهوماتنا الخاطئة عن الخوف من الآلام والصليب، ولتكون بداية لإيماننا والقوة التي نستمد منها قدرتنا لا على فهم قوة صليب المسيح على مغفرة خطايانا، بل وعلى تحملنا لآلام الصليب عينها بكل فرح، حتى لا تصبح الآلام فيما بعد آلاماً بل شركة في مجد، كما اكتشف ذلك بولس الرسول قائلاً: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧).

هكذا أصبحت القيامة في عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية تقوم كأساس لعمل الفداء الذي كان في قلب المسيح منذ الإبتداء، أي لم يكن الفداء مجرد أن يدفع المسيح ثمن

خطايا البشرية وحسب، أو مجرد أن يرفع غضب الله عن العصاة الذين صاروا عبيداً للآثم وحسب، ولكن الفداء كان يعني عند المسيح بالدرجة الأولى شيئاً فوق الغفران والمصالحة وهو أن يعيد للإنسان الحب والحياة الأبدية التي فقدوها بالتعدي والإنفصال عن الله. وهذا كان يُعتبر من مضمون مفهوم التجسد أصلاً — كما فهمه آباء الكنيسة مثل القديس أثناسيوس الذي يقول: [إن الكلمة صار إنساناً حتى نصير نحن آلهة فيه (أي شركاء في الطبيعة الإلهية)].

فغاية التجسد لم تقف أبداً عند كفارة الصليب والفداء بالدم عند آباء الكنيسة الأرثوذكسية^(١)، بل تجاوزتها دائماً إلى القيامة لتجديد الإنسان كغاية عظمى للتجسد. لماذا؟ لأن الإنسان لم يقف عند حد السقوط في الخطية وحسب، ولم ينته إلى حالة الفُرقة عن الله والوقوع في الغضب الإلهي وحسب، حتى إذا رُفعت خطاياه أو صولح مع الله عاد إلى حالته الأولى — ولكن باللحزن والمرارة إن الإنسان تعدى ذلك كله إلى فقدان مواهبه وتشوهت صورة الله فيه، بمعنى أنه فقد قدرته نهائياً على معرفة الله وحبه، وبالتالي فقد القدرة على العودة للحياة مع الله بأي وسيلة سواء كانت بالتطهير أو بالمعرفة أو بالتعليم.

هذا نسمعه من المسيح نفسه عندما أثار هذه القضية مع نيقوديموس معلم الناموس، عندما قال له: «ينبغي أن تولدوا ثانية، إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ولا أن يدخل ملكوت الله». أي أن المسألة ليست دفع دين خطايا وحسب، بل الأمر يحتاج إلى تجديد خلقة الإنسان!!

قيامته المسيح من بين الأموات بنفس الجسد الذي مات به، يعطي الرد العملي والجواب الإلهي عن كيفية الميلاد الجديد للإنسان كخليقة جديدة، فقدرة المسيح

(١) يقول بعض العلماء المشغولين بالمقارنة بين قديسي الغرب وقديسي الشرق أن قديسي الغرب دائماً يحملون جراح الصليب أما قديسو الشرق فداًماً يضيئون بتجلي القيامة.

على إعادة الحياة للإنسان بقيامته من الأموات صارت هي رجاء الكنيسة الأعظم منذ يوم القيامة حتى الآن .

فالمسيح بقيامته حياً منتصراً على الموت، وليس على الخطية فحسب، فتح الباب لأول مرة وإلى الأبد لدخول الإنسان مرة أخرى إلى ملكوت الله أي إلى الحياة الأبدية بعد أن دفع ثمن خطاياه على الصليب .

وهكذا فإن قيامة المسيح تكشف لنا عن الدافع الأقوى الذي هو وراء الصليب . فالذبيحة التي تمت بكل رضى الابن وبكل مسرة الآب الذي سحبه بالحزن كان وراءها تعطفات أبوية ومحبة فائقة من الرب يسوع نحو الخطاة والبشرية كلها، لا لكي تُغفر لهم خطاياهم وحسب بل لكي تخلقهم جديداً فيه وبروحه، ليقدمهم معه في حبه للآب أيضاً بعد أن يغتسلوا في دمه، يقدمهم في قيامته وجلسه عن يمين الآب ليكونوا بلا لوم أمام الله أبيه في المحبة، ليكونوا خليفة جديدة تتنفس بروح الله، محبوبين مثله — أو بحسب تعبير المسيح نفسه: « ليكون فيهم الحب الذي أحببني به » (يو ١٧: ٢٦) .

لذلك تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية أن الفداء استمر حتى إلى بعد دخول المسيح الأقداس العليا: « دخل إلى الأقداس كسابق لأجلنا ووجد لنا فداءً أبدياً » (عب ٩: ١٢) .

وهكذا يمتد لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية مُركّزاً على محبة الله كدافع أساسي حتى النهاية من الصليب إلى القيامة ثم إلى الصعود، بل إلى الدخول إلى الأقداس العليا والجلوس عن يمين الآب حتى يضمن التكميل النهائي للفداء! فالمسيح حي إلى الآن وحتى وبعد أن أكمل الموت عنا وبرّنا بدمه، لا يزال بدالة الحب الذي أكمل به الفداء يشفع فينا أمام الله أبيه، حتى لا يقع علينا أي غضب أو لوم بسبب جهالتنا وتعدياتنا اليومية: « ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا،

فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب» (رو ٩:١).

لذلك كم نخطيء أيها الأحباء الآن بعد أن تم هذا الخلاص العجيب المجيد بكل مراحل، حيننا نفرق بين الصليب والقيامة في أنفسنا فنجعل الصليب في قلبنا وذهننا منطقة حزن وعار، نتحاشاه ونجزع منه، في حين نجعل القيامة تهليلاً ومجداً نرجوها ونطلبها، أليست القيامة هي ثمن الصليب والصليب هو ثمن القيامة؟ والإثنان كانا مجداً واحداً ليسوع ولنا؟

ألم يكن الصليب في نظر الآب هو مجد المسيح الحقيقي بينما كان المسيح معلقاً عليه وحوله العار من كل جانب؟

ألم يكشف عن ذلك المسيح نفسه في صلاته الخاصة للآب بعدما خرج يهوذا ليكمل الخيانة والتسليم وتيقن المسيح أن ساعة الصليب صارت على الأبواب؟ «فلما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً، فلما خرج قال يسوع: الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه، إن كان قد تمجد الله فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً» (يو ١٣: ٣١).

هذه كانت هالة المجد التي رآها يسوع مسبقاً تحيط به وهو على الصليب وفي القيامة بقدر واحد!!

الكنيسة الأرثوذكسية تدرك بحاسة لاهوتها المرفهة أن المسيح أخضع نفسه للموت مع أنه غير خاضع له البتة. فالقيامة كانت حاضرة فيه، ولم يسمح بأن يُصلب أو يموت إلا بقدر ما التزم هو به من نحو المحبة للخطاة: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه»، وما ألزمته به طاعته للآب: «أطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٨).

من أجل هذا يقول الكتاب وتقول النبوات إنه كان من المستحيل أن يمسك في القبر، فالقيامة هنا جاءت لتؤكد موته الإرادي!!

كم مرة أشار المسيح إلى هذه النقطة الحساسة الجوهرية: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن أخذها (أقوم) أيضاً» (يو ١٠: ١٨)، «الكأس الذي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو ١٨: ١١)، «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧). وحينما حاول بيلاطس أن يظهر تفوقه على «ملك اليهود» بأنه قادر أن يصلبه وقادر أن يطلقه، اعترض عليه المسيح في الحال: «ليس لك عليّ سلطان البتة إن لم تكن قد أعطيت من فوق» (يو ١٩: ١١).

لقد أكمل بيلاطس عمله وتمم لرؤساء الكهنة مشيى قلوبهم وصلب لهم يسوع كما أرادوا، وكما أراد الشيطان تماماً أن يكون، حتى يصبح الصليب عاراً للمسيح ونقمة نهائية وتخلص منه الأمة اليهودية إلى الأبد، ولكن الرب بقيامته المنتصرة من بين الأموات بدّد كل خطتهم التي أحكموها مع رئيس هذا العالم وسلطان الظلمة، وقلب الوضع فصار الصليب للمسيح ولكل من يؤمن بالمسيح مجداً وسلاماً، وصار الصليب للشيطان ولكل مبغضي إسم المسيح عاراً ورعبة!...

القيامة أجلس المسيح في السموات ملكاً للملوك ورباً للأرباب وسيداً للدهور كلها، وجعلت موت المسيح كفارة ليس فقط لمغفرة الخطايا ومصالحة العالم مع الله، بل وأيضاً تجديداً للخليقة البشرية وتحولاً جذرياً في صميم طبيعة الإنسان من حياة مادية حسب الجسد لحياة روحية حسب الروح، إعداداً للفاسد لكي يلبس عدم الفساد منذ اليوم وللمائت لكي يلبس عدم الموت منذ الآن، حسب قول القديس يوحنا في سفر الرؤيا: «من هو مقدس فليتقدّس بعد» (رؤ ٢٢: ١١).

لأن سيرتنا في المسيح يسوع هي منذ الآن تُكتب لنا في السماء، في جدة الروح لتلك مع المسيح. وكل أعمال الكنيسة اليومية صارت معروفة ومقروءة لدى كل السمايين، لأن المسيح الجالس عن يمين العظمة في السموات هو أيضاً ملك القديسين لكنيسة السماء، وهو هنا للكنيسة على الأرض رأسها وعريسها، كما يقول بولس الرسول: «لكي

يُعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ١٠ و ١١) — سواء كان في سر العماد عندما يتم الموت مع المسيح والقيامة مع المسيح لنوال الميلاد الجديد الذي يؤهلنا لدخول ملكوت السموات ورؤياه منذ الآن، أو في سر الشكر عندما يُستعلن جسد المسيح ويحل الروح ويشترك المؤمنون في الذبيحة، و يبشرون بموته ويعترفون بقيامته تمهيداً لنوال شركة قيامته .

لذلك كل مرة تنشد الكنيسة «اخرستوس آنستي» إنما تردد أصداء استجابتها في السهء وسماء السموات من ألوف وربوات القديسين: «حقاً قام»! ...
(١٩٧٨)

«وأراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة»

(أعمال ١: ٣)

لا يلزمنا كثيراً أن نصف مقدار الحزن واليأس والتمزق الذي أصاب التلاميذ بعد أن وضع يوسف الرامي ونيقوديموس جسد المسيح في القبر، المسيح الذي كان أملهم الأعظم وأمل فداء إسرائيل كلها. نعم لقد دُفن المسيح في القبر وهم واقفون من بعيد جداً ينظرون دفن آملهم بعيونهم، لقد انطفأ نور رجائهم الأخير لما أدركوا أن المسيح مات حقاً، فعادوا واجتمعوا سرّاً — خوفاً من اليهود — للتشاور، ماذا سيقولون للناس، وماذا سيكون ردهم على أسئلة كل الذين كانوا قد وضعوا أملهم أيضاً في يسوع؟... هذا الخوف وهذا الضعف وهذا الأمل المطفأ الذي أصاب التلاميذ عن فداء منتظر كان وشيكاً، هذه الصورة الحزينة هي نفسها الصورة التي كانت ستظهر بها كنيسة العهد الجديد عن المسيح الذي مات ولم يقم. لقد كان أمل التلاميذ الملتهب عن المسيح وهو حي «أن الملكوت سيظهر سريعاً» — على يديه — ولكن للأسف بعد أن مات أمام عيونهم تحول إلى أمل كامل مرثا أخنت لعازر الميت حينما قالت للمسيح: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (يو ١١: ٢٤). إيمان لا يسعف أي إنسان على جهاد أو كرازة من أي نوع.

تصوروا أيها الأحباء أن يكون هذا هو شكل الكنيسة، لو لم يكن المسيح قد قام، بولس الرسول تصور ذلك فصرخ في وجه الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالقيامة: «إن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام

المسيح وهو لم يقمه إن كان الموقى لا يقومون. لأنه إن كان الموقى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم. إذن الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشق جميع الناس، ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين» (١ كور ١٥: ١٣-٢٠).

من أجل هذا قد حرص المسيح بعد قيامته أن يؤكد لتلاميذه وللأخصاء حقيقة قيامته بكل البراهين الممكن أن يستوعبها عقل الإنسان بل وحواسه أيضاً، حتى إذا رسخت حقيقة القيامة صارت هي الأساس الذي ستنتقل منه الكرازة بالمسيح المصلوب من أجل خلاص العالم وبالموت الذي ماته فداءً لكل من يؤمن به لتكون له نفس الشركة في قيامة المسيح والدخول للحياة الأبدية. هذا التأكيد نجده واضحاً جداً في حديث الرب مع توما حينما دعاه الرب بمنتهى الوداعة واللطف دون أن يؤثبه على الكلام الذي قاله، وطلب منه أن يمد أصبعه ويتحسس موضع المسامير ويده أيضاً لتدخل بمجملتها في الجنب المفتوح، وقال له: «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٧).

كذلك كان الداعي الوحيد الذي يكمن وراء دعوة الرب للتلاميذ أن يذهبوا إلى الجليل بالذات لكي يروه ويتقابل معهم هناك، هو أن الرب يريد أن يترأى لهم في نفس الأماكن وبنفس الأوضاع المعروفة لديهم، ويتحدث إليهم في نفس الأماكن ذات الذكريات الحلوة، حتى يتحققوا نهائياً من استمرار وجوده بنفس الحب وبنفس الرعاية والمودة.

ولقد تدرج المسيح في إعلان قيامته كما جاء في إنجيل يوحنا من مجرد الظهور بهيئته الأولى لمريم المجدلية والنسوة، إلى الظهور بصورة إعجازية للتلاميذ وهم مجتمعون في غرفة مغلقة الأبواب وإعطائهم التحية المعتادة أن يسمعوها من فمه: «السلام لكم» مرتين، إلى حديث مطول ودعوة للمس جروحه، واشتراك معهم في العشاء بحيث يروه بعيونهم

وهو يأكل أمامهم من طعامهم ؛ ثم بعد أسبوع عاد وظهر لهم مرة أخرى خصيصاً من أجل توما . كل هذا صنعه المسيح ليحقق لهم وجوده الكامل بالجسد الذي صلب به ومات ، ولكي ينتهي بهم إلى إيمان وثيق أنه هو الرب بجروحه المميتة وقد قام من الأموات غالباً الموت ، وكسיד للحياة الآن بدأ يكمل معهم نفس الرسالة التعليمية الأولى قبل حوادث الصلب مضافاً إليها التكميل الذي تم بذبيحة موته على الصليب تكفيراً ومغفرة لخطايا العالم ، ثم القيامة من الأموات التي أكملها لإعطاء الإنسان بعد مغفرة خطايا حياته الأبدية التي لا موت فيها بعد .

ويضيف إنجيل لوقا نوعاً من التأكيد من جانب الرب مشدداً فيه على حقيقة ونوعية قيامته من الأموات أنها ليست قيامة بالروح بل قيامة حقيقية بالجسد ، بشيء من التأكيد والتشديد مُلفتاً للنظر جداً : « ما بالكم مضطربين ، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم ، أنظروا يديَّ ورجليَّ (القديس يوحنا البشير يضيف « وجني ») لأنه كان بجوار الصليب ورأى الطعنة بعينه) أفي أنا هو (إجوليمي εγω ειμι) جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي » (لوقا : ٢٤ : ٣٨ و ٣٩) . المسيح يؤكد أنه قام بلحمه وعظامه ، ولهذا يصرخ بولس الرسول في عمق فهمه لشركة القيامة مع المسيح وعمق رؤياه وإيمانه « إننا من لحمه وعظامه » ، أي أن قيامتنا الآن حقيقة كحقيقة قيامة المسيح نفسها التي رآها وعانها ولبسها التلاميذ وكل الشهود ، وهكذا نحن نرى في شهادة بولس هذه القوة والثابتة والمتيقنة بصورة إيمانية مذهلة مدى نجاح المسيح في إعلان قيامته للتلاميذ إلى الدرجة التي استطاعوا فيها نقل هذه الحقيقة الإيمانية للعالم كله والإنسان مثل بولس لم يَرِ الموت ولا رأى القيامة في حينها !!

وهذه القوة الجديدة المملوءة رجاءً وحياة وبراً وتقديساً ، المستمدة من قوة قيامة الرب مباشرة ، بدأت رسالة التلاميذ . ولكي يقتنع القارىء بخطورة وعظمة وسر هذه القوة الفائقة التي نالها التلاميذ ، فليلتفت القارىء إلى التصريح الخطير الذي صرح به المسيح للتلاميذ بعدما تيقن أن حقيقة القيامة وسرها الإلهي قد استقرت فيهم وملأهم فرحاً

وسلاماً إذ قال لهم وهو ينفخ فيهم الروح القدس: «فقال لهم يسوع أيضاً (ثانية) سلام لكم. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا». إذن فقد نال التلاميذ من روح القيامة قوة على الإرسالية من مصدر عال جداً من فوق من الله ومن شخص المسيح وبقدر موازي (ولا نستطيع أن نقول مساوي) لإرسالية الآب للمسيح نفسه «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا».

هنا نستطيع أن ننتبه لماذا أُلح المسيح في إظهار نفسه وإعلان قيامته بطرق ومواقف كثيرة، ولأشخاص كثيرين بتأكيد متلاحق حتى تصل روح القيامة إلى أعماق إيمان التلاميذ، لأنه بمجرد أن أدرك التلاميذ هذا السر وقبلوه كقوة في قلوبهم دخلتهم في الحال قوة وروح الإرسالية ليكونوا رسل المسيح بالقدر الذي يستطيع المسيح أن يكمل بهم إرسالية الآب له. روح القيامة هنا أحدثت تغييراً جوهرياً في كيان التلاميذ وعملهم ورجائهم وغاية حياتهم إذ حولتهم من خائفين من اليهود والرومان بسبب عار الصليب إلى مبشرين لليهودية والسامرة وأورشليم وروما وأقصى الأرض بالمسيح المصلوب والقائم من الأموات، لإعطاء العالم كله — كل من يؤمن — خلاصاً وحياة أبدية باسمه. هذا نسمعه واضحاً جداً في محاكمة بولس الرسول أمام رؤساء الكهنة والوالي الروماني: «على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم» (أع ٢٣: ٦).

ثم لا يفوتنا هنا أن نبرز حقيقة في غاية الأهمية تخص حياتنا كلنا وخلاصنا كلنا وأعمالنا وأخلاقنا وسلوكنا وكل أفكارنا ومبادئنا، وهي أن ما أظهره الرسل من الجبن والخوف حتى الإنكار والهرب منذ أول حوادث الصلب حتى النهاية بسلوك مشين وبخهم عليه المسيح بشدة واعتبره قلة إيمان وبطءاً في القلب مهيناً لقبول الحقائق الثابتة المعلنة سابقاً؛ كل هذا تغير في لحظة قبول حقيقة القيامة. لقد تحول التلاميذ إلى مبشرين بعار الصليب والمصلوب، حباً في خلاص أصغر النفوس إلى أقصى الأرض، بل تحول الخائفون من العار إلى شهداء أمام ولاة وملوك يدون الأيدي للصلب والرقاب للسيف بسلام وحب وفرح وكانهم سيذهبون إلى حفلة عرس.

القيامة وتغيير الأخلاق والسلوك:

الحقيقة التي نشدد عليها هي التغيير الجذري في الأخلاق والسلوك الذي حدث للتلاميذ نتيجة قبولهم حقيقة القيامة!! ماذا حدث، ولماذا حدث؟

١ — لقد تأكد التلاميذ بصورة قاطعة وثابتة جداً من ظهور المسيح وحديثه معهم أن المسيح حيٌّ وأنه سيبقى حياً إلى الأبد لكل الأجيال القادمة وسيكمل وجوده معهم امتداداً لوجوده السابق تماماً وبصورة أكثر فاعلية، هذا الشعور اليقيني باستمرار وجود الرب معهم ألهم قلوبهم وجعلهم يطربون من الفرح إذ لم يعودوا يرتكزون على أنفسهم في الحياة بل انطلقوا من ذواتهم إلى الذات الأعظم يتمادون في الشهادة بشجاعة منقطعة النظير، لا يخافون من تهديد أو وعيد أو ضرب أو سيف أو موت، هذا من جهة أنفسهم. لماذا؟ لأنهم خرجوا عن أنفسهم لما خرجوا من إحساسهم بوجودهم بمفردهم.

٢ — عندما تيقن التلاميذ أن الرب سيكمل وجوده بصورة دائمة معهم ومع الأجيال القادمة أدركوا تماماً أن كيانهم قد بدأ يرتبط بالكيان السري للكنيسة الذي سيبقى إلى الأبد من جيل إلى جيل والرب معها يؤيدها بوجوده كرأس مُدبِّر لها كما كان رأساً مُدبِّراً للتلاميذ كل أيام وجوده معهم. هذه اليقينية جعلت التلاميذ يشعرون بعمق الصلة التي تربطهم بالمسيح، هذا الشعور أخرجهم عن ذواتهم وجعلهم يبدأون بالكراسة فوراً وينطلقون بقوة لا تقاوم ونعمة مؤيدة حسب وعد الرب لهم، فصاروا يشهدون في كل العالم — لماذا؟ لأنهم ارتبطوا بالآخرين في شخص الرب.

٣ — رَبَطَ التلاميذ بين حياتهم وكيانهم في المسيح، وحياة المسيح في الكنيسة في كل الأجيال القادمة: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»، (مت ٢٨: ٢٠)، ومن هنا بدأ الشعور بالمسؤولية العظمى التي تكلم المسيح بخصوصها معهم مطوّلاً، فبدأ بقوله: «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» (يو ٢٠: ٢١)، ثم تيقنوا أن الإرسالية هنا لن تنتهي بحياة التلاميذ كقول الرب: «إلى انقضاء الدهر». هنا نشأ شعور طاعٍ بأهمية تسليم الإيمان كله مرة واحدة لكل الذين قبلوا الإيمان يهوداً وأُمَميين

بكل غيرة وكل إنكار ذات، إذ لم يكن همهم تكوين كراسي ورئاسات وأسماء وتيجان وأعداد، بل تسليم الإيمان نفس الإيمان بكل قوته وحرارته وثقله لضمان استمرار وجود الرب في الكنيسة، لأن وجود الرب واستمرار وجوده في الكنيسة هو غاية إيمانهم وغاية رجائهم وغاية سعادتهم. وهذا أيضاً بجد ذاته أعطى التلاميذ تجرداً من الذات منقطع النظر، ووضح بكل بيان — بمقتضى الحوادث والمحاکمات — مدى صدق إيمانهم هذا ومدى عمق التغيير الجذري الذي امتد إلى كل كيانه وسلوكهم.

٤ — كما أن روح القيامة أعطت التلاميذ مفهوماً آخر لمعنى الوجود والحياة في العالم بعدما قام المسيح أمامهم حياً بنفس جسده الميت سابقاً، إذ تغير الأساس الذي كانوا عليه يعيشون، فلم يعد العالم موطناً يعملون فيه لتثبيت وجودهم وسعادتهم من أمواله وأخذه وعطائه، ولا عادت أنفسهم ترتبط بالأرض التي أشقتهم فيما سبق، بل أدركوا بروح القيامة أنهم كانوا فعلاً أمواتاً في هذا الدهر ومُسْتَعْبِدِينَ لِإِلتِزَامَاتِهِ، والآن هم يعيشون لعالم القيامة أحراراً لا لحساب أنفسهم فيما بعد بل لحساب من مات من أجلهم وقام. فالمسيح صار وطنهم الذي يستمدون منه وجودهم وكيانهم وإسعادهم وكل آمالهم ورجائهم. هذا التغيير الجذري في العلاقة بالعالم أعطاهم سلوكاً روحياً تعافياً أدهش اليهود والرؤساء والملوك والعالم كله، هؤلاء الصيادون كيف صاروا أحكم من كل حكماء هذا الدهر، بل كيف صاروا أعلى من كل ما يُحزن ويُفرح في هذا العالم؟! ولكن السر الوحيد هو روح القيامة التي حوّلت نظرهم تحويلاً جذرياً من العالم إلى المسيح، من عالم الخطية والموت والفناء إلى عالم البر والقداسة والحياة الأبدية.

٥ — ولقد أحدثت القيامة حركة واحدة مذهلة داخل نفوس التلاميذ هي هي من نفس نوع الحركة التي أقامت الجسد المشخن بالجراح والنازف لكل دماؤه والميت تماماً دون أن يعتوره الفساد، إنها حركة المضادة العظمى التي دخلت العالم فأذهلته وغيّرت طباعته: أن يجتمع الموت والحياة معاً، أن يجتمع عار الصليب وهوانه مع فخر القيامة ومجدها. ولكن في مفهوم بشري نقول إن حركة القيامة أدخلت في عمق أعماق الضمير

لدى التلاميذ إمكانية اجتماع الألم مع تمجيد الله، هذا هو سر السلام الذي يفوق العقل الذي سكن قلب التلاميذ!!

إنها الحركة التي أعوزت العالم بكل رسله وأنبيائه إلى ما قبل القيامة. لقد نجح التلاميذ والقيامة حاضرة أمامهم، أن يحتضنوا سر الألم مع سر المجد معاً وفي جسد واحد وفي ضمير واحد بروح القناعة بل الرضى بل الشكر بل الفرح، فكان السلام وكان الفرح الذي لا يمكن أن ينزع منهم.

هذا يعتبرياً أحباي البذرة السرية التي تنبثق منها كل إمكانية التغيير في الأخلاق والسلوك؛ بل وكل أساس لتجديد الطبيعة البشرية التي تقوم على المصالحة بين الضعف والهوان والإستسلام للظلم حتى الموت بروح الصليب من ناحية مع الشموخ والثقة والتفوق بروح القيامة من الناحية الأخرى.

إن روح القيامة جمعت وصالحت المضادات والمستحيلات وعملت منها طبيعة جديدة للإنسان يمكن أن يرتقي بها إلى سماء السموات.

لقد جمعت القيامة بين الإنهزام واليأس والفشل المحقق بحسب الظاهر وبيد الإنسان، مع النصر والرجاء والنجاح الذي لا يُحْدُ بحسب الجوهر وبيد الله!!

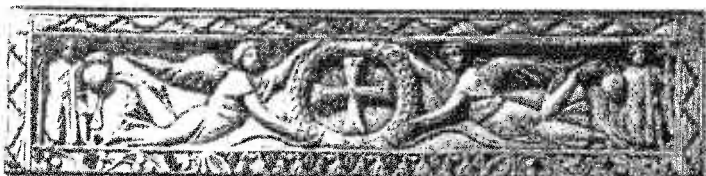
لقد صنع المسيح بالصليب وموت العار أول حِدٍ للمعادلة الصعبة بل المستحيلة لخلاص الإنسان بدفع ثمن خطايه، وأكمل بالقيامة في اليوم الثالث الحد الثاني لهذه المعادلة المستحيلة، وأكمل بالفعل خلاص الإنسان بإعطائه الطبيعة الجديدة غير المائتة فيه ليحيا بها مع الله إلى الأبد.

لقد دخل التلاميذ بكل كيانهم حُدًى هذه المعادلة المستحيلة عندما آمنوا بصليبه وقيامته فبلغوا سر التغيير بالقوة الإلهية إن كان في الأخلاق أو السلوك، فأكملوا رسالة المسيح بالآلام دون أن يفقدوا سلامهم أو فرحهم أو رجاءهم لحظة واحدة لأن عيونهم كانت نحو القيامة.

ثم فليلاحظ القارئ جداً أن المسيح لم يترك لتلاميذه قوانين محددة، ولا فرائض، ولا نصوص أقوال، ولا توصيات مكتوبة لتكون أساساً لبناء كنيسة الدهور وجميع الأجيال. كل ما سلمه المسيح لتلاميذه هو قوة قيامته مع شخصه الحي، ووجوده الدائم كقائم من الأموات.

وهذه القوة الهائلة التي كانت أساس كل البشارة في العالم كله وأساس التغيير والخلاص لكل شعوب الأرض والتي من أجلها جن جنون اليهود وعملوا المستحيل لكي يطفئوا جذوتها، فاضطهدوا التلاميذ ثم حاكموا بولس أكبر المبشرين بقيامة الرب: «على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم» طالبين موته بكل جهد؛ ولكن بالنهاية انطفأوا هم وبقيت القيامة النور الوحيد الذي يمد العالم بقوة جديدة للكراسة كل صباح.

(١٩٧٨)



الإيمان بالمواعيد

قبل القيامة: «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» (مر ١٤: ٢٨).
بعد القيامة: اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم» (مر ١٦: ٧).

حينما ابتدأ الرب يفتح تلاميذه جهراً بقرب الساعة والآلام، والموت الذي ينتظره على الصليب، ابتدأ الحزن يخيم على التلاميذ مع كآبة مرة؛ لاحظ الرب ذلك وقال لهم: «لأنني قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم؟ إنه خير لكم أن أنطلق...» (يو ١٦: ٦ و٧)، «وعندكم الآن حزن، ولكني سأراكم أيضاً فتنزع قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢)، «كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب إني أضرب الراعي فتتبدد الخراف. ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل»! (مر ٢٧: ١٤ و٢٨).

لقد نسي التلاميذ هذا الوعد، ويا لتعاسة الإنسان إذا نسي وعد الله، فإن فرجه لا يثبت، بل سرعان ما ينزعه العالم منه. وإيمانه يكون دائماً في مهب الريح ونهباً للشكوك والمهاجس والأحزان.

لقد سألتني واحد من الرهبان مرة عن كيف يتقوى الإيمان؟ فقلت له في الحال:
باتمسك بمواعيد الله!! فالتمسك بمواعيد الله هو الوقود الذي يشعل حرارة الإيمان!

ولكن إن كان التلاميذ قد نسوا هذا الوعد، فالملائكة الذين ينفذونه لا يمكن أن ينسوا الوعد أبداً لأنه عملهم. فأول حديث دار بين الملائكة وبين البشر بعد قيامة الرب كان مباشرة تذكيرة بوعده الرب! هذا هو عمل الملائكة الذين لا يكفون عن معونة المختارين: «ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندھشن، فقال لهن لا تندھشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم» (مر ١٦: ٥-٧).

أما الرب فسرته الشخصية أن يحقق مواعيده مع أحبائه حتى يملأ الفرج قلوبهم — كقوله — ولكن بعد ليل من الإمتحان طويل ومظلم مليء بالشكوك والأحزان حتى إلى ملء اليأس من الحياة، كقول القديس بولس الرسول: «حتى يشنا من الحياة» (٢ كو ٨: ١٠)؛ ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم»، «اذهبا قولاً لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (مت ٢٨: ١٠).

ولكي نعرف كيف نتمسك بمواعيد الله، يلزم أن نفهم معنى «الوعد» في الكتاب المقدس. فالعجيب أن هذه الكلمة لا توجد في العهد القديم على الإطلاق. فكلمة الوعد *ἐπαγγελία* غير مستخدمة في العهد القديم بعكس ما كنا نتوقع، لأن القديس بولس الرسول استخدمها بإفراط حتى رسخ في ذهننا أن العهد القديم مليء بمواعيد الله، وأنه كله يخدم وعد الله.

ولكن الذي يحل محل كلمة «إپانجليا» في العهد القديم هو «يقول الرب» أو «كما قال الرب»، وبالعبرية «آمار أي قال». وكذلك كلمة «ديبير» أي تكلم. ففي هاتين الكلمتين يكن المعنى الكامل للإپانجليا أي «الوعد» بكل قوته. وهذا يرفع بالفعل أمامنا كل العهد القديم، الذي هو قول الرب وكلامه، إلى مستوى الوعد والمواعيد الصادقة النافذة بكل كلماته أو حروفه حتى حرف «اليوتا». كما يقول الرب يسوع «الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من التاموس حتى يكون الكل» (مت ٥: ١٨).

ونكتشف هذا العمق في المعنى من كلام داود النبي: «والآن أيها الرب الإله أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته، وافعل كما نطقت» (٢ صم ٧: ٢٨).

وهنا ينتبه ذهننا في الحال إلى سبب التأكيد الذي أكد به الملك رسالته للنسوة الباقيات أمام القبر الفارغ، «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم» (مر ١٦: ٧). فكأنما الملك يريد أن يفتح بصيرة التلاميذ على أن الوعد قد تحقق لأنه لا بد أن يتحقق، لأن كلمة المسيح هي كلمة الله «كما قال لكم».

١ — ومن هنا إذا عدنا إلى الإنجيل، نجد الرب نفسه طالما حاول أن ينبه ذهننا أن كل ما يقوله هو وعد أبدي وهو كلمة الله المحتم تنفيذها، وذلك بقوله: «آمين آمين أقول لكم»، وهي التي تساوي في قوتها وفي فعلها المحقق ما جاء في العهد القديم: «هكذا الرب تكلم» أو «هكذا يقول الرب». وقد زاد المسيح من كشف قدرة كلمته على النفاذ حينما قال: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣).

وهنا أيضاً يجدر بنا جداً أن كنا نطلب إيماناً حياً نافذاً، أن نعود إلى الإنجيل ونلتقط كل كلمة من كلام المسيح وكل قول من أقواله، ونرفعه داخل قلوبنا إلى مستوى الوعد الأبدي ونتمسك به حتى الموت، حسب رؤية داود النبي وبصيرته النافذة في قوله: «أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به... وافعل كما نطقت»!!

٢ — كذلك إذا عدنا إلى المضمون الإلهي لكلمة الوعد *επαγγελία*، وما يرادفها في العهد القديم «هكذا قال الرب»، نجد أن قوة «الوعد» الكائنة في «هكذا قال الرب» تحققت دائماً على المستوى الواقعي برؤية الله أو سماع صوته سواء كان مع إبراهيم أو إسحق أو يعقوب أو صموئيل أو داود، الاعتبارين من جهة الخلاص آباء الموعد! ولكن كانت رؤية الله في العهد القديم على مستوى الظهورات الشخصية المحدودة وبصورة

رمزية، وهذه كلها قيل في العهد القديم نفسه أنها كانت تمهد لظهورات المسيح المخلص علناً: «ويراه كل بشر» (إش ٤٠: ٥).

لذلك، بكل ارتياح نستطيع أن نربط بين هذه الآية التي تبدو لنا صغيرة غاية الصغر «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه، كما قال لكم»، وبين كل مواعيد الله في العهد القديم، بل كل ما سجّله الوحي تحت كلمة «هكذا قال الرب» أو «الرب تكلم» بخصوص نية الله في الخلاص.

هنا تم جميع النبوات وتحقق جميع مواعيد الله وكلماته التي نطق بها بالروح على فم أنبيائه وقديسيه منذ الدهر، فقد أكمل الخلاص إكمالاً، وتحقق الوعد في صميم الزمن، ورثي المخلص علناً، قائماً من الأموات. هناك في ربوع الجليل المدعوج لجليل الأمم تمت كلمات الله منذ البدء حيث تراءى الرب للأحد عشر رؤيا العين واللمس، وخمسمائة أخ مرة واحدة، وللمقدّيس بولس الرسول في نصف النهار بمجد أكثر لمعاناً من الشمس، هؤلاء صاروا شهود صدق للقيامة ولرؤية المخلص شخصياً بكل مجد الله. وصار حقاً «الله معنا»!! وصارت القيامة من الأموات معجزة الإنسان الجديد، منظورة وملموسة في شخص الرب المقام.

هكذا يشهد بولس بهذا الحق الأبدي بكل قوة وغيره أمام الملك أغريباس وكل رؤساء الكهنة واليهود المجتمعين لمحاكمته: «والآن أنا واقف أمامكم على رجاء الوعد الذي صار من الله لأبائنا. الذي أسباطنا الإثنا عشر يرجون نواله عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً. فن أجل هذا الرجاء أنا أمامكم من اليهود أيها الملك أغريباس... وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون، إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزماً أن ينادي بنور للشعب وللأُمم!!... وأنا قائم أمام الجميع من جهة هذا القول الواحد الذي صرخت به واقفاً بينهم إني من أجل قيامة الأموات أحاكم منكم اليوم» (أع ٢٦: ٦-٣٢، وراجع أيضاً ص ٢٤ كله).

من هذا كله يتضح أماننا لماذا صمم الرب أن يتراعى لتلاميذه وللكتيرين ، لأن بظهوره علناً يتم كل وعد الله وتحقيق المسيح الوجود والمسيرة الدائمة لله بين بني البشر، لأن قيامته من الأموات هي هي بمثابة رؤية الله نفسه التي وعد بها «من رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، بل وأيضاً وجوده ومسيرته الدائمة مع بني البشر: «أسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٢ كو ٦: ١٦).

ولزيد من النور والوضوح يشرح لنا القديس بولس الرسول مدى الإرتباط العميق والهام جداً بين رؤية الرب في الجليل لكثيرين حسب سابق وعده: «كما قال لكم»... «أسبقكم إلى الجليل»، ليكونوا شهود قيامته، وبين بناء الخلاص بكل أبعاده وأعماقه!!

إسمع كيف يربط القديس بولس الرسول ، وكيف يوضح تحقيق كل أسرار مواعيد الله العظمى والثمينة برؤية يسوع المسيح قائماً من الأموات على يد شهود: + «من نسل داود هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلّصاً يسوع،... لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تتموها إذ حكموا عليه... ولكن الله أقامه من الأموات وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب. ونحن نبشركم بالموعود الذي صار لأبائنا، أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع... بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى» (أع ١٣: ٢٣-٣٩).

نعود مرة أخرى «لوعده المسيح» لتلاميذه قبل الصلب أنه سيسبقهم إلى الجليل بعد قيامته، ثم إرساله الملاك بعد قيامته مباشرة ليدكرهم بوعده السابق هذا لكي يتوجهوا إلى الجليل حيث رأوه هناك بالفعل، وصاروا شهوداً له في العالم أجمع.

وهكذا نؤكد للقارىء أن هذا «الوعد» عينه نحن الآن نعيش في ملء تحقيقه بكل

فعاليتها وفي ملء قوته ونعمته ، لأن إيماننا بالمسيح إنما يعتمد أساساً على هذه الشهادة عينها التي نقلها لنا التلاميذ الذين عاينوه وبولس الرسول الذي رآه في السماء ، ووصفوا لنا ما رأوه بكل دقة واهتمام وأمانة : « وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح » (١ كور ١٥: ١٥ و ١٤).

هكذا قد صار التزاماً علينا نحن أيضاً أن نؤمن بقيامة الرب على مستوى إيمان التلاميذ تماماً ، بل ونؤمن بظهوره وبكل ما أظهره الرب من جسده المجروح والمطمون وكأننا رأيناه ولمسناه بالفعل مثل توما والأحد عشر ، هذا الالتزام نستشفه بكل خوف وانتباه من قول الرب وتعنيفه لتلاميذه « أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام » (مر ١٦: ١٤).

فإن كنا نؤمن حقاً بهذه الشهادة التي يقدمها لنا التلاميذ ولم نقسّي قلوبنا تجاه البشارة المفرحة ، فنحن ننال حتماً كل ما ناله التلاميذ بهذا الإيمان : « بهذا يناذى لكم بغفران الخطايا . وهذا يتبرر كل من يؤمن » .

التلاميذ هنا لا ينقلون لنا تعليماً أو نظرية عن الخلاص والتبرير ، ولكن ينقلون لنا خبرتهم التي نالوها والتي عاشوا فيها ، فألهبت قلوبهم ولم يهدأوا حتى أوصلوها للعالم كله . هم لم ينالوها إلا بإيمان الرؤيا والعيان للتأكيد ، بسبب عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم كما وبخهم الرب ، ثم سلموها لنا بالخبر أي بالكلمة المنطوقة بالروح القدس فازداد إيماننا جزاءً وطوى : « طوى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠: ٢٩) . ثم أسسوا إيمانهم بالموت والقيامة ، بالنظر واللمس ، ونحن ننال إيماننا بالآمين التي نقولها في نهاية كل إفخارستيا !! مبشرين بالتالي بموته ومعترفين بقيامته .

فإن كان سر القوة في إيمانهم عندما تحقق لهم وعده المسيح وسبقهم إلى الجليل فرأوه ، فهولا يزال أيضاً سر قوة إيماننا ، بهذا الوعد عينه ، عندما نستعلنه لا بالعين بل بإيمان

التسليم القلبي، في يقين الثقة بأمانة الذي وعد!!

ومن جهة هذا الإيمان بالخبر الذي ورثناه عن إيمان العيان، القائم على خبر اليقين والثقة في الذي وعد؛ ينبه قلبنا القديس بولس الرسول أن هذا الإيمان هو مصدر عزائنا القوي، وذلك بوصف غاية في الحكمة والفطنة وبإتقان مبدع في قوله:

+ «لما وعد الله إبراهيم إذ لم يكن له أعظم يقسمُ به، أقسم بنفسه، قائلاً إني لأباركك بركة وأكثرتك تكثيراً، وهكذا إذ تأتّى — إبراهيم — نال الموعد... ولذلك إذ أراد الله أن يُظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد (لنا نحن) عدم تغير قضائه توسط بقسم، حتى بأمرين عديمي التغير (الوعد والقسم) لا يمكن أن الله يكذب فيها، تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنفسك بالرجاء (الإيمان غير المنظور بالآتي) الموضوع أمامنا الذي هو (أي الرجاء) لنا كمرسة (يعني الهلب) للنفس، موثمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب (أي أن رجاءنا بتكميل الخلاص عند الله في السماء أصبح بالنسبة لنا هو بمثابة ربان السفينة وهو يلقي بكل ثقة واتكال بالهلب — الرجاء — في قاع لجة البحر غير المنظور الذي يشبه القديس بولس بما هو غير منظور داخل السماء، فيجد ربان السفينة السلام والإطمئنان والعزاء بالنجاة)، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا (الهلب الإلهي لمركبنا البشري)» (عب ١٣: ٦-٢٠).

هذا وصف وتشبيه في غاية الإبداع، فإيماننا الآن قائم على الرجاء بغير المنظور الذي أكمله وسيكمله المسيح عنا، ولكن بثقة وثبات و يقين. فكما أن الهلب إذا ألقاه ربان السفينة في البحر يدخل ظلمة لجة البحر غير المنظور ويرسو على القاع فيكون سلام وثبات ونجاة للمركب — طالما كانت المركب مشدودة شداً ثابتاً متيناً بالهلب — هكذا صار رجاءنا ونحن متغربون هنا في هذا العالم، ولكن مشدودين ومثبتين في السماء بواسطة الرب يسوع الذي اخترق الحجاب الفاصل بين هذا العالم والعالم الآخر غير المنظور لنا، فدخل داخل الحجاب إلى الأقداس العليا غير المنظورة وغير المدركة ونحن مسموكون فيه، فوجد لنا فداءً أبدياً (عب ٩: ١٢).

فلأننا مشدودون وثابتون في المسيح، صرنا نستمد منه سلامنا وثباتنا يوماً بيوم بل كل دقيقة في وسط لجة هذا العالم المضطرب.

أما واسطة الثبوت والارتباط بالمسيح الذي صار مرسة إيماننا ورجائنا، فهي المواعيد التي ورثناها والتي هي أصدق من كل ما يمكن أن نتكل عليه في هذا الدهر، لأن هذه المواعيد قائمة أصلاً — كما يقول بولس الرسول — على أمرين عديمي التغير لا يمكن أن الله يكذب فيها: الوعد والقسم !!

من أجل هذا صار التمسك بمواعيد الله هو بمثابة تصديق وعد الله وتصديق القسم الذي أقسمه، وبالتالي تصديقه شخصياً. وهذا مجد ذاته كفيل بأن يشعل إيماننا إشعالاً، لأنه ارتباط سري بالله على أعلى مستوى يهيئ للإنسان فرصة «المسك» بالله عن طريق مواعيده. هذا هو جوهر الإيمان، وهذا هو طريق الدخول الدائم إلى حضرة الله بواسطة يسوع المسيح الذي فيه تحققت كل مواعيد الله.

+ «لأن كل مواعيد الله فيه هي النعم والآمين لمجد الله بواسطتنا (البشارة). ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله... أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته (الرباط الجديد الذي ارتبط به الله معنا الذي لا يمكن أن ينحل أو ينقطع) بالموت، ليحضركم (بهذا الرباط) قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه. إن ثبُتم على الإيمان (أي الارتباط بالمسيح) متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل (مرسة النجاة، كلمة الخبر بالبشارة)» (٢ كو ١: ٢٠ و ٢١، كو ١: ٢١-٢٣).

التمسك بمواعيد الله مصدر قوي للتعزية:

وهكذا كما بلغت فرحة التلاميذ ذروتها لما رأوا الرب في الجليل بعد قيامته يسير بينهم ويُعزِّي قلوبهم وهُدًى عواطفهم، هكذا وبنفس المقدار يفتح لنا باب العزاء نفسه وبقوة أكثر عندما نبغ حالة التصديق القلبي لما جرى في ربوع الجليل وبكل ما حدث

أمام التلاميذ ونسترجع جميع مواعيد الله التي أكملها المسيح في نفسه من أجلنا .

فحينما قال الرب : « اثبتوا فيَّ » (يوه ١٥ : ٤) ، لم يترك الدعوة لتكون من جانب واحد كمعادلة ناقصة تحتاج منا إلى جهد ، كأن نطلع إلى السماء لنحذر المسيح ، بل استطرد المسيح وقال : « اثبتوا فيَّ وأنا فيكم » . نعم ، فالتمسك بالمسيح لا يكون قط من جانب واحد ، فالرب ماسك بنا يشدنا إليه بقدر ما نسلّم أنفسنا له بالإيمان . فالرب هو الذي دعا التلاميذ لرؤيته ، فسارع التلاميذ إليه .

وهكذا بقدر ما نشق في مواعيده نناها ونصير ورثة مع الذين أعطيت لهم ، بكل استحقاق ، هم بالبيان ونحن بالإيمان !!

وبالنهاية نجد أن التمسك بمواعيد الرب يُدخلنا معه في ثبوت متبادل ينتهي إلى عزاء قوي وفرح دائم ، وهذا يجعلنا شهوداً صادقين للقيامة .
(١٩٧٨)

بين الإيمان والرؤيا «طوبى للذين آمنوا ولم يروا»

لا يزال عالماً في أذهان كثير منا أن الإنسان الذي يكشف الله عن عينيه ليرى ملائكة أو قديسين أو شخص الرب نفسه، يكون ذا امتياز فائق، ومن أجل هذا تلتهب قلوبنا في شوق ورجاء كثير كل يوم بحزن ودموع أن נוّهل لرؤية وجه الرب أو أن نقرب إلى استعلاننا لنستمتع بأقصى سعادة نتصورها .

وفي الحقيقة لم يترك الرب لنا هذا المجال بهذه الصورة السالبة المحزنة، التي يبدو فيها الحرمان من رؤية المسيح هوي الغالب الصورة العامة بين المؤمنين .

لذلك حرص الرب عندما شك توما في قيامته من بين الأموات أن يوضح لتوما ولنا أن إمكانية الرؤيا لقيامته ولشخصه أمر ميسور وهو يعطيه لمن يشاء، وقتاً يشاء بحسب الحاجة الماسة إلى هذا الإستعلان .

وعلى أساس هذا ظهر الرب في اليوم الثامن من قيامته خصيصاً لتوما، وأعطاه كل ما ألح عليه حتى يكتمل إيمانه ويكتمل إيمان الرسل جميعاً الذين ستوضع عليهم مسئولية الكرازة، فقال له : هات أصبعك ياتوما وألمس جروحي، وهات يدك وضعها في جني «ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» ، ثم استطرد الرب مباشرة — دون أن يوبخ توما على هذا التخاذل في الإيمان بقيامة المسيح ووضع شروط الرؤيا العينية واللمس باليد للإيمان — قائلاً : «لأنك رأيتني ياتوما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» .

وهنا يقصد الرب بـ«الذين آمنوا»، التلاميذ والأحباء في ذلك الوقت أو من جميع الأجيال الذين سوف تمتد بهم الأيام إلى أواخر الدهور. هنا نجد أن الرب يوافق على الرؤيا العلنية والملموسة أيضاً لقيامته، ولكن يعود ويضع الإيمان بدون رؤيا على مستوى أعلى!!

هذه في الحقيقة يمكن أن نعتبرها بكل يقين وثقة أنها آخر وأعظم طوى أو بمثابة ختام النعمة العظمى التي منحها المسيح للكنيسة، فقد منح الرب قبل الصليب ثماني تطويبات مختار به (في إنجيل القديس متى)، وأضاف عليها سبعة تطويبات أخرى في مناسبات أخرى، وأبقى هذه الطوى بعد القيامة لينحها لكنيسة الدهور الآتية كلها: «طوى للذين آمنوا ولم يروا».

ونحن إذا تعمقنا موضوع الرؤيا من الناحية الروحية سواء في الجهاد النسكي أو التصوفي بالتأمل، نجد أن غاية المفهوم العملي والإنجيلي لرؤية الله في شخص المسيح رؤية علنية يعني الوصول إلى حالة إدراك الله في ذاته، ومعروف بوجه التحديد القاطع أن الله غير مدرك إدراكاً كاملاً إلا من ذاته، أي أن الله وحده هو الذي يدرك ذاته، فالله لم يره أحد قط إلا الإبن وحده الذي هو في حضن الآب وهو الذي رأى وخبر.

لذلك يقول المسيح بغاية الوضوح والدقة أن لا أحد يعرف الإبن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن. ثم يستطرد المسيح لكي لا يغلق على الإنسان في الجهل الكلي بالله، فيقول: «ومن أراد الإبن أن يعلن له» (مت ١١: ٢٧)، أي أن الله يمكن أيضاً أن يصير مدركاً لدى الإنسان إنفا جزئياً وبالقدر الذي يعطيه الإبن حسب مطلق مشيئته، بالإعلان الذي يعطيه من ذاته، وبواسطة الروح القدس، وفي حدود إمكانية الإنسان الروحية وقدرته على الأخذ والقبول والتصديق. وذلك يكون غالباً لسبب خاص يراه الرب ضرورياً، لأن الروح يعطي كل واحد كما يشاء كما قسم لكل واحد من إيمان؛ ويؤكد المسيح أن ذلك يكون بواسطة الروح القدس: «يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٤).

هنا تدور الرؤيا كلها حول معرفة الله وإدراكه التي تنتهي بمحصلة واحدة، سواء في العهد القديم أو العهد الجديد أو في تاريخ الكنيسة أو حياة جميع قديسيها، وهي أن رؤيه الإنسان لله محدودة جداً ولم تبلغ قط إلى حد الإدراك الكامل، وأنها لا تأتي إلا بحسب إرادة الرب يسوع: «ومن أراد الابن أن يعلن له» (مت ١١: ٢٧). هذه الآية توضح محدودية هذا الاختبار جداً، بعكس الإيمان الذي جعله الله إلزاماً: «من ينكر الابن ليس له الآب» (١ يوح ٢: ٢٣)، «من لم يؤمن بالابن يمكث عليه غضب الله» (١ يوح ٣: ٣٦)، «ومن لم يؤمن يُدَن» (مر ١٦: ١٦).

وهنا نأتى إلى دعوة الله للإيمان بالمسيح بدون رؤيا، ونسأل لماذا أعطى المسيح التفوق للإيمان به بدون رؤيا على الإيمان به الذي تم بالرؤيا على مستوى توما؟

هنا المسيح لا يتعطف على المستوى الأقل (الإيمان بدون رؤيا)، و يعطيه الطوبى لكي يساويه بالمستوى الأعلى (الإيمان بالرؤيا)، ولكن المسيح أعطى الطوبى للإيمان بدون الرؤيا على أساس، وبناءً على أصول وحقيقة وقانون إلهي وهو أن الإيمان البسيط بشخص الرب يمكن أن يبلغ بالإنسان في كل الأمور المختصة بالله إلى حد متفوق جداً على الرؤيا.

فالإيمان البسيط الواثق بالمسيح يبلغ بالإنسان إلى قبول المسيح قبولاً كاملاً و كلياً في ذاته «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (فيه)» (يو ١: ١٢)، أي يصير شخص الرب في صلة قلبية داخلية دائمة في ضمير الإنسان تزداد كل يوم عمقاً واختباراً حتى تصل إلى حد صلة العروس بالعريس، أي الاتحاد السري أو زيجة النفس بالمسيح حيث تصبح النفس مملوكة كلياً له، فتصير النفس مع الرب روحاً واحداً «أما من التصق بالرب فهو روح واحد» (١ كو ٦: ١٧)، حيث لا تعود النفس تحيا من ذاتها بل تحيا من المسيح وبالمسيح حتى إلى الدرجة التي يصير فيها المسيح هو الذي يحيا فيها.

هنا الالتصاق بالرب، أو حياة الرب داخل النفس الذي يُعبر عنه القديس بولس الرسول والذي سبق وعبر عنه الرب يسوع بالثبوت المتبادل فيه، والحياة المتبادلة معه؛ هذه الحالة من الاتحاد والحب ارتفع بها المسيح إلى درجة فائقة في سر الجسد والدم إذ جعلها تبلغ حد أكله وشربه. فليس هو التصاقاً وحسب بل اتحاد عميق. هنا استعاض المسيح عن رؤيا العين ولمس اليد لجسد قيامته كواسطة للتحقق من شخصه أو لبلوغ حالة معرفة وإدراك له: «ربي وإلهي»، استعاض عنها بوسيلة أخرى متاحة للجميع وهي أنه يعطي شخصه كله سراً وبجاناً لكل إنسان للإيمان به!! لا على أساس الرؤية بل على أساس تغميض العين وفتح الفم لتتناوله داخلياً بالإيمان بدون عيان «من يأكلني يحيا بي»، «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يو: ٥٦ و٥٧).

هذا كله يجمعه القديس بولس الرسول دائماً في هاتين الكلمتين: «آمن... فتخلص».

هنا الإيمان هو على أساس قبول المسيح الكلي بالسر الممنوح لنا، سواء المعمودية أو الجسد والدم. لذلك فإن استجابة الإيمان الصحيح تكون بالإلحاح المباشر لقبول المعمودية، واستجابة المعمودية هي قبول الجسد والدم؛ إذ بمجرد أن يفتح قلب الإنسان بالإيمان يظل هذا الإيمان فعالاً كقوة سرية لا تهدأ حتى يبلغ الإنسان حالة التبنّي لله في شخص المسيح.

إذن فكلمة «آمن فتخلص» لا تعني ببساطة أن مجرد الإيمان القلبي يوصلنا إلى حالة الخلاص، لأن الخلاص الكامل يستحيل بلوغه إلا ببلوغ حالة قبول المسيح قبولاً كلياً وشاملاً؛ أي التصاق بالقلب، واتحاد بالسر، واعتراف دائم بالفم!! من واقع حياة جديدة وعلاقة عملية تُعبر عن اتحاد زيجي لا ينفصل.

وهذا يتم:

أولاً: بالمعمودية للموت والقيامة مع المسيح، أي بالميلاد من فوق، لنكون من لحم

المسيح وعظامه وحتى نكمل شركة الموت والقيامة معه .
ثانياً : بأكل الجسد والدم لقبول حياة متجدده .
ثالثاً : بالتمسك بالإعتراف بالمسيح إلى آخر نسمة من حياة الإنسان .

ولكن الرؤية بالعيان أو حتى بلمس اليد لجروح المسيح القائم من الأموات لا يمكن بل ومستحيل أن توصلنا إلى حالة قبول المسيح قبولاً يبلغ إلى حالة اتحاد زيجي ، لقد أنشأت هذه الرؤيا عند توما مجرد اعتراف بحقيقة الرب : « بني وإلهي » .

بل والأكثر من ذلك أن التلاميذ عندما رأوا الرب لأول مرة في العلية عشية قيامته وسمعوا صوته وهو يحيمهم بلهجته المعهودة : « سلام لكم » ، لم يصدقوا أنه المسيح ، بل شكوا كلهم وقالوا أنه روح !!

إذن فالرؤيا للرب نفسه مهما كانت صحيحة وواقعية ومسموعة ، إلا أنه قد يصاحبها شك وعدم تصديق !

وهكذا تظل الرؤيا ، مهما كانت صحيحة ، في حاجة إلى إيمان لكي يتم التصديق ويتم القبول . لذلك فإن المسيح بعدما أظهر نفسه لهم ابتداءً يوبخهم على عدم إيمانهم لأنهم لم يصدقوا أخبار قيامته !

من هذا نرى لماذا شدد الرب على الإيمان أكثر من الرؤيا : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » ، إذ وضع تماماً أن رؤية الرب نفسه واقفاً ومتكلماً بشخصه لم تسعف التلاميذ لكي يؤمنوا به أو حتى يصدقوه ، بل شكوا !

فواضح الآن أن بالإيمان الوثائق وحده نبليغ إلى حالة قبول شخص الرب الحي قبولاً كاملاً بكل يقين ، أعظم من يقين الرؤيا واللمس ، وذلك بالحب الفائق الذي يلهب قلوبنا كل يوم لنفوت له ونحميا له ؛ ليحيا هو فينا بسر الفائق ، فنستمتع بوجوده ونتحد به كاتحاد العروس بالعريس بفرح هو أبهج من فرح عروس وعريس ، وذلك كله دون أن

نراه رؤيا العين كما يقول القديس بطرس الرسول: «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد، نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس» (١ بط ١: ٨ و٩).

واضح هنا من كلام القديس بطرس، أن الرؤية العلنية للرب صارت بعد تأكيد الرب لتوما: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا»، صارت خارجة عن منهج حياة الإيمان بالرب يسوع في الكنيسة، أي صارت ليست من مستلزمات الإيمان. ثم واضح أيضاً أن الرؤية العينية إذا امتنعت، لا يمكن أن تمنع الإيمان. كما أنه واضح من كلام القديس بطرس ومن سيرته كلها أن الرؤية إذا جاءت لا تزيد الإيمان المتأصل في القلب أو تكمله شيئاً، ولكنها أي الرؤيا إذا جاءت بعد إيمان فهي تكون دعوة لرسالة عاجلة وخطيرة.

كذلك واضح لنا من كلام القديس بطرس الرسول باعتباره أكبر وأخطر إنسان اختبر الشك واختبر الرؤيا، ثم بعدها اختبر الشك أيضاً، ثم اختبر الإيمان وانتهى إلى تقرير هذه الحقيقة الإيمانية التي هي إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها علاقتنا بالمسيح: أن الإيمان بدون الرؤيا يمكن أن يبلغ إلى حالة حب صادق للرب «الذي وإن لم تروه تحبونه». ثم أن هذا الحب القائم في سيرة الإيمان الصادق قادر أن يبلغ بنا حتماً إلى حالة من الإبتهاج تفوق العقل والمنطق، إذ ليس لها من سبب يراه أو يعقله الإنسان، بل هي حالة إبتهاج بواقع غير منظور وغير محسوس هو في الحقيقة قائم على سر وجود الرب نفسه داخل القلب «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة» (أف ٣: ١٧ و١٨).

ثم يتوج القديس بطرس هذا الاختبار الروحي العجيب القائم على الإيمان والحب والإبتهاج بدون رؤية عينية على الإطلاق، بأنه يبلغ بنا حتماً إلى حالة كرازة لخلاص الآخرين، لأن فرحة الإيمان بالرب و يقين الإبتهاج بقيامته هي أعظم بشارة بقيامة الرب نقدمها من واقع حياتنا يمكن أن تؤثر جداً في الخطاة فتجذبهم للحياة الأبدية.

فالتلاميذ — بعد أن عبروا على منطقة الشك والخوف وعدم التصديق وهم في واقع الرؤية العينية لشخص الرب واقفاً أمامهم — دخلوا في يقين الإيمان بالقيامة كعطية فائقة من الرب، وفي الحال دخلهم فرح وابتهاج يقول عنه القديس بطرس الرسول كمخبر أنه «لا يُنطق به وبمجيد»، وذلك كنتيجة حتمية للإيمان بالقيامة.

ومن واقع هذا الإبتهاج والفرح الدائم الذي غمر حديثهم وسلوكهم وكل حياتهم صاروا بالتالي رسلاً للإيمان بالقيامة من الأموات، لتوصيل هذا الإيمان عينه بكل ابتهاجه لخلاص الآخرين.

وأصبحوا بسر سلوكهم هذا المملوء من الفرح والابتهاج في الإيمان بالقيامة يجتذبون بدون جهد ألوف الخطاة إلى التوبة والإيمان بالمسيح، «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام (الإفخارستيا) بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله، وهم نعمة لدى جميع الشعب، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أع ٢: ٤٦ و٤٧).

(١٩٧٨)

« يا سمعان بن يونا أتحنيني ؟ »

(يو ٢١: ١٥) (١)

كان ذلك بعد القيامة ، حينما استبطأ بطرس مجيء الرب إلى الجليل حسب وعده ، فأغوى ستة آخرين من التلاميذ : توما ونثنائيل و يوحنا و يعقوب أخاه واثنان آخران ، ليذهبوا إلى قارهم القديم ليصطادوا ، وما أشبه الجديد بالقديم ! « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى هذا ، الرجل الذي أضعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه » (خر ٣٢: ١) .

هذا هو القديس بطرس نفسه ، الذي بعد تجربته المرة بسبب تسرعه في قطع الرجاء لاستبطائه ظهور الرب ، يعود و ينصحنا بتأكيد قائلاً في رسالته المباركة : « هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء ، فيها أنص بالتذكيرة ذهنكم النقي لتذكروا الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل — وصية الرب والمخلص — عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزون ، سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة ، ... ولكن لا تخف عليكم هذا الشيء ... لا يتباطأ الرب عن وعده لكنه يتأنى علينا !! » (٢ بط ٣ : ١ — ٩) .

(١) نص الكلمة التي ألفت في الأحد الرابع من بعد القيامة بدير القديس أنبا مقار — برية شيهيت .

نعم، فهذه هي نفس علة كل الذين ارتدوا عن نشاطهم وحاسهم وغيرتهم المقدسة في الجهاد والمسيره وراء الرب: إنهم بدون تروى وبدون وجه حق قطعوا الرجاء من تحقيق مواعيد الله، غير عالمين أنه يستحيل على الرب أن يطفىء أو يهمل أو يتخلى عن المعونة، ولكنه كما يؤكد لنا القديس بطرس الرسول — الخبير في قطع الرجاء — «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣: ٩).

منظر حزين على بحيرة طبرية ونور الفجر بدأ يكشف عن مأساة التلاميذ، سبعة من أمهر الصيادين يقضون الليل كله في بحيرة ضحلة المياه مليئة بالسماك ولا يصطادون سمكة واحدة!!

نعم، فالرب واقف على الشاطيء يراقب تلاميذ القيامة المتمردين، صيادي الناس الذين عادوا إلى صيد السمك. وبناءً عليه، فقد أعطى الرب أمره حسب سلطانه على سمك البحر السالك في البحار أن يهزأ ببطرس ورفاقه لعلهم يفقدون تعلقهم بصنعتهم القديمة ومهارتهم الأولى إلى الأبد.

+ «يا غلمان أعمل عندكم إداماً؟» (يو ٢١: ٥) (ولا سمكة واحدة للأكل بحسب النص اليوناني القديم). قالها الرب بصيغة استنكارية! وكأنه يهزأ بصنعتهم وفنهم كهصيادي سمك للبيع والتجارة، لأنهم لم يحصلوا حتى على ما يأكلوه بعد ليلة طويلة من الجهاد والعرق!...

ولكن الرب لا يحترق الصيد ولا يكره السمك أو يسترذل التجارة، فهو الذي قال لهم بعد هذا الفشل الذريع: «القوا الشبكة على جانب السفينة الأيمن فتجدوا» (يو ٢١: ٦)، فاصطادت صيداً ممتازاً جداً، أي صيداً قابلاً للتجارة بلا أدنى شك، لا تحتمله أية شبكة صياد، ١٥٣ سمكة (يو ٢١: ١١)، من أكبر الأحجام في كل البحيرة!!

هذا هو الصيد بدون الرب — ولا سمكة واحدة — وهذه هي أعمال الحياة كلها بدونها . وهذا هو الصيد الثمين المذهل ، وهذه هي كل الأعمال بكلمة الرب وحضوره !! الصيادون هم الصيادون ، والمركب والشبكة هي هي ، والسماك في البحر كما هو . ولكن الفرق شاسع جداً بين أن يصطاد التلاميذ كمعلمي صيد بحسب فن الصيد ، وبين أن يصطادوا كتلاميذ الرب بحسب طاعتهم لكلمته «على كلمتك نلقي الشبكة»!

وهكذا تدخل كلمة الله بعد القيامة إلى صميم عملنا اليومي مهما كان نوعه ، فتحول الفشل وجهاد الليل بل العمر كله دون أن نصطاد شيئاً إلى معجزة اصطيد ١٥٣ سمكة .

هذا هو أول درس يلقّنه لنا المسيح بعد قيامته ، فكأبناء قيامة ، نحن لا نعيش ولا نعمل ولا نربح بعد بحسب قوانين وأصول وفنون ومهارات هذا العالم فقط ، ولكن نستمد دقائق حياتنا وكل نجاحنا ومهارتنا بالدرجة الأولى من الواقف على شاطئ الحياة ، الذي يعطي توجيهاته أولاً بأول لكي يحول أعمالنا كلها من جهاد الذات المضي إلى معجزات ، ولحساب الملكوت! ...

فمعجزة صيد السمك ينبغي أن تكون هي مفتاح سر جهادنا وتفكيرنا لكل أعمالنا في حياتنا الجديدة بعد أن قبلنا روح القيامة «على كلمتك ألقى شبكتي» .

ويعلق على هذا القديس كيرلس الكبير بقوله ، إن فشل التلاميذ في الصيد طول الليل معتمدين على مهارتهم يمثل فشل الذين اعتمدوا على الناموس في العهد القديم بسبب عدم التجاوب والتصاقهم بالله رب الناموس ؛ وأما الصيد العظيم الذي أتى في النهاية بلا جهد ، فهو يمثل ثمر النعمة الذي اصطدناه بشبكة الإنجيل مجاناً ونحن معتمدون على المسيح وعلى كلمته .

كما يقول أيضاً إنه ينبغي أن تنتقل الشبكة من الشمال بحسب تدبير ناموس موسى ، إلى اليمين بحسب تدبير المسيح .

وهذا يذكّرنا بصلاة قسمة القديس التي يقول فيها: «وعوض الخطية المحيطة بالعالم مات الإبن بالصليب، وردّنا من التدبير الشمالي إلى التدبير اليميني» (الحولاجي المقدس — القسمة السريانية).

وهنا جيد جداً أن نشير إلى صحة المعتقد القبطي الأرثوذكسي في حركة الرشم بالصليب من الشمال إلى اليمين، لأنها تعني تماماً ما يقوله القديس كيرلس الكبير وما تقوله القسمة السريانية، بعكس ما يجريه الروم إذ يجعلون الرشم من اليمين إلى الشمال.

الرب يوبخ:

لقد أدرك التلاميذ في الحال لما وجدوا الشبكة مثقلة بصيد لم يحدث له مثيل في حياتهم، أنه الرب نفسه. فأسرع بطرس كعادته وألقى بنفسه في الماء ليكون أول من يتحقق من الرب ويصفي حسابه.

وبعد أن جذب بطرس الشبكة وعدّ السمكات، وهو في ذهول مما يرى أمامه، لأن السمك ووزنه كان فوق طاقة حمل الشبكة، والمعجزة تصرخ في وجهه أن الأمر يحمل ولا شك تعلّماً خطيراً، جلس وبقية التلاميذ الستة حول الرب لسماع الدرس الأخير: «ياسمعان بن يونا أتخبرني؟».

لقد آمن التلاميذ الأحد عشر بقيامة الرب لما رأوه وجسوه؛ ولكن شتان بين أن نؤمن وبين أن نحب. أن نؤمن بالرب، فهذا لا يتعدى التصديق. ولكن أن نحب، لا يمكن إلا أن نتبعه!!

لقد آمن التلاميذ بالرب المقام؛ وها هوذا يضبطهم هارين إلى عزاء العالم مرة أخرى ليغرقوا في همومه وفساده من جديد!

كان إيمان التلاميذ، وبالأخص بطرس حتى ذلك الوقت، يحتاج إلى دفعة حب لكي يقووا على ترك الشباك وكل الماضي مرة واحدة واتباع الرب في حب وولاء صادق

مهما كلفهم من فقر وعوز وفقدان وسائل العيش المريحة، حتى وإلى الموت !

والرب حينما يطرح السؤال : «ياسمعان بن يونا أتخفي؟» لا يريد من بطرس الجواب، ولكنه ينبه بطرس إلى فقدان «المحبة» من الإيمان، هذا العنصر الهام جداً في علاقتنا بالرب .

والرب لا يزال يطرح هذا السؤال لكل واحد منا، فالإيمان بالرب شيء وحب الرب شيء آخر، الأول يربطنا بالرب فكرياً، والثاني يربطنا به روحياً وجسدياً وقلبياً .

وعلاقة الحب بالنسبة للرب تعني عبادة صادقة جداً، واتباع الرب من كل القلب . لذلك لا يستطيع أحد أن يتبع الرب يسوع من كل قلبه إلا إذا ارتبط بالرب برباط المحبة التي تكون علامتها ظاهرة جداً في أتباع الرب على درب الصليب . لذلك لما أكّد بطرس حبه للرب ثلاث مرات، قال له الرب : «اتبعني» .

«المحبة» التي يطلبها الرب ليست هي التي نعرفها بعواطفنا البشرية، فحبة العاطفة شيء ومحبة الرب بالروح شيء آخر . فكلمة «المحبة» التي جاءت على لسان الرب ليست هي كلمة «فيلو philo» اليونانية بل كلمة «أجاپاس ἀγαπās»، وهو الحب المقدس السماوي الذي يعني تماماً ما كان تجرباً عليه بطرس نفسه يوماً ما بقوله للرب : «فأجاب بطرس وقال وإن شكّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً... ولو اضطرت أن أموت معك، لا أنكرك!!» (مت ٢٦: ٣٣ و٣٥) ... «لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن، إني أضع نفسي عنك» (يو ١٣: ٣٧) . هذا هو ما يعنيه الرب هنا تماماً من قوله لبطرس : «ياسمعان بن يونا أتخفي أكثر من هؤلاء (التلاميذ)» .

وكان الرب مرة أخرى ينبه بطرس إلى مدى ابتعاده عن وعده السابق «ها نحن قد تركنا كل شيء (السمك والأسرة وكل المعيشة) وتبعناك» (مت ١٩: ٢٧)، والتزامه السابق باتباع الرب والسير وراءه حتى إلى السجن، وأن لا ينكره حتى ولو أنكره الجميع، بل وأن يموت ببطرس عن المسيح نفسه، هذه الوعود التي تجرباً عليها مُظهرّاً تفوقه في حب

الرب أكثر من بقية التلاميذ، وذلك قبل أن يدرك معنى «الحب الحقيقي» — ἀγαπᾷς — وينال موهبة، ولكن الآن حان ميعاد فهم كل شيء وتصفية الإدعاء البشري لقبول أعمال لم يكن في استطاعته قبولها سابقاً بالكلام والشجاعة، فالرب الآن مات عن بطرس وفداء من ذاته وكبريائه وكل أخطائه، وقام أخيراً لا ليوبخ بل لكي يمنح هبات الحب العظمى التي كانت تنقصه: «قال له سمعان بطرس ياسيد إلى أين تذهب؟ أجابه يسوع حيث أذهب (الصليب) لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستبني أخيراً» (يو ١٣: ٣٦).

الرب هنا يلقي بطرس مفهوم الإيمان الصحيح بالرب، فهو لم يقل له أتؤمن بي، بل أتحبني؟، وبالتالي يضع أساس الإيمان الرسولي للكنيسة كلها، الإيمان العامل بالحب — ἀγαπᾷς — المحبة الإلهية الملتزمة نحو الرب يسوع والتي هي القوة الدافعة لإتباع الرب — الذي خلصنا بصليبه من كل معوقات المسير وراءه — دون النظر إلى التكلفة مهما كان الثمن باهظاً، لأن محبة الرب يسوع تعني قبول موته الذي ماته بالحب عني «الذي أحبني وأسلم ذاته عني». هذا هو الحب — ἀγαπᾷς — الذي إذا اشتعل في قلبي فحتماً سيفودني للمسير وراءه حتى إلى الصليب «يحمل صليبه ويتبعني».

لقد ظن سمعان بطرس في شجاعته وحبه العاطفي غير الإلهي أن بمقدوره — بإيمانه العاطفي — أن يموت عن الرب! فلما دخل هذا الحب العاطفي البشري — φιλῶ — الإمتحان انتهى إلى إنكار بل إلى لعن وتجديف وقَسَم أن بطرس لا يعرف المسيح «لست أعرف هذا الرجل»، وتركه يموت وحده وهرب!!

ولكن لما تقبّل بطرس هبة الحب الإلهي — ἀγαπᾷς — من الرب القائم، ومن خلاصها أدرك بيقين الإيمان أن وراء الموت قيامة ومجداً أبدياً، استطاع القديس بطرس الرسول أن يموت على أمانة الشهادة للمسيح ويموت حباً، مصلوباً ومنكساً بملء اختياره، لأن هذا هو عمل الحب الإلهي — ἀγαπᾷς — الذي لا يمكن أن يموت أبداً «ومن يحيا (بالحب) مؤمناً بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٦ — الآية مصححة). أو كما يقول

القديس أغسطينوس: «لأنه قد دفع الثمن عنك فأصبح الواجب عليك أن تتبع من اشترك» (١).

هنا نلاحظ أن القديس بطرس الرسول كان يستخدم حريته قبل أن يرتبط إيمانه بحب الرب لإتيان أعمال أكثر من إمكانياته، فانتهت به هذه الحرية الكاذبة إلى إنكار الرب والتجديف عليه هرباً من مسئولية تبعيته للرب مجرد تبعية، ولكن لما نضج إيمان بطرس، وتحرك في القلب الحب الإلهي الصادق، قادت حريته إلى أن يمد يديه بمنتهى الشجاعة والرضى ويتبع الرب بكل افتخار ليُصلب!

نتعلم من هذا أن الحرية في الروحيات قبل نضوج الإيمان والحب تؤدي حتماً إلى الابتعاد عن الله. ولكن حيناً يبلغ الإيمان إلى مستوى حرية أولاد الله بالحب والطاعة، حينئذ ينقاد الإنسان بروح الله ويكون قادراً حتى على صلب الجسد سواء بالإرادة أو بأيدي الآخرين.

اربع غنمي:

حينما أجاب بطرس الرب بانكسار قلب: «يارب أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أنني أحبك» (يو ١٧: ٢١)، ولم يتجاسر أن يؤكد أكثر من ذلك كسابق عادته مدركاً مقدار خطئه في تهوره السابق، بادره الرب في الحال؛ ردأ على هذا الإعراف المخلص أن «اربع غنمي»، معلناً بذلك أنه قَبِلَ اعتراف بطرس وعجبتة!! ومنحه وظيفته مرة أخرى!!

وهنا يتضح لنا عظم قدر محبتنا للمسيح باعتبارها أنها هي التي تعطي الإمتياز للقيام بأعمال الرب ورعاية غنمه!! فلو تذكرنا دعوة الرب الأولى لبطرس من صيد السمك لصيد الناس (لوه)، نجد أن النظر أماناً يتطور بسرعة ويتلاحم، في بداية الخدمة

(1) St. August. on Gosp. of John, Hom. CXXIII.

الرسولية دُعي بطرس ليصطاد الناس عَوْض صيد السمك، والآن تتحول الدعوة من صيد الناس إلى رعايتهم .

والترتيب هنا في التدبير الإلهي واضح، أنه بعد صيد الناس من لبيح مياه بحر العالم المتلاطمة يتحتم إطعامهم ورعايتهم . وكأنما معجزة صيد السمك هنا تنطق لتنبه الذهن بأن إطعام القطيع رهن بإلقاء الشبكة على الجانب الأيمن، أي الإتكال الكامل على كلمة الرب وليس السعي بالجهد والبر الذاق طول الليل !!

وهكذا تبدو أمامنا قصة صيد السمك بعد القيامة محملة بأسرار وإشارات عميقة تخص الكنيسة كلها في الصميم، وللرعاة بصفة خاصة . وعلينا أن نتأمل : «إِرْع غنمي» .

الترجمة العربية هنا لكلمة «إِرْع» غير صحيحة، فالأصل اليوناني βοσκειν وتعني «إطعام» وليس الرعاية، فالرعاية لها اصطلاحها المضبوط الذي سيأتي بعد ذلك وهو ποιμαίνειν ، كذلك كلمة «غنمي» ليست ترجمة صحيحة، فالأصل يُقرأ «حملاني» αρνία وليس «غنمي πρόβατα» . فدعوة الرب الأول لبطرس — بحسب النص اليوناني — «إطعم حملاني» . والثانية «إِرْع خرافي» ، والثالثة «إطعم خرافي» .

هذا النسق في التدبير الإلهي بالنسبة لعمل الكنيسة بديع حقاً، فأخطر جزء في القطيع يحتاج لبأكورة المحبة والعناية والجهاد بالنسبة للخدمة هو الحملان — الأطفال والأحداث — وهي التي تحتاج للرعاية، أي التدريب على القيادة في الطرق الصعبة التي هي الدراية بأصول ومنابع الخلاص؛ ولكن تحتاج إلى إطعام سهل وسريع بروح الكلمة .

ثم يأتي دور الخراف، فهي تحتاج للرعاية أولاً أي القيادة والتهديب ومعرفة أصول السير في الطرق المؤدية للحياة، وبعد ذلك إلى إطعام . وإطعام الخراف الذين هم الجزء الناضج من الشعب هو أصعب مهمة بالنسبة للعمل في الكنيسة . فلا بد للشعب الناضج،

بعد أن يُوعَى بطرق الخلاص الأمانة، أن يمتلئ بدسم السماء بالكلمة، و ينال قوة الرجاء بمواعيد الله فيعيش في ملء فرحة الحب بالرب المخلص.

من هذا نرى أن أول دفعة للحب الإلهي، يهبها الله للإنسان تؤهله للرعاية؛ ولكن ليس لرعاية قطيع أو خرفان ناضجة مدربة، إنما تكفيه أن يرعى الحملان وحسب.

أما حينما يهب الله مزيداً من الدخول في قوة الحب الإلهي، فهذا يؤهله لقيادة الخراف للتعرف على الطرق الصحيحة المؤدية للحياة. فإذا نجح الراعي وكان أميناً، سرعان ما يعطيه الله هبة الحب الكامل ليبلغ إلى قمة الأبوّة الكاملة، ليصير الراعي قادراً أن يمنح الخراف هبة الأكل من المن السماوي حتى إلى الشبع الروحي كل يوم وكل لحظة للتلذذ بدسم السماء والحياة في ملء الفرح بمواعيد الله العظمى والثمينة.

وهكذا نلمح كيف تتعرض طبيعة بطرس البشرية المتقلبة التي استطاعت مرة أن تنكر المسيح وتجدد معرفته ثلاث مرات، كيف تصل إلى التغيير الشامل في حضرة الرب، إنما على ثلاث مراحل متتالية سريعة لتصل في النهاية إلى طبيعة الحب الفائقة كنموذج رائع للبشرية كلها التي يمكن أن ترتفع من حضيض الإنكار والجحود إلى قمة الإعتراف والشهادة، بل والرعاية إن هي استجابت لهذه الدعوة الفائقة: «يا سمعان بن يونا أتجنبي؟»

(١٩٧٨)

الروح القدس يمنحنا القيامة

بمناسبة عيد الخمسين ١٩٧٩

الروح القدس في الكنيسة منذ يوم الخمسين وحتى الآن يحضرنا كل يوم مع المسيح لندخل بكل كياناتنا داخل مجال المسيح، مجال القيامة، مجال فعل الخلاص بكل دقائقه، ونستلهم الإنجيل بكل دقائق معناه الصحيحة لتعيش فعل المسيح وكلمته، لأن الروح الذي أقام المسيح هو الآن معنا حاضر في الكنيسة يضيء في قلوبنا سر قيامة المسيح في كل لحظة ليقمنا من لعنة موت الخطية.

فالإطار العام لعمل الروح القدس ينحصر في أن حلول الروح القدس يوم الخمسين أعطى للإنسان الوجه الآخر الحي والفعال لقيامة المسيح. فبحلول الروح القدس دخلت قوة قيامة المسيح إلى العالم لتصير فعالة ومجددة للطبيعة البشرية. لذلك يشدد الرسول بطرس قائلاً: «مولودين ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣)، هذا يكمله القديس بولس الرسول بقوله: «إن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١).

ولكن الروح القدس لا يعطي قوة القيامة من لعنة الموت الساكنة في الأعضاء ميكانيكياً، بل يلزم الاعتماد الشديد والقوي على الروح القدس بالإنتقاد له، وبإلقاء

كل الرجاء على النعمة «إن كنتم بالروح تمييزون أعمال الجسد فستحيون» (رو١٣: ٨). هنا الروح القدس يميز ويحيي، وهذه إحدى صفات الله العجيبة والمشجعة والتي تحفظ تجديد الخلقة بالروح القدس.

على أن كل من حصل على روح القيامة، أي الموت عن العالم والحياة لله في هذا الدهر بقوة الروح القدس وفعاليته والإنقياد له بالسلوك العلني والخطي، فإنه ينال سر القيامة العتيدة، لأن سكنى الروح القدس الآن في الكيان الإنساني بفعل الإيمان والشهادة والأسرار وقوة الكلمة، يعطي قدرة قيامة الجسد في الحياة الأبدية كما يتكلم جميع آباء الكنيسة في هذا الأمر، وهذا برهانه العملي: الفرح المذهل الذي يعيشه المؤمنون في هذا الدهر.

إذن فحضور الروح القدس في يوم الخمسين والآثار القوية التي صاحبت حضوره وحلوله، والتي لا تزال تعمل في الكنيسة ككل وفي المؤمنين كأفراد (المواهب)، هو في الحقيقة الوجه الآخر والداائم لقيامة المسيح، لذلك إن كانت الكنيسة تعيش بالفعل في قيامة المسيح (آخر يستوس آنستي)، فهي لأنها نالت روح القيامة وتعيشه وتتنبس به.

طبيعة الروح القدس وطبيعة الإنسان

تغيير وتجديد للطبيعة عن طريق الشركة:

يظل علم اللاهوت يوضح ويدقق، للتفريق الهائل بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية. فالفارق بينها هائل ومطلق ولا يقوى أي عقل أو منطق أن يصور مقدار الهوة التي تفصل بينهما. فالله هو «آخر» كلي ومطلق بالنسبة للإنسان، ولا يستطيع الإنسان أن يتصوره أو يقيّمه.

وبعد أن اتحد «الكلمة» اللوغس — أي كلمة الله إبن الله — بالطبيعة البشرية، مولوداً من الروح القدس والعتراء مريم، جمع في نفسه هذا النقيض الهائل، أي الإلهي والبشري معاً في نفسه!! دون أن يفقد الكامل المطلق — أي الإلهي فيه — شيئاً؛ ولكن

زاد الناقص العاجز— أي البشري فيه — كل شيء وكل كرامة .

أقول، وبالرغم من هذا الاتحاد الإعجازي الفائق، فقد ظلت الطبيعة الإلهية بالنسبة لنا نحن كأفراد شيئاً لا يُقترَب إليه لا بالفكر ولا بالحس ولا بالأثر الفعال . فواضح من حياة التلاميذ الأخصاء مع المسيح أنهم على مدى كل حياته على الأرض، وبالرغم من كل ما أتاه من معجزات، ثم في صلبه وموته وحتى بعد قيامته وظهوره، لم يدركوا لاهوته . والسبب في ذلك أن القرى والاتحاد والتصالح الذي تم بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية فيه ظلت منحصرة في أفنومه الشخصي، كما يحدده اللاهوت أنه «اتحاد أفنومي»، أي اتحاد شخصي . وظل هذا الاتحاد بآثاره الهائلة نحو البشرية كلها ينتظر حلول الروح القدس في الأفراد المؤمنين باسمه .

لذلك شدد المسيح أنه «خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» . إذن فخير البشرية ومجدها العظيم والبعيد الأثر، كان ينتظر قيامة الرب وصعوده بعد القيامة، لكي يرسل الروح القدس، ليكمل عمل الرب الخلاصي .

ثم شدد المسيح أيضاً على تلاميذه أن لا يبرحوا من مكانهم في اورشليم مجدداً حركتهم تجميداً كلياً حتى يُلبسوا قوة من الأعالي، وذلك ليتهيأوا للبشارة والشهادة . وذلك بأن يكونوا هم أولاً على مستوى المسيح في تكميل عمل الخلاص — أي على مستوى القيامة، أي جدة الحياة الإنسانية «الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كوه: ١٧) . لقد ولد الإنسان من جديد من طبيعة المسيح المقام بواسطة الروح القدس .

وبقبول الكنيسة، يوم الخمسين، الروح القدس، أي بسكنى روح الله في قلب الإنسان وكيانه باتحاد صميمي سري، اختزلت الهوة التي كانت تفصل الله عن الإنسان، أي دخلت الطبيعة البشرية في شركة حية وفعالة مع الطبيعة الإلهية على أساس أن ينال الإنسان ثمار اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية التي تمت جوهرياً

وأقنومياً في المسيح، واستعلنت بالقيامة من جهة روح القداسة، لنالها نحن بالنعمة بصفتنا أبناء نرث ميراث المسيح في المجد، وبذلك تم شفاء عجز الطبيعة البشرية وقصورها وموتها ونوال قوة قيامتها وكرامة ومجد صعودها إلى السماء الذي تم لها في المسيح المقام، ولكن بالنعمة، كهبة، دون أن تفقد الإنسانية بشريتها — إنما مجرد اكتساب مواهب المسيح، «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»، «أنا فيهم وأنت في» (يو ١٧: ٢٢ و٢٣).

ولكي نوضح ذلك على المستوى العملي نشير إلى كيف أن بولس الرسول يفصل بين إنسان نال الروح القدس ودخل في شركة الطبيعة الإلهية عن إنسان لم ينل هذه الشركة ولم يصير روحياً بعد هكذا:

+ «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلّمكم كروحيين (سيرة سماوية) بل كجسديين (سيرة أرضية)، كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل الآن أيضاً لا تستطيعون. لأنكم بعد جسديون. فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق أُلستم جسديين وتسلكون بحسب البشر. لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلّوس أُلستم جسديين؟» (١ كور ٣: ١-٤)، فالروح القدس حينما يعمل في الطبيعة البشرية يرفع الإنسان فوق كل انقسام أو تحزب أو حسد مهما كان...

نخلص من هذا، أن سكنى الروح القدس في الإنسان وانماء طبيعة الإنسان بالقلب والفكر والإرادة لوصايا الرب مع الإشتراك في أسرار المسيح، هذا يكون له ثمار حية سلوكية تشهد في حياة الإنسان، وهي التي تختم على مدى صحة الشركة في الروح القدس والإقتداء بالمسيح والنمو في عمل النعمة بشهادة الضمير والسلوك.

مواهب الروح القدس

أ. الموهبة الأولى: تجاه المسيح نفسه:

والإعلان الهام بل والتحذير الخطير الذي يتحدانا هو أنه بالرغم من أن جميع مواهب الروح القدس مهما تعددت، فالروح واحد، ولكن تبقى موهبة «معرفة الكلمة» على أسس صحيحة من الإنجيل وبفهم صحيح وإدراك صحيح بحسب الفكر الإنجيلي واللاهوتي، تبقى هي الأساس الأول الذي لا غنى عنه والذي عليه يتوقف عمل كل موهبة أخرى، ويكفي أن نتصور إنساناً يسعى لينال موهبة الخدمة أو التعليم أو النبوة أو التكلم باللسان أو الشفاء أو الوعظ، وهو غير متأسس على معرفة الإنجيل بعهديه معرفة متقنة، فالعثرة والتخبط والبلبلة التي قد يقع فيها كفيفة لا أن تلغي كل موهبة أخرى، بل وتشكك في مصدرها وتهدم الكنيسة.

وهكذا فقبل الإنشغال بمواهب الروح القدس يتحتم أن يكون الإنشغال أولاً بالمسيح، بالإيمان الصحيح على أساس دراسة الكلمة وفهم معناها على أصولها الرسولية التقليدية، ثم الدخول في اختبار فاعليتها وصدقها، لأن كل معرفة بالمسيح بدون شهادة إنجيلية وبدون خبرة روحية تسليمية تصير مجرد علم لا يبني بل ينفخ.

ومن هنا يتضح ضرورة، بل حتمية، اجتماع أصحاب المواهب معاً تحت قيادة المسيح في عمل جسد واحد موحد داخل الكنيسة. كما يستحيل نجاح موهبة تعمل بمفردها، لأن من الرأس الواحد تنبع كل الأعمال بانسجام نحو غاية واحدة.

هذا يدخلنا مباشرة في موضوع عمل الروح القدس الأول والأساسي بالنسبة لخلاصنا وحياتنا وفرحنا الدائم الحقيقي، وهو علاقتنا الشخصية جميعاً بالرب على أساس كلمته الحية «إن أحبني أحد يحفظ وصاياي» (يو ١٤: ٢٣). فإذا اتحدنا في حفظ الوصية اتحدنا في حبه!!

أي أن كل مواهب الروح القدس إذا انحصرت في الإنسان بدون علاقة حية دائمة ومعرفة وثيقة بالمسيح، فإنها تصبح بلا قيمة بل وبلا ثمرة، بل ولا تغني عن الدينونة! «يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم أي لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (متى ٧: ٢٢-٢٣)، «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣).

ب. الموهبة الثانية: تجاه الآخرين:

هذا بدوره ينقلنا مرة أخرى إلى عمل الروح القدس في علاقتنا بالآخرين، الآخرين من كل نوع، الأحباء والأعداء والأهل والإخوة والزملاء والرؤساء والخدم والحكومة وقوانين الدولة، والعقائد والأديان الأخرى.

وأخطر ما يلاقيه المنشغلون بنوال المواهب، هو اختراع مبادئ وأفكار جديدة لهم كأنها من إلهام الروح القدس، وهي انعكاس شخصي ذاتي لخبراتهم وإخفاقاتهم وخساراتهم السابقة، أو ربما انعكاس لطموحات ذاتية ولأمراض نفسية محتفية لم تظهر لهم وللمجتمع بوضوح، فنسمع عن تصرفات غريبة عن المفهوم التقليدي المسيحي والكنسي بحسب الإنجيل.

علماً بأن الروح القدس نفسه لا يعمل شيئاً من ذاته، أي لا يمكن أن يشير بمشورة غير ما أشار بها المسيح، كما يقول الرب: «هذا لا يتكلم من ذاته، بل يأخذ مما لي ويخبركم... ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٦: ١٣ و١٤، ١٤: ٢٦). وهكذا يتضح أن مشورة الروح القدس ستظل محدودة تماماً في حدود وصايا المسيح وتعليمه فقط، ولا جديد بالمرة.

ووصايا المسيح واضحة محددة مفهومة بكل بساطة وإعجاز...

(+) فن جهة من هو قريبي: أعطى المثل (السامري الصالح - لو ١٠: ٢٩-٣٧) (ضد

السلام الاجتماعي الذي يقوم على المصالح العنصرية أو الأسرية) جاعلاً معنى القرابة في مفهوم إنساني رائع ينحصر في معنى البذل والرحمة دون النظر إلى أي عوامل معاكسة معها كانت، فاليهودي الذي كان على شفا الموت أنقذه عدوه السامري بينما كهنة اليهود لم يرثوا لحاله وعبروا عليه وتركوه.

(+) ومن جهة الإخوة : « فأخذ ولداً وأقامه في وسطهم ثم احتضنه وقال لهم : من قبل واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني » (مر ٩: ٣٦)، « إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل » (مر ٩: ٣٥)، « أنتم تعلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً . ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً » (مر ١٠: ٤٢-٤٤). وهذا يكون المسيح قد أسس قانون العلاقات التي تربط أي جماعة تجتمع باسم المسيح وتعمل بقوة الروح القدس فالأخوة المسيحية لا تقبل السيادة، والخدمة شرف .

(+) ومن جهة الرؤساء : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣: ٢٣ و٢٢).

(+) ومن جهة الخدم : « أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣: ١٣-١٥).

وهذا العمل الواحد ألقى المسيح من الكنيسة أية محاولة للتعالى الطبقي في الوظائف الكهنوتية .

(+) ومن جهة الحكومة والقوانين : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

(مت ٢٢: ٢١). هنا يصالح المسيح السيرة الروحية الخالصة بواجبات السياسة — أي الدولة عن أمر والتزام (أعطوا)، ثم الالتزام بقوانين الدولة حتى الجائر والخطأ منها: «ماذا تظن يا سمعان. ميمن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنهم أم من الأجانب؟ فقال له بطرس: من الأجانب. قال له يسوع: فإذا البنون أحرار. ولكن لسلا نعتهم إذهب إلى البحر وألق صنارة السمكة التي تطلع أولاً خذها. ومتى فتحت فإها تجد إستاراً فخذه واعطهم عني وعنك» (مت ١٧: ٢٥-٢٧). وهكذا استعبد المسيح نفسه لقانون الضرائب لغاية رائعة وكرمة وهي أن لا يُعثر أحد في ولائه لصاحب السلطان!!!

(+) ومن جهة العقائد الأخرى: «فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا، فنحنه لأنه ليس يتبعنا. فقال يسوع: لا تمنعوه. لأن من ليس علينا فهو معنا» (مر ٩: ٣٨ و ٤٠). وهكذا ارتفع المسيح فوق التحزب والتبعية والتشيع للمبادئ والأشخاص.

أما الذين يقاومون الطريق الصحيح فقانونهم عند المسيح: «اتركوهم هم عميان قادة عميان» (مت ١٥: ٤).

(+) ومن جهة الأديان الأخرى: «لي خراف أخر ليست من هذه الخطيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يو ١٠: ١٦). «في كل أمة الذي يتقيّه و يصنع البر مقبول عند الله» (أع ١٠: ٣٥).

(+) ومن جهة الأعداء ومجابهة التحدي والظلم والإضطهاد: «أحبوا أعداءكم» (مت ٥: ٤٣)، «إن جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه» (رو ١٢: ٢٠)، «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء بل اعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب» (رو ١٢: ١٩). «لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً» (أف ٤: ٢٦ و ٢٧).

«طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل
كاذبين . افرحوا وتهللوا!!!» (مت ٥: ١١ و ١٢).

(+) من جهة الولائم : «وقال أيضاً للذي دعاه إذا صنعت غذاءً أو عشاءً فلا تدع
أصدقاءك ولا إخوانك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك
مكافأة . بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين البُذخ العُرج العُمي ، فيكون لك الطوبى
إذ ليس لهم حتى يكافئوك لأنك تُكافأ في قيامة الأبرار» (لو ١٤: ١٢-١٤).

وهذا يكون المسيح قد وضع أسس العلاقات الإنسانية على المستوى الروحي للذين
يريدون أن يعيشوا بالتقوى بقيادة الروح القدس حسب الإنجيل .

ج . الموهبة الثالثة : الإنفتاح على الجماعة (الكنيسة) :

فإذا تم هذا تتجلى الكنيسة كمجتمع مسيحي منقاد بالروح القدس يحوي كل
طبقات الشعب بكل ضعفاتها وأعوازاها وأمراضها . ليس كجماعة روحية عالية مصلية
باللسان متحابة بالفكر ومتكتلة تحت اسم ، بل جماعة تحوي حتماً كل المتناقضات
الإنسانية وكل القمامات ، وبواسطة الروح القدس تتصالح المتناقضات وتأتلف
المفارقات . فالكنيسة بأسقفها جماعة تائبين ، جسم يموت ويحيا كل يوم ، ينسى ما هو وراء
ويمتد إلى قدام ، يفقد أعضاء ميتة و يقبل أعضاء حية ، يتغير عن شكله ، يتجدد بذهنه .

هكذا أسس المسيح الكنيسة على أساس الإغتسال الدائم ، وهكذا وضع الروح
القدس فيها ليصنع هذا التقديس والتطهير لحساب المسيح الرأس الواحد . بل إن تأليف
وحدة جسم الكنيسة من هذه المتناقضات هو البرهان الوحيد على أن قوة الروح القدس
فعالة في الكنيسة بالحب الإلهي ، وفعل دم الخلاص الذي له القوة والقدرة أن يمسح
ويزيل كل وسخ الجسد والروح لكي يجعل الإثنين واحداً ، ويرفع العداوة والحاجز
المتوسط بين الإنسان وأخيه الإنسان بل وبين الإنسان والله نفسه ، ويضم القريبين
والبعيدين معاً في ألفة الجسد الواحد .

والقديس بولس الرسول يشرح هذا بكل اعتناء ووضوح في رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح الثالث عشر، حيث يقطع أن كل موهبة حتى ولو كانت هي الإيمان نفسه القادر أن ينقل الجبال أو حتى بلوغ التكلم مع الملائكة بلسانهم، بدون الاتحاد بالقرب في حب، والتفاعل مع المجتمع البشري في إخلاص وتصديق وصبر واحتمال وعدم تملل أو دينونة، إنما تكون مواهب باطلة لا تفيد شيئاً إلا ضجيجاً كضجيج القرع على الصنوج، ثم يذهب طنينها مع الرياح!!

مراجعة وفحص لكل موهبة:

أ. لمجد المسيح: أما الاختبار النهائي الذي يحكم على كل موهبة مهما كانت عظيمة، وإن كانت هي تعمل حقاً من الروح القدس أو هي انفعالات مبهمة غير معروف مصدرها وغايتها، فهي النتيجة التي تنتهي إليها هذه المواهب، فإذا كانت وظلت واستمرت «لمجد المسيح» وحده، تكون حقاً من عمل الروح القدس، لأن معيار عمل الروح القدس قدّمه المسيح بوضوح «ذاك يمجدي». والمسيح لا يمكن فصله عن الكنيسة كجسد كامل الأعضاء.

ب. خطأ الإنغلاق: أما علامة انحصار الموهبة في الذاتية الإنسانية، فتكون واضحة عند تكوين الحلقات الضيقة، أي الشلل المغلقة التي تتعصب لقائدها بصورة عمياء «هذا لبولس وهذا لأبلّوس. ألع بولس صُلب لأجلكم. أم باسم بولس اعتمدتم؟» (١ كو ١٠: ١٣).

وهكذا كانت تنحصر سعادة بعض الجماعات في مجرد التأمّلات، بحيث لا تقوى هذه الكنائس على الإنفتاح العام للشركة العامة، بل ولا تقوى بالفعل على مجابهة استيعاب العلانية الكنسية. وحينئذ لا تحتل أي نقد أو توجيه في هذا الأمر، فكان مآلها للزوال.

وينبغي أن لا ينحى قط على كل من أراد أن يعيش في دائرة الإيمان الصحيح

بالمسيح، أنه لا يمكن أن تحسب أية جماعة مجتمعة باسم المسيح أنها تعيش وتعمل بالروح القدس، إلا إذا كان المسيح هو بنفسه وهو وحده قائدها، والمسيح لا يقود أحداً قط لا فرداً ولا جماعة ولا كنيسة إلا على أساس أن يوحددها بجسده الكلي، أي الكنيسة كلها، فكل اجتماع وكل صلاة لأي جماعة أو حلقة أو عقيدة أو كنيسة لا تنشئ رغبة ملحة في الاتحاد بأعضاء المسيح، أي بالكنيسة كلها في كل العالم، في شوق بل في اجتهد، بل في حرارة ودموع، بل في توسل وبذل، بل في تذلل وانسحاق، فإن مثل هذا الاجتماع لا يكون مُساقاً بالروح القدس بحسب الحق والإنجيل. لأن المجتعيين بهذا الشكل لا يكونون مفتوحين على قلب المسيح وفكره، ولا يكونون بالتالي متقادين بالروح القدس «لأن المتقادين بروح الله فأولئك هم أبناء الله». وأولاد الله هم عائلة واحدة، هم «أهل بيت الله» بحسب تعبير الرسول بولس. وأولاد الله بيت واحد لا ينقسمون، لا يعيشون ولا يسعدون أفراداً وجماعات، بل سعادتهم تتوقف على إحساسهم أنهم جسد واحد، إنسان واحد كامل في المسيح، عروس مزيّنة بالفضائل لعريسها الوحيد، كنيسة مجتمعة في حضرة الله، مستضيئة كلها بالروح القدس والمسيح فيها الكل في الكل. من هذا كان يشدد الآباء الرسوليون على أن «لا خلاص خارج الكنيسة».

ج- خطر الإنشقاق: من هنا كان اهتمام بولس الرسول أن يقدم المؤمنين جميعهم كعذاراء عفيفة للمسيح، كنيسة متجلية ومنيرة بالروح القدس، بفكر واحد وقلب واحد ونفس واحدة، حيث لا يمكن أن يتم هذا إلا بتفريغهم من ذواتهم.

وكان اهتمام الرسول بولس شديداً بأن يلغي من الكنيسة كل تحزب وكل شقاق وكل انقسام وكل تجمعات خاصة تحت أسماء بشرية خاصة، مهما كانت، حتى ولو كانت باسم بولس نفسه أو أبولس أو بطرس (١ كو: ١٠-١٣)، منبهاً بشدة أن أي خروج من تحت قيادة المسيح نفسه لإتباع آراء بشرية هو جحد للمعمودية والموت والقيامة التي قبلها المؤمنون باسم المسيح فقط، الذي مات لأجل كل واحد ليجمع الكل في نفسه مبرهنًا أنه ليس إسم آخر تحت السماء يمكن أن نخلص به عن طريق مباشر

أو غير مباشر.

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول أن أي انقسام في الجماعة يعني غياب الروح القدس وهو حتماً ينشئ خصومة، وبالتالي ينشئ نقداً ودينونة وحسداً للمتقدمين بالروح. وبالتالي يطفئ الروح القدس، فيتوقف النور الذي عليه نسير، وأكد ذلك يوحنا الرسول في بساطة متناهية أن المحبة تجمع المؤمنين وتمنحهم أبوة الله بصفة مستمرة: «الذي يحب فقد وُلد من الله» (١ يوحنا: ٤: ٧)، وأن انقسام القلب وفقدان المحبة من الجماعة تفرط عقدها وتعمي بصيرتها من نحو الحق فيتوقف سيرها في طريق المسيح: «لا يعلم إلى أين يمضي لأن الظلمة (فقدان الروح القدس) قد أعمت عينيه» (١ يوحنا: ٢: ١١).

د. الدينونة والحسد والغيرة:

والحقيقة أن أخطر ما واجهته الكنيسة على مدى تاريخها الطويل هو الانقسام، ليس الناشئ فقط عن عدم الإيمان أو عدم المعرفة أو عدم الفهم، بل والناشئ أيضاً من حلول الروح القدس وإعطاء مواهب ممتازة لكنيسة دون كنيسة ولجماعة دون جماعة ولفرد دون فرد، وهذا لم يكن مفاجئاً للمفهوم الكنسي أو اللاهوتي، فالرب سبق وأندّر: «إني ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (مت ١٠: ٣٤)، وهو سيف الكلمة الذي يفرق من يؤمن عمن لا يؤمن — وكذلك قول الرسول بولس أن هناك مواهب متعددة كتعدد الأعضاء وأهميتها في الجسد والواحد لا يعطى كالآخر، بل كما قُسم لكل واحد من إيمان، فلا ينبغي أن يرتئي الإنسان فوق ما ينبغي أن يرتئي.

والقديس بولس الرسول يوبخ بشدة الذين نالوا المواهب وبدأوا يفتخرون بها على الذين لم ينالوا مثلها، قائلاً: «فهذا أيها الإخوة حوّلته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا لا نفتكروا (في الإنسان) فوق ما هو مكتوب كي لا ينتفخ أحد على الآخر، من أجل أحد. لأنه من يميزك؟ وأي شيء عندك لم تأخذه (كعطية) وإن كنت أخذت (مواهب) فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ (أي كأنه ليس من الله بل صار لك بمجهاذك؟)» (١ كور ٤: ٦-٧).

من هذا يتضح أن الحصول على إحدى المواهب الفائقة لا يعصم الإنسان من الخطأ، بل يكون أكثر تعرضاً لخرب الشيطان للسقوط في الكبرياء والتعالي.

ثم يعود بولس الرسول ويوبخ كذلك الذين لم يأخذوا المواهب ويهاجمون الذين أخذوا موضوعاً مدى الخطورة التي ستحدث لهم إذ سيفارقهم الروح القدس نفسه، إذا كان تهجمهم عن غير فحص وامتحان وتدقيق شديد للتمييز بالروح بين ما هو نافع وغير نافع وبين ما هو خطأ وصواب: «افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات. امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر» (١ تس ٥: ١٦-٢٢).

ثم يحسم هذا الصراع الحادث داخل الكنيسة من جهة السعي نحو المواهب من جهة، ومن جهة أخرى مهاجمة الذين نالوا مواهب ممتازة وفائقة، ثم احتقار الذين نالوا المواهب للذين لم ينالوا، يحسم الأمر هكذا:

[جددوا للمواهب الفائقة، ولكن أريكم طريقاً أفضل. وهو المحبة. لأن المحبة هي أفضل المواهب قاطبة. وهي الموهبة التي بدونها لا يمكن أن تُحسب أي موهبة أخرى أنها موهبة] (٥).

وهكذا يقلب بولس الرسول كل خطط الشيطان التي يستخدمها لإنقسام الكنيسة بسبب الغيرة والحسد من المواهب الفائقة، جاعلاً المحبة وهي أسهل وأبسط وأعم موهبة، فوق أعظم وأعلى المواهب تفوقاً وامتيازاً. وهي في متناول الجميع. □

(١٩٧٩)

(٥) خلاصة الأصحاحات ١٢ و ١٣ و ١٤ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

القيامة حدث فوق الطبيعة

وهو مصدر أفعال وسلوك

لا تتبع قوانين هذا العالم

الحديث عن القيامة يا أحبائي ليس كالحديث عن الموت أو الصليب . فالموت حدث طبيعي ، ولكن القيامة حدث فوق الطبيعة وخرق لكل قوانينها . القيامة إلغاء للموت وإلغاء للزمن وإلغاء للألم !! إنها مجد فائق للشخص في حد ذاته وللجسد الذي مات .

لذلك فالإيمان بالقيامة ضمناً هو إيمان بأن جسد المسيح لم يكن جسد إنسان وحسب بل جسد إله متأنس !!

والقيامة مجد ذاتها التي قامها الرب لم تكن سهلة لا في واقعها المنظور ولا في واقعها المدرك . ولكي أنبه ذهنكم أعود بكم إلى ما شهد به القديس متى في أصحابه الأخير: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل حيث أمرهم يسوع ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا» (عدد ١٦ و ١٧) . والقديس مرقس يكرر «فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون و يبكون ، فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرتهم لم يصدقوا» ، «وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لإثنين منهم وهما يشيان منطلقين إلى البرية . وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين» (مر ١٦ : ١٠ - ١٣) .

هنا مسألة في غاية الأهمية ، فالقيامة ليست في ذاتها حدثاً بسيطاً منظوراً يمكن برؤيته أن يقتنع الإنسان أن هذا هو يسوع الذي مات ، لأن القيامة التي قامها يسوع ليست مثل قيامة لعازر ، أي قيامة لا تزال يسودها الموت ، بل قيامة لحياة أبدية حيث يأخذ الجسد قوات فائقة وشاغة على قوانين الطبيعة .

فقيامته المسيح من الموت هي القيامة الأولى من نوعها «بكر الراقيدين»، وهي في حقيقتها مجد بل ومجد إلهي لا يرى ولا يدرك كحدث يحيط به الذهن تماماً. بل هي أيضاً حياة أبدية لا يمكن أن تُحس بحواس الحياة الأرضية الزمانية إحساساً وثيقاً، إنما تُحس روحياً فقط، وتبقى الحواس الجسدية متخلفة نوعاً أو في ذهول، هذا هو الذي يصفه الإنجيل مراراً وتكراراً: أنهم رأوا وسمعوا ولم يصدقوا.

إذن فنحن الآن نواجه حقيقة جديدة من حقائق الرب، حقيقة تختلف عن حقيقة يسوع المصلوب والجسد الميت. نحن أمام يسوع المقام بالجسد المعجد، نحن أمام «الحياة الأبدية ذاتها». «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا» (١ يوحنا ٢: ١٠)

لذلك فنحن هنا أمام واقعة فائقة تتطلب إيماناً، إيماناً يفوق العقل والحواس وكل مدركات هذا الدهر، لأنه لكي ندرك القيامة يلزم أن ندرك «الحياة الأبدية»!! ندرك اللامحسوس بالمحسوس، ندرك الفائت على العقل بإيمان يتحتم أن يفوق العقل، لكي تخضع الحواس وتخضع العقل فيرى ويؤمن.

ولهذا قلنا إنه لا يمكن أن نعتبر القيامة كالصليب حدثاً زمنياً، إنه «حدث إلهي»، أو بالمعنى الكنسي «إنه سر».

ولكن القيامة تمت في صميم الزمان أيضاً، في أول إشراقة الفجر والظلام باقٍ حينما يبدأ النور أن يطارد الظلمة. كذلك فلقيامته المسيح براهين مادية وشهود عيان، التلاميذ والأشخاص الكثيرون والقبر الفارغ واللفائف الموضوعة في مكانها ملفوفة على ذاتها، وخاصة عصابة الرأس التي بقيت مطوية على ذاتها والجسد كله منسحب منها بوضع يشرح القيامة بقوة فائقة البرهان والدقة بحسب المنطق، ولكن تظل المفارقة هائلة بين البراهين المادية على القيامة كفعل إلهي فائق على المادة.

لذلك فكل هذه البراهين لم تكن كافية لبعض التلاميذ لكي يؤمنوا بالقيامة . ذلك لأنه لا يمكن البرهنة على القيامة التي قامها الرب ببراهين مادية خالصة . هذا أمر مستحيل كما قلت ، ولم يلجأ إليه التلاميذ ولا بولس الرسول في محاجاته مع أهل كورنثوس على حقيقة القيامة التي سيقومها المؤمنون بالمسيح كما قام المسيح نفسه ، حيث اكتفى بولس الرسول كباقي التلاميذ في الأناجيل بالشهادة للقيامة بشهود العيان فقط ، أو بمعنى أدق اكتفى « بإيمان » الشهود !!

لقد اكتفت الكنيسة الأولى « بالإيمان بالقيامة عامة » على إيمان شهود العيان الأوائل : المريمات في أول يوم للقيامة ، ثم بطرس ويوحنا والإثني عشر والخمسمائة أخ ، هذا سجلته لنا الكنيسة في الأناجيل والرسائل تسجيلاً رسمياً معتمداً سنة ٣٣ ميلادية ، أي تم التسجيل النهائي لهذه الحقيقة الفاتكة باعتبارها الإيمان الأول للمسيحية بعد ثلاث سنوات فقط من حدوث القيامة .

ويقول أحد العلماء المدققين في نقد النقد أنه لو جمعنا كل النقد الذي اعترض به العلماء على حدث القيامة الذي استخلصوه من روايات الأناجيل الأربعة تاريخياً لحصلنا على نتيجة حتمية وهي أن القيامة حدث حقيقي تم بالفعل !!

وهذا مما يؤكد لنا عظمة الإنجيل وعظمة الشهادة التي يعتمد عليها كاتب الإنجيل والرسائل ، إذ يجعل القيامة « سرّاً » وليس حدثاً تاريخياً يحتاج إلى برهان . إنه مركز الإيمان المسيحي كله ، ولا يحتاج إلى برهان مادي . بل وحتى القبر الفارغ نفسه لا يقف ليكون شاهداً للقيامة بمجد ذاته لولا مؤازرة الإيمان الواعي أو بمعنى أوضح مؤازرة « الإستعلان » .

لابد للقيامة من شاهد لا يعتمد على عينيه ولا على القبر الفارغ أبداً ، بل ولا على المسيح نفسه وهو واقف أمام الأحد عشر !! القيامة أعظم جداً جداً من أي برهان مادي أو حسي أو ذهني !!

فشهود القيامة في الإنجيل لا تعتمد شهادتهم على براهين عقلية أو حسية أو مادية، بل على استعلانات أي ظهورات فائقة للعقل والحواس والمادة، فالإستعلان هو عمل إلهي يصدر من الله مباشرة بقوة فائقة ولكنه يعتمد على الخبرات الشخصية الواقعية، ويكون له سلوك واستجابة وتأثير في الواقع المنظور. فالحركة التي تحركها الرسل يوم القيامة بين القبر والعُلْيَة وعمواس وأورشليم، والاجتماعات والأقوال والإندهاشات وعدم التصديق الشديد، بل ومقاومة فكرة القيامة عند توما أحد الرسل، وتوبيخ المسيح للرسل بشدة؛ كل هذا لابد وأن ينتهي عند القارىء، سواء كان مسيحياً أو غير مسيحي، مؤمناً أو غير مؤمن، بأن قصة القيامة لابد أن تكون صادقة، إذ ليس فيها أي افتعال أو تلفيق أو تهذيب، قصة كل رأس مالها يعتمد على ظهور المسيح الفعلي بصور متعددة ومراحل متعددة لأشخاص متعددين انفعلوا لهذا الظهور بانفعالات متعددة ومختلفة. وهنا تظهر القيامة كحدث واحد صادق جداً، اتجهت نحوه جميع الأحداث لتثبت حقيقته بدون أي تدخل من يد كاتب أو مؤرخ يوفق بينها!!

و«القيامة»، وهي مركز المسيحية وبدؤها، لم يُصنّفها الإنجيل كمقولة إيمانية أو عقيدة لاهوتية، بل يقدمها كظهور فعلي للمسيح الذي أقامه الله من الأموات، وأعلنه الله حياً بكل وضوح وتأكيد إيماني.

لذلك جاءت شهادة الشهود جميعاً خالية من أي محاولة بشرية من جانبهم لإثبات حقيقة القيامة، ولكن اقتصرت شهادتهم جميعاً على تأكيد ما حدث، تأكيد الرؤيا والإستعلان الذي اختبروه كعمل إلهي، كفعل من أفعال الله الخارقة التي سيطرت تماماً على حياتهم وفكرهم وحركتهم وفرحهم وكلامهم بل وعلى أكلهم وشرهم!!!

لذلك فالإنجيل كان أميناً أقصى ما يمكن أن تكون الأمانة في الشهادة لقيامة الرب حينما قال: «وبعضهم شكوا». هنا يضع الإنجيل «القيامة» في موضعها الصحيح، إنها أعلى من كل الإمكانات البشرية حتى التي للتلاميذ أنفسهم!! إذ لابد للإيمان بالقيامة، أن يفتح وعي الإنسان لقبول الحياة الجديدة نفسها، حيث الإيمان بالقيامة

يكون نابعاً من قوة الله على الحياة الداخلية للإنسان.

ولكن إن كان التلاميذ قد عجزوا عن إدراك القيامة والمسيح واقف أمامهم بنفسه وبجسده يتكلم معهم، فكيف تكون الصعوبة من جهة إدراك القيامة بمجرد خبر أذاعته النسوة وبعض الذين رأوه؟

وهنا نأتى إلى تلميذي عمواس، لنسمع من فم الرب القائم نفسه ما هي أسس الإيمان بالقيامة؟

وقصتها معروفة وهما سائران مُعَبَّسَيْن، مرة في صمت قاتل، ومرة في نقاش حاد، ومرة في يأس وحزن، يقطعان الطريق إلى عمواس مدينتها بعد أن انفض العيد وُصِّلَب معلمها بخزي وعار لا يُطاق.

ولكن العجيب حقاً أنها سمعا من النسوة بالقيامة وبرؤيتهن للرب قائماً وبالقبر الفارغ، ولكن يا للعجب! فإن هذا كله لم يحرك فيها أي شعور بالرجاء أو حتى الأهمية، فتركنا أورشليم جملة وعادا راجعين إلى قريتهما في خيبة ما بعدها خيبة! علماً بأن القيامة كانت قد تمت وذاع خبرها.

هنا يتدخل المسيح ليكشف علّة هذا التقهقر والعجز الفاضح في الإيمان بالقيامة:
نقرأ من إنجيل لوقا ٢٤: ١٣-٢٤ ثم آية «٢٥»:

فقال لها أيها الغيبان (= بلا إحساس بالذي قرأتموه ورأيتموه أو سمعتموه. هنا إشارة إلى أول شرارة يمكن أن تشعل الإيمان) والبطيئاً القلوب في الإيمان (إن أمور الله ليست كأشياء العالم تحتاج إلى طرح القضية للزمن ليزداد نورها، فالإيمان يحتاج إلى قلب يتحرك بسرعة ويتحرك بشدة) بجميع ما تكلم به الأنبياء». هنا المسيح يحتاج بشدة على تلميذي عمواس.

كذلك وبنفس الطريقة «ظهر الرب للأحد عشر وهم متكئون (جلسة إفخارستيا)

وويغ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام».

هنا يصف الرب علة عدم الإيمان بالقيامة أنها قساوة قلب أنشأت عدم تصديق. وهذه القساوة نشأت بالطبع من عدم انفتاح الذهن لروح النبوة والاستعداد القلبي السريع لتصديق تميمها في حينه!!

إذن فالمسيح يرى أن قيامته سبق وأن أعلن عنها الأنبياء وكل أسفار العهد القديم. ولم يعد إلا التوقيع، توقيع كلمة الأنبياء (التي ينبغي أن تُقبل بلا حذر توقيعها على الخبر وشهادة العيان لكي يشتعل الإيمان؛ وما كحركة الزناد مع حجر النار. فالنبوة (الكتاب أو الإنجيل) يكن فيها الإيمان، وهو لا يحتاج إلا لحركة القلب. لذلك قال لها: «أيها الغيبان (بلا إحساس) والبطيئاً القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء»!!

إذن، يا أحباي، فقد وضع أمامنا الآن بحسب توجيه تعليم الرب لتلميذي عمواس أن حدث القيامة والإيمان بها إنما هو عمل إلهي، «حركة سرية في قلب»، فعل إيمان متحرك داخلي لا يعتمد على براهين عقلية أو حسية ولا حتى على رؤية الرب نفسه بالعيان، إنما يعتمد على «الكلمة»، كلمة الإنجيل، أشد الاعتماد. فالكلمة في جوهرها هي القيامة وهي «الحياة الأبدية» ذاتها: «أنا هو القيامة والحياة... إن آمنيت ترين مجد الله» (يو ١١: ٢٥ و٤٠). أي أنه لا بد أن تندفق قوة الكلمة في القلب المفتوح حتى يتحرك ويؤمن بالقيامة: «كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية» (١ يو ٥: ١٣).

فالقيامة عملية تحوّل عظمى في حياة المسيح، نقلته من دائرة الحياة البشرية الزمنية وأدخلته في ملكه الأبدي أي دائرة الحياة الأبدية الفائقة على الحياة البشرية، من مسيح التاريخ إلى مسيح المجد الأبدي؛ وذلك لكي يصير منظوراً ومعلنأً ومعروفاً لا لجماعة تلاميذ قليلة هم الإثنا عشر أو السبعون أو عدة الآلاف الذين رأوه وسمعوه في أيام خدمته

داخل دائرة الحياة البشرية الزمنية التي عاشها قليلاً على الأرض، بل ليصير مستعلنًا ومعروفًا لكل الناس على كل الأرض على مدى كل الدهور، على نفس مستوى الظهور والإعلان الذي ظهر وأعلن نفسه به لكثيرين لم يكونوا رأوه أو عرفوه قبل قيامته، وهذا هو الذي استمر وسيستمر بالفعل إلى نهاية الدهور كلها!

ويعنى عظيم وعميق للغاية، تكون القيامة حدثاً جعل كل ما تم بالمسيح في الماضي من تعليم عن الخلاص والحياة الأبدية، وكل ما أتمه المسيح في نفسه من أعمال الخلاص بالصليب والموت في الماضي، يجعل كل هذا هو هو بعينه دائماً ومستمراً وفعالاً به وفيه الآن ومستقبلاً، لأنه قائم حي إلى أبد الآبدين.

ولكي نعطي لأنفسنا الفرصة الآن في هذه المناسبة المباركة لكي نحس بالقيامة، فلنتبع الطريقة التي أعلن بها الرب قيامته لتلميذي عماوس:

+ صحيح أنها معادلة مرذولة وفاضحة جداً لغباوة الإنسان أن يجتمع تلميذان أحدهما «كليوباس» في مسيرة واحدة (لمدة سبعة أميال، أي حوالي ساعتين مشياً، على مستوى النقاش الكثيب الذي كان يدور بينهما) مع الرب المقام في مجده!!

أية معادلة هذه؟ بؤس وكآبة ويأس مع مجد القيامة عياناً بياناً جنباً إلى جنب ووجهاً لوجه؟؟

ثم أليست هذه حياتنا دائماً مع الرب؟ كم مرة يكون الرب قريباً منا ونحن نظل نندب حظنا باكين يائسين مولولين. القيامة أمام أعيننا ونحن غارقون في اليأس!!

+ ولكن العجيب أن الرب دخل في المسيرة معهم بسهولة كإنسان عادي جداً. هذه قدرة فائقة للمسيح بالنسبة لقيامته المجيدة. لم يشأ قط أن يكشف عن نفسه لهم، ولا أعطاهم أية هبة أو قوة أو إشارة ليعرفوه.

إن هذا أمرٌ يُعْجَبُ له جداً. هذه هي قدرة الرب في إخفاء ذاته عند الضرورة!! لأنه

كان يمكن بكلمة واحدة يقولها أن يريحهم و يفرّج قلوبهم و يعرفهم بشخصه .
ثم كم مرة طلبنا هذا ولم نأخذه ؟

+ وهكذا بدأ المسيح بوظيفته القديمة المحبوبة كمعلم يشرح لهم :
« أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » (لوقا ٢٤ : ٢٦) . وهنا
إشارة إلى سبب حزننا ومصدر خيبتنا وهو الصليب !

« ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع
الكتب » (عدد ٢٧) . وكان تعليق التلميذين أنفسهما على هذا التعليم والتفسير أنه
أحدث التهاباً قلبياً داخلياً فيها :
« فقال بعضهما لبعض : ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق
ويوضح لنا الكتب ؟ » (عدد ٣٢) .

+ نعم يا أحبائي ، إن كان قد التهب القلب ، وإن كان قد إقتبل شرارة الإيمان الأولى
وتحرك ولم يصير غيباً ودخلته حركة الحياة الأبدية ، إذن فيسهل بعد ذلك أن يعلن المسيح
نفسه !!

وهنا ينتقل المسيح من التعليم بالكلمة إلى الدخول في السر . إذ بعد ذلك أخذ المسيح
الخبز وكسره فانفتحت أعينها وعرفاه في الحال ، لأنه أعلن حضرته ، واستعلان حضرة
المسيح لحظي أي في الحال .

وهذه الطريقة كررها المسيح مراراً على مدى الأربعين يوماً بعد القيامة حتى صارت
القيامة حقيقة حياة يعيشها التلاميذ تماماً مع الرب القائم .

هل من وسيلة لكي نعيش نحن أيضاً قيامة المسيح مع المسيح ؟
يا أحبائي ، يلزمنا جداً أن نكون واقعيين وصرحاء مع أنفسنا .
يوجد ملكوتان : ملكوت الشيطان في العالم الخارجي لنا ، وملكوت الله في داخل

قلوبنا . ولا بد من الإنحياز الواضح المؤكد للملكوت الله في داخل قلوبنا وحياتنا حتى تُستعلن قيامة المسيح وتتحرك قلوبنا حركة الحياة الأبدية ، حركة الإيمان الحي بالقيامة أي بالحياة الجديدة فينا .

الإنحياز للملكوت الله يميّز من القلب أي ميل نحو ملكوت الشيطان ، النور يطرد الظلمة والحياة تلغي الموت ، والبر الأبدى يحطم ناموس الخطيئة ... والقيامة تلغي الألم .

+ الصراع مرّ ولا يهدأ والخسارة أكيدة وبالمرصاد جسداً ونفساً ومالاً وكرامة !! ولكن شكراً لله ، هو صراع مع سلطان «الهواء» أمام سلطان «الروح القدس» ، صراع ظلمة متخلفة إزاء نور قاهر ، والخسارة منحصرة في كل ما هو ترابي وزمني ، والربح مضمون بعهد إلهي .

فبمجرد إعلان الإنحياز الكلي للمسيح بعزم وإصرار ، لا يعود صعباً على المسيح أن يعلن قيامته فينا^(١) ، لأن جحد الشيطان مع أعماله معناه الانضمام إلى ملكوت الله ، فالخروج من الظلمة هو الوسيلة الوحيدة لرؤية الشمس !! ولكن لا بد أن انجذبنا للشمس يكون قد بلغ العوز الشديد والحاجة الملحة ، حتى يعطينا بأس وسلطان كسر قيود الظلام ! آه ، ما أحوجنا إلى قلب تحرر من الخطيئة لنشهد لقيامة المسيح ونعيش في نورها المبارك المبهج ولنرسم لها مدى الحياة .

فإن كان إعلان القيامة عند التلاميذ يتوقف على معرفتهم للنبوات وتحققهم مما حدث للمسيح أمام عيونهم ، فالأمر بالنسبة لنا يختلف كل الاختلاف ، لأننا أدركنا سرّ صليبه وسرّ قيامته ، وتأكدنا منها بل وآمناً إيماناً عاماً ولم يعد علينا إلا أن ننحاز بالفعل إلى ملكوت المسيح لكي تستعلن لنا القيامة بقوتها كحياة جديدة فينا ، لنحيا مسيحيّتنا !

لقد جحدنا الشيطان وؤلدنا في المعمودية للقيامة ، ولكي نعيشها . فهل نحن الآن

(١) وبمجرد الإنحياز للملكوت الله واندفاق قوة القيامة التي هي الحياة الأبدية نجوز تلقائياً حالة موت حقيقي عن العالم ، فاستعلان المسيح المقام لبولس الرسول أنشأ فيه توبة وموتاً .

لها ؟ وهل نحن الآن نعيشها ؟ الأمر يحتاج إلى مراجعة شديدة .

بولس الرسول ينبّه ويحذّر «فإن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض (لاحظ أن الإهتمام بما فوق يميّز من القلب الإهتمام بما على الأرض — وليس العكس)، لأنكم قد مُثّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . ومتى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ١-٤).

القديس بولس الرسول يشير هنا إلى خبرته العملية تجاه الرب القائم من الأموات والتي دخل بها المسيحية توّاً، دخل بولس الحياة فمات شاول في الحال . بعكس الرسل الذين بدأوا برؤية الرب على الصليب وانتها برؤية الرب قائماً من الأموات لقد دخلوا يأس الموت ثم اشرقت عليهم بهجة القيامة . خبرة بولس الرسول أقرب لنا من خبرة الرسل، لسان حال بولس الرسول: أنا حي الآن لأن المسيح القائم من الأموات تراءى لي ودعاني، وهو الذي يحيا فيّ الآن، لذلك مات مني شاول الفريسي بكل حذاقته الناموسية وكل تمسكاته الفريسية، مات مني في الحال حال رؤيتي لقيامه الرب، مات مني باستعلان القيامة وقبولها في أحشائي، لأن صليب الرب سبق فابتلع كل تعديات الناموس في جسدي وأبطل كل سلطانه السابق فيّ .

لذلك يؤكد بولس الرسول أن حياتنا الآن بعد قيامة الرب وبعد دخول قوة القيامة في طبيعتنا، لا تتبع قوانين جسد أو دم فيما قبل الصليب بل قوانين جسد المسيح القائم من الأموات .

لذلك نحن الآن ماثتون بالفعل بموت المسيح الذي أكمله على الصليب، وقائون بالفعل بقيامة جسد المسيح من الأموات، لذلك نحن لا نحيا لأنفسنا بعد في جثة هذه الحياة الحاضرة ناظرين لما هو لنا، بل نحيا لمجد الذي مات عنا وقام فأقامنا معه، لذلك حينما يظهر المسيح في مجده سنظهر معه حتماً في ونفس مجده كشركاء في الصليب وفي المجد معاً، لأننا شهدود للصليب وشهود للقيامة شهادة حياة وليست كلاماً، شهادة سلوك

وليس منطوق ألفاظ وعقائد. «أحيا لا أنا بل المسيح (القائم) يحيا في»
(غل ٢: ٢٠).

القديس بولس الرسول يقوها صراحة وعلائية: أنا بولس قبلت المسيح الحي القائم من الأموات الذي أعلن نفسه لي ليحيا داخلي، فدفت شاول بكل ماضيه، دفنته بيدي!! والروح القدس الآن، وليس أنا، هو الذي يضطلع بإعلان المسيح الحي الذي في، أما عملي الوحيد فهو أن أنقاد بكل فوق لنعمة ومسرة الروح القدس!! حتى يستعلن المسيح في ويتمجد.

إذن، فالذين ذاقوا القيامة مع المسيح هؤلاء لهم صفات ولهم سلوك ولهم حياة خاصة تكشف أنهم يحيون قيامة المسيح، ولكن لا يزال كثيرون منا يعتقدون أنهم قاموا مع المسيح، ولكن هؤلاء حياة وسيرة وسلوك يكشف العكس، يكشف أنهم ناثون وليسوا قائمين: «لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح، ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور... لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف ٥: ١٢-١٤). «قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات لله» (رو ٦: ١٣).

يا أحبائي، إن أردنا أن نقبل قيامة المسيح ونعيش فيها، لابد أن يلتصق قلبنا جداً جداً بما هو فوق كما يقول القديس بولس. لابد أن تخلو سيرتنا من أي شيء يكون ذكره معشراً أو قبيحاً كما يقول أيضاً بولس الرسول، لابد أن تتوبخ بشدة حتى ينكشف النور، لابد أن نكون قد متنا بالفعل عن العالم وملكه الفاني، وختمنا وثيقة انضمامنا لمملكة المسيح، واستعددنا لكل غرامة، ونعيش فعلاً كأننا لجُزْأ الصليب والقبر، حتى تبدأ حياتنا الجديدة مستترة في المسيح وقيامته. ويكون مركز حياتنا وتفكيرنا وحركتنا واهتمامنا وآمالنا هي القيامة التي نشتهي أن نعيشها منذ الآن: الحياة الأبدية.

وإن أردنا أن تكون القيامة هي مركز حياتنا يلزم أن نغيّر ذهننا، ذهن العالم، بخلمه

خلعاً لنلبس فكر المسيح القائم، حيث لا خوف ولا اهتمام ولا انقياد لمجاملات هذا العالم الكاذب، ونعيش معه لحظة بلحظة منتصرين وأعظم من منتصرين.

صلاة

+ أيها الرب القائم من الموت، أرسل روح قيامتك ليحرك قلوبنا الغبية البطيئة في الفهم والإيمان، لنقبل هذه الحياة الغنية الغزيرة.

+ يارب كما نزلت إلى الجحيم وفككت المسيبين، انزل إلينا وأخرجنا من ضعفنا ووهنا، وقُدنا في موكب نصرتك بروح قيامتك.

+ نحن لا نريد رؤيا ولا إعلاناً ولا منظراً ولا أية موهبة إلا حركة الروح في قلوبنا، فنعيش قيامتك بقوة وسلطان إسمك.

+ نحن لا نريد شيئاً لأنفسنا قط، نريد كل شيء أن يكون لك وحدك، وتكون لك القيادة والسيادة علينا وعلى كل الناس والأرض كلها.

+ نحن لا نريد أن نعيش أحراراً في تفكيرنا، ولكن أحصرنا بروحك القدوس لننقاد لك أنت وحدك لنكون شهوداً لسلطان مُلكك علينا.

+ إقبل يارب عهدنا أن نموت من أجلك كل النهار حتى نستحق أن حياتك تنمو وتزداد فينا بقوة وحكمة لا تُعاند.

+ يامن رفعت الغشاوة من عيون تلميذي عمواس حتى تحرك قلوبها واشتعل بالنار، أشعل قلوبنا بكلماتك اليوم لنقوم ونجري ونتحول من مسيرتنا العابسة العائدة إلى الوطن الأرضي، إلى انطلاقة البشارة المفرحة بتبجيل مجد القيامة حتى النفس الأخير.

□

(١٩٧٩)

القيامة إيمان قائم على مشاهدة فائقة

القيامة حياة جديدة غير منظورة حسياً أي لا تُرى بالرؤيا العادية، فهي ليست حدثاً زمنياً يختص بهذا العالم كلية. فهذا العالم ينحصر في فعلين: ميلاد وموت، ويُحكم ببعدين: زمان ومكان. والقيامة فعل ثالث فوق الميلاد والموت، وهي أيضاً فوق الزمان والمكان، لذلك فالقيامة تخرج عن نطاق المنطق العقلي.

مفتاح إدراكنا للقيامة يلزم أن نفحصه أولاً في الإنجيل. في إنجيل متى ٢٧: ٥٠-٥٣، يربط ربطاً محكماً بين موت المسيح وقيامته وتأثير ذلك على قيامتنا نحن: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح! ... وإذا حجاب الهيكل قد انشق (رمز علاقة الله بالإنسان) إلى إثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين».

هذه هي شهادة الإنجيل عن القيامة وهي مطابقة تماماً لعلامات القيامة العتيقة العامة. إذن فالإنجيل هنا يهمس في آذاننا أن قيامة المسيح من الأموات هي في حقيقتها وفعلها فجر حقيقي للقيامة العامة، وبدء فعّال ودائم لها.

في الحقيقة يُعتبر هذا النص الإنجيلي من أهم النصوص التي وردت عن مفهوم موت الرب وقيامته:

+ لأنه يربط ربطاً عملياً وواقعياً مشاهداً ومشهوداً له من كثيرين أن موت الرب

أنشأ في الحال تأثيراً فعلاً محيياً في الموتى، ومن هنا جاء نشيد الكنيسة المعبر عن لاهوتها الخالد [بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية] . وموتى القبور عندنا الآن هم الأموات بالذنوب والخطايا حتى ولو كانوا في القصور.

إيمان الكنيسة ولاهوتها مشاهدة فعلية :

+ ثم كان هذا النص وهذا اللحن هو الأساس العملي أيضاً على مستوى المشاهدة والشهادة لإيمان الكنيسة أن قيامة المسيح من الموت أطلقت القائمين من قيود الموت، أي حررهم من سلطان الزمان والمكان، وبدأوا بالفعل يحيون الحياة الأخرى علناً كعربون وشهادة. هذا هو فجر الخلاص الذي شهده التلاميذ.

وهكذا يتبلور إيمان الكنيسة منذ البدء، على أساس مشاهدة فعلية أي خبرة إيمانية جماعية ولكن على مستوى خاص وفائق :

+ أن موت المسيح ألغى الموت وأنهى على سلطانه في الحال وفك أسرى الهاوية. «الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوه : ٢٥).

+ وأن بقيامة المسيح وظهوره بدأت القيامة للإنسان بالفعل، وإن كانت ظهرت في الجسد كحالة خاصة فهي عربون للقيامة العامة للقديسين الكائنة الآن بالروح والتي ستكون.

ومن هنا جاء الإيمان القوي الذي له ما يسندوه ويرره ويشهد له من الإنجيل بخصوص أرواح القديسين الراقدين في العالم الذين ظهروا ظهوراً خاصاً لكثيرين.

تسلم التلاميذ لبولس وبولس يسلمه لأهل كورنثوس :

هذا الإيمان الكنسي المعتبر حجر الزاوية في اللاهوت المسيحي، استلمه القديس بولس الرسول كتسلم قائم على إيمان واستعلان ورؤيا واختبار من التلاميذ، وسلمه لأهل كورنثوس (١ كو ١٥ : ١-٢٠) (سنة ٥٥/٥٦ م)، لا كأنه

اختبار إيماني وعقيدة مسلمة من التلاميذ فقط ، ولكنه أضاف إليها إيمانه هو الاختباري الواقعي فيما بعد . وطبعاً نضيف إلى ذلك رؤيته هو للمسيح علناً وسماع صوته من السماء .

دفاع بولس :

ويلاحظ أن محور دفاع بولس الرسول عن قيامة المسيح ليس هو لإثبات قيامته ، بل لإثبات قيامتنا ، مع أنه قدّم الشهود العيان ، وهو واحد منهم .

لا قيمة للشهادة المادية :

ولكن نعود ونقول وننبه : ما قيمة شهود عيان لحادثة لا يحكمها الزمان والمكان ، فلا العين تستطيع أن تتحقق منها خُلُوعاً من موهبة الانفتاح ، ولا العقل يمكن أن يستوعب الرؤيا ويصدقها خُلُوعاً من موهبة إيمان . لذلك نجد الشهود قليلين جداً لأنهم مختارون من الذين يستطيعون أن يروا ما لا يرى ، ولا نجد شهادة واحدة من الجميع يتفق عليها الجميع . ففي رؤية بولس للمسيح ، بعض الذين معه سمعوا الصوت ولم يروا أحداً ، وبعضهم رأوا ولم يسمعوا ، كذلك في دخول بطرس ويوحنا للقبر ، بطرس رأى وخرج مندهشاً ، ويوحنا نظر فآمن وهذا هو الحال في رواية القيامة في الأناجيل الأربعة ، الأمر الذي حَيَّر العلماء واستنفذ كل ذكائهم وصبرهم بلا أي فائدة — فالقيامة أولاً وأخيراً حالة فائقة لا تُدرك إلا بانفتاح خاص وموهبة خاصة وفي حالة أو مستوى روحي خاص . لذلك نجد بولس الرسول لا يركّز على القبر الفارغ أو شهادة النسوة أو الملاك .

كذلك نجد أن بولس الرسول يركز بشدة على حقيقة القيامة كمحور الكرازة بالمسيح ، على أساس أنها تنشئ قيامة فينا . هذا الإيمان الواثق استلمه بولس واختبره ، وهوقة الإيمان بالمسيح وبدونه لا منفعة من الإيمان بالمسيح قط .

«إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا» (١ كور ١٥ : ١٤) ، (لماذا؟ لأننا

نحن التلاميذ والرسل واثقون بالشهادة والتسليم، ولأن قيامة المسيح ليس لها أي هدف أو غاية إلا إقامتنا وإقامتكم من الأموات) «وباطل أيضاً إيمانكم» (١ كور ١٥: ١٤) (لماذا؟، لأن أي إيمان بالمسيح بدون الإيمان الحي بأنه قام من الأموات فلن تكون له قوة قيامة، وإذا لم تكن لكم قيامة فنحن وأنتم أشقى جميع الناس، لأننا نبقى في خطايانا ونتألم بلا رجاء).

يقين الإيمان بالقيامة ينشأ من حالة قيامة بالروح فعلية:

ولكن من نص إنجيل القديس متى ونص القديس بولس نستشف يقين نحسه في أعماق قلوبنا أن الكنيسة الأولى كانت تعيش بالفعل في حالة يقين الإيمان بالقيامة، لا كمجرد مبدأ إيماني أو نظرية لاهوتية، ولكن كانت تعيش في حالة قوة هذه القيامة كحقيقة معاشة. وهذه الحالة بعينها، وليس أي شيء آخر سواها، هي التي نقلت التلاميذ من حالة الخوف وعدم الإيمان وضعف الفهم وانعدام الإدراك لكل ما قاله المسيح وكل ما تم على الصليب إلى اللحظة التي أعلن فيها عن القبر الفارغ، وسمعوا بخبر قيامة المسيح من الملائكة: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما. فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه. واذها سريعا قولاً لتلاميذه إنه قد قام من الأموات» (مت ٢٨: ٥-٧).

ولكن كيف استلم التلاميذ هذا العربون أو هذه الحياة الجديدة بكل خصائصها؟

لم تكن البراهين المادية على الإطلاق سبباً في قبول التلاميذ حالة الإيمان بالقيامة ونوال عربونها، فلا القبر الفارغ ولا حديث النسوة ولا شهادة الملائكة ولا رؤية الرب نفسه كان كافياً، لأنه مكتوب بكل وضوح: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجليل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا» (مت ٢٨: ١٦-١٧).

الرب يسلم سر قيامته بسلطانه للتلاميذ :

ولولا أن الرب تقدم وبدأ يكلمهم ثم وهبهم في هذه اللحظة قوة وسلطاناً خاصاً على إدراك كل الحقيقة، لبقوا بلا إيمان: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا (هنا فاء العلة تأخذ معنى أنه أعطاهم هذا السلطان) وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم (السند الثاني الدائم) كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت ٢٨: ١٨-٢٠).

+ حتى في حادثة توما، فما جعله يؤمن هو انفتاح بصيرته مع وضع إصبعه، نتيجة لقول الرب له: «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٧). واضح جداً أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يقبلوا القيامة بالبرهان المادي أو العقلي على الإطلاق، لذلك تدخل الرب يسوع وسلمهم هذه القيامة بكل سلطانها كفعل حياة سري، وكقوة حياة لخلقة جديدة. لذلك، فالقيامة في الإنجيل وفي الكنيسة هي قوة تُمنح في سر.

القيامة مجد:

كما يلزمنا أن نفهم تماماً أن القيامة ليست مجرد قيامة أجساد من الموت، بل هي بالدرجة الأولى حالة حياة في مجد لخلقة جديدة، هي شركة في مجد الله، فجسد المسيح المقام كان في حالة مجد، لذلك كان من العسير للعين العادية والإيمان العادي أن يدرك القيامة إدراكاً كاملاً، إلا إذا أُعطيت نعمة نظر هذا المجد، وإلا فلن يرى إلا مجرد خيال كما ظنه التلاميذ عند أول ظهوره: «وفيا هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً» (لو ٢٤: ٣٦ و٣٧)، مع أنه كان واقفاً أمامهم بكل مجده.

القيامة حالة مجد وغبطة في حضرة الرب:

من هنا يبدأ إيماننا بالقيامة، فالقيامة حالة مجد، واشتراك «في مجد». لا هي إيمان

عقل ولا رؤية عين!!، لذلك يُقال أن كل نداء بالمجد δόξα في الكنيسة هو إعلان وشهادة أن الكنيسة حاضرة بالقيامة في حضرة الآب والإبن والروح القدس. فالنداء بالذكصا إعلان عن حالة القيامة التي تعيشها الكنيسة في كل لحظة، هونداء الإعتراف والشكر والتوسل معاً.

واضح جداً يا أحبائي أن الكنيسة الأولى كانت تعيش هذه الحالة عينها، حالة المجد «الذكصا» حالة القيامة، حالة حضور الرب حسب وعده الصادق والأمين «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر». حضور الرب هو حالة قيامة مجمدة ندخل فيها ونعيش فيها. الكنيسة هي مكان حضور الرب عندما تكون مجتمعة باسمه للشهادة والتسبيح والتمجيد لإسمه. فالكنيسة تعيش مجد القيامة وتسلمها لأولادها طالما هي تشهد وتكرز وتعلم بالروح والحق من خلال الصلاة والأسرار والتسبيح.

تسليم قوة القيامة من الرب المقام:

ثم لاحظوا تماماً أن التلاميذ لم يقبلوا حقيقة القيامة كفعل وحياة وطاقة شهادة وكرازة وفرح إلا من الرب نفسه وبروحه القدوس عندما كانوا مجتمعين معاً سواء في العلية بعد القيامة أو في العلية في يوم الخمسين.

لذلك لا بد أن نفهم ونعي تماماً أنه يستحيل علينا أن نعيش في عربون القيامة أو نقبل فعل الحياة الأبدية أو ندوق مجد الله إلا بحضور المسيح ومع المسيح وفي ملء الروح القدس. ففي قيامة المسيح هي قيامتنا كما تقول الكنيسة في أوشية كل إنجيل: «لأنك أنت هو حياتنا كلنا،... وقيامتنا كلنا».

كما يلزمنا أن نلاحظ أن البرهان المفرح والمُقنع جداً على قبول التلاميذ قوة قيامة المسيح هو تحول حياة التلاميذ من الضعف إلى القوة؛ من اليأس إلى الرجاء؛ من الخوف إلى الشجاعة؛ من الإنكار والهرب إلى الكرازة والفرح بالإضطهاد والبذل حتى الموت. لذلك يناسبنا أن نضع هذا المقياس الحساس والدقيق جداً نصب أعيننا لكي

نتحقق من حصولنا على سر قيامة الرب في حياتنا .

رجاء القيامة هو سلطان المسيح الذي لا يُخَد في السماء وفي الأرض :
الرب الحاضر بقيامته معنا وفينا والذي نركز بموته وبقيامته له كل السلطان
على كل السماء والأرض !!

من الأسباب التي جعلت التلاميذ يتغيرون و يصيرون على مستوى القوة للكراسة
باسم الرب لكل العالم هو أن الرب استلم كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض .

العلاقة هنا بين سلطان الرب والكنيسة سرّية للغاية ، والرب نفسه هو الذي أشار
إليها : «دُفِعْ إِلَيَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...» .
الأمر الذي يعطيه الرب هنا لتلاميذه بالذهاب للكراسة للعالم كله ، ليس أمراً عادياً بل
هو مشفوع بتأكيد و وعد وتأمين سرّي أنهم سيعملون تحت مظلة سلطان المسيح هذا
الذي تخضع له كل السماء والأرض .

قيامة المسيح هنا لم تقف عند حد غلبة الموت ، أو حتى الصعود إلى السماء ، أو حتى
مجرد الجلوس عن يمين العظمة في السموات ، بل إن قيامة المسيح كشفت عن مستوى
المجد الذي للمسيح إذ تسلّم من الآب كل سلطان مما في السموات وما على
الأرض ، ولكن ليس بمجرد أن يحتل المسيح مكانته في المجد لنفسه ، ولكن لا يزال هذا
المجد والسلطان يعمل لحساب الإنسان . فالرب بكل وضوح وعلائية يؤكد لتلاميذه أن
ذهابهم إلى أقصى العالم للخدمة والكراسة إنما هو المسؤولية المباشرة المنبثقة من سلطانه ، أي
أنه نال هذا السلطان لتكامل خدمة الكرازة على الأرض لخلاص العالم .

هذه الحقيقة تعطي للقيامة امتداداً في السماء والأرض — بواسطة الكنيسة —
لتكامل الخلاص من واقع سلطان المسيح الحاضر في كنيسته بقيامته ومجده وسلطانه معاً .

فنعني أن يأخذ المسيح سلطاناً في السماء وحدها شيء ، وكونه يأخذه في السماء وفي

الأرض فهذا واضح جداً أن المسيح يملك في كنيسته على الأرض بسلطانه السماوي
لحساب خلاص كل نفس .

وهذا الوعد أو الأمر بحمد ذاته يُعطي للكنيسة قوة ورجاء وعزاء لا يُقهر ولا
يقف عند حد، كما يُعطي لكل إنسان يسعى نحو بلوغ القيامة قوة دفع لا يقدر
الموت أن يوقفها .

والكنيسة التي تعيش في قوة القيامة هي حقاً تعيش في استعلان المجد أي في الذكوا

□

الدائمة !!

(١٩٨١)



القيامة حياة وشهادة

سيظل حديثنا عن القيامة جديداً كل عام لأن القيامة مجد ذاتها فعل تجديد. ولكن من الأشياء المدهشة في الإنجيل أن المسيح يقوم والتلاميذ لا يصدقون! ولكن أخاف لئلا نكون كالتلاميذ، لأنني متيقن أنه إن لم نحس بالمسيح المقام من أجلنا فلن تسري روح القيامة وقوتها فينا.

مريم المجدلية رأت المسيح القائم من بين الأموات ولكنها لم تستطع أن تعرفه، لأنها كانت منحصرة في المسيح الميت، ولكن بعد أن تحدث معها المسيح وانتهت أنها أمام القيامة عينها قالت في الحال: «ربوني...» أي «معلمي»؛ هنا أحسّت مريم أن المسيح المقام هو هو لها. والمدهش حقاً أن تذهب مريم مسرعة وتبشر التلاميذ أنه قام. ويأتي بطرس ويوحنا يركضان معاً إلى القبر ومجدانه فارغاً، ويظهر المسيح بعد ذلك لبطرس، وتبقى القيامة بعد كل هذا بعيدة التصديق. ولكن تلميذي عماوس يقابلان يسوع في آخر النهار وهما يتطارحان معاً الحديث في همّ ثقيل بخصوص أخبار القيامة، ويسمعها يسوع يقولان: «بل بعض نساء منا حيرتنا اليوم» (لوقا: ٢٤: ٢٢)!! فبدأ الأمر للمسيح غير محتمل، فابتدروا بتوبيخ قائلاً: «أيها الغبيان والبطيخا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن يتألم المسيح بهذا ويدخل إلى مجده!» (لوقا: ٢٤: ٢٥-٢٦). وعاد المسيح وكرّر عبارات التوبيخ عينها للتلاميذ الأخصاء، فوثّج عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام.

قيامه المسيح من الأموات هي إعلان:

الفعل الأول: حدث زمني تاريخي منظور ومحقق، بل ولمس ومسموع.

الفعل الثاني: فعل روحي سرّي غير منظور، لا يُحقق لا على مستوى الحس ولا على

مستوى الزمن.

الفعل الأول أي الزمني:

السيد المسيح ارتضى أن تكون قيامته حدثاً تاريخياً منظوراً ومحققاً؛ فقد سبق فحدده هو زمنياً (في ثالث يوم)، أي جعل قيامته حدثاً واقعاً في صميم الزمن والساعة، ثم أكمله بظهور حقيقي ملموس «جسدي وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام...» (لو ٢٤: ٣٩) ثم أكل معهم... ثم جلس في وسطهم... ثم تكلم ووبخهم...

فعل القيامة الزمني هذا من الأفعال النادرة التي حدّدها المسيح بالأيام والساعات. فالمسيح ظل على مدى كرازته يكرّر أنه «إبن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ١٧: ٢٢ و٢٣). هنا تحديد القيامة بعد الموت بعدد محدّد من الأيام يهدف إلى جعل القيامة في متناول الإدراك الكامل للإنسان. فهو لم يحدّد الميلاد مثلاً ولكنه حدّد القيامة بالضبط.

وإنه وإن كانت حوادث الإنجيل كلها قد وقعت بعيدة عنا بالرغم من حدوثها في صميم التاريخ، إلا أن القيامة تربطنا مباشرة بكل حوادث الإنجيل، وتحقق لنا وفي حياتنا كل ما أكمله المسيح في الإنجيل.

هنا القيامة، كونها حدثاً زمنياً فهي أمر مفيد جداً، ليس فيما يخص الإيمان، لأن الإيمان يلزم أن يتحقق بدون الفحص الحسي أو البحث الزمني وإلا ما كان المسيح وبُعث كلاً من توما وتلميذي عماوس بشدة: «أيها الغبيّان والبطيّان القلوب في الإيمان، أما كان ينبغي (أن تعلموا من أنفسكم وبدون برهان حسي أو تاريخي) أن المسيح يقوم»؟! ولكنه أمر مفيد جداً فيما يخص تحقيق كل أعمال المسيح برمتها — والتي لا يمكن تحقيقها

تاريخياً — فالقيامة أثبتت كافة معجزات المسيح الفارقة، كما أثبتت صدق بنوته الجوهرية لله وميلاده البتولي من عذراء: «وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (روا: ٤)، كما أكّدت القيامة وعد مجيئه الثاني كأمر محتم: «أيها الرجال الجليليون ما بالكُم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع: ١١).

لذلك نجد أن المسيح يعمّن في توقيع حادثة قيامته الزمنية على مستوى الرؤيا الشخصية، فيظهر لمرم ولبطرس ثم للرسل ثم لخمسمائة أخ ثم لبولس، ويأكل مع التلاميذ ويتحدث معهم، ويستمر يظهر لهم مدة أربعين يوماً! وذلك لكي يحقق من واقع يقينية قيامته أساس تجسده وموته الإعجازي كفارة لمغفرة الخطايا ومجيئه الثاني للمجازاة! أي لكي يدخل المسيح كافة أعماله وصفاته الفارقة للزمن والحواس إلى داخل الزمن والحواس، لكي تُستعلن في دائرة المعقول والمحقق.

لذلك، أصبحت القيامة التي حقّقها المسيح — كأخر معجزة — هي الباب الوحيد والمفتاح السري الذي ندخل به إلى كافة أسرارهِ، وبالأخص سري التجسد والفداء، ثم سر مجيئه الثاني للدينونة.

— فإذا لم يكن المسيح قد قام في مجد الله فهو لم يمت، وإذا لم يكن قد مات فنحن لن نرث مجد قيامته.

— وبالتالي، يكون الذين رقدوا في إيمان قيامته، لا يقومون بعد لميراث الحياة الأبدية معه بل لعقاب الدينونة.

— «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم،... أنتم بعد في خطاياكم، إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا» (١كو٥: ١٤ و١٧ و١٨).

فقيامه المسيح التي تمت على مستوى الزمن والمشاهدة هي المدخل الوحيد لنوال قوة الإستعلان لكل أعمال المسيح الخاصة بالإرتقاء بالخليقة البشرية حياة أفضل وأعظم وأمجّد، أي إستعلان سر الموت الكفّاري والخلاص والفداء ومغفرة الخطايا ونوال وعد الحياة الأبدية لميراث المسيح في ملكوت الله .

أما الفعل الثاني للقيامة :

فهو فعل روحي سري غير منظور ولا محقّق زمنياً، وهو الذي نتقبّله نحن الآن بالإيمان ونعيش فيه ومن أجله .

فنحن الآن بالإيمان نرفع قلوبنا إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة في الأعالي، فنحس بعلاقتنا الوثيقة بالمسيح ونرتبط بمسيرنا الأبدي ونستوطن عنده . فالقيامة هي مصدر حياتنا الجديدة ونور إيماننا .

كما أننا نجاهد كل يوم، بالحب والبذل والتفاني في خدمة الآخرين، على أساس أن تُستعلن لنا قوة القيامة أكثر فأكثر في حياتنا لكي نعيش بالروح فوق مستوى أتعاب هذا الدهر ومطالبه، لأن هذا هو مضمون القيامة وقوتها، أي برجاء آخر غير رجاء هذا العالم : «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩) .

العلاقة بين الفعلين :

القيامة كفعل زمني تحقّق لنا كل مواعيد الله السابقة سواء في العهد القديم بكافة حوادثه أو العهد الجديد بكل عطائه الإلهي .

القيامة كفعل روحي تُجسّد لنا هذه الحوادث والمعطيات عينها لنعيش بها ونستمتع بقوتها الروحية المذخرة لنا فيها .

والمفروض أننا نحقق القيامة ونتأكد منها عقلياً وحسبياً، من مصدرين :
أولاً: من الكتب، أي الأسفار المقدسة، وهكذا فعل المسيح مع تلميذي عمواس . «ثم

ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به في جميع الكتب»
(لو ٢٤: ٢٧).

ثانياً: من شهادة الذين رأوا القيامة ولمسوها.
«ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام»
(مر ١٦: ١٤).

كذلك فإننا نحقق القيامة روحياً:
أولاً: باتصالنا بالمسيح رأساً، كعلاقة شخصية تقوم على المحبة والأمانة والطاعة: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١).

ثانياً: بتجردنا الداخلي وتغربنا من شهوة العالم وانفكاكنا من الرُّبُط التي تربطنا بالناس المسوكين في هذا العالم: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك»
(مت ١٩: ٢٧).

وحينئذ تسري فينا قوة القيامة، أي الانتقال من الموت إلى الحياة: «إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (١ يو ٣: ١٤).

والدرس الذي ألقاه المسيح على تلميذي عمواس يختص بهذين الفعلين معاً؛ أما القيامة كحادثة زمنية مشهود لها فلم تسعفها وحدها للإيمان بالقيامة ككل، فبالرغم من أنها كانتا تلميذين وقد عاينا الرب وتعاليمه ومعجزاته وتصريحه بالقيامة التي سوف يكتملها بعد موته بثلاثة أيام، وسمعا خبر قيامته عن شهود عيان، إلا أنها ظلا بطيئي الإيمان في القلوب فعلاً حيث لم يتعدَّ إيمانها بالقيامة ما هو عتيق أن يكون في نهاية الزمن، وكان المسيح إنسان مثلهما.

كذلك لم يستطع إيمان التلميذين أن يحتمل إمكانية تألم المسيح وصلبه أي موته الفدائي الذي يؤهل للقيامة، لذلك غاب عنها فعل القيامة الإلهي!

كذلك التلاميذ أيضاً كانوا جميعاً في الواقع ينتظرون استعلان ملكوت المسيح في الحال بدون موته، أي أن يصعد المسيح بمجد كإيليا، وبذلك اسقطوا عمل الفداء والكفارة من إيمانهم، فاستحالت عليهم القيامة فهماً وإيماناً. وهذا واضح جداً من تعليق التسلميذين على أخبار القيامة التي جاءت بلغتها هكذا: «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل (أي بدون الصليب)، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك، بل بعض نساء منا حيرتنا إذ كنَّ باكراً عند القبر، ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي، ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء، وأما هو فلم يروه» (لوقا ٢٤: ٢١-٢٤).

ومن هذا الاعتراف وضع أن التلاميذ ظلوا حتى بعد إعلان القيامة وتحقيقها الفعلي غير مؤمنين!!

والأكثر من ذلك تصرّح توما الرسول: «فقال له التلاميذ الآخرون: قد رأينا الرب (قائماً من الموت)، فقال لهم: إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن» (يو ٢٠: ٢٥).

والتلاميذ بالإجماع لم يستطع إيمانهم قبول فعل قيامة الرب بصورته الزمنية، حينئذ: «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدّقوا الذين نظروه قد قام» (مر ١٦: ١٤).

أما سبب توبيخ المسيح إياهم بسبب عدم إيمانهم فهو:
أولاً: لكون حياته ومعجزاته وأعماله ووعده بالقيامة كانت تكفي للإيمان بقيامته.
— فالعهد القديم بذبائحه الكفارية ووعده بالفداء يكفي للإيمان بتجسد المسيح وتأمّله وموته الفدائي.
— وحياة المسيح الفائقة وأعماله التي انتهت بإقامة لعازر من الموت تكفي للإيمان بقيامته.
— وقيامته تكفي للإيمان بمجيئه الثاني للمجازاة.

ثانياً: لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام!! حتى توما لم يصدق شهادة عشرة تلاميذ بخلاف النسوة!! ومعروف في صميم الناموس أن شهادة إثنين أو ثلاثة تكفي!!

سبب عدم إيمان التلاميذ بالقيامة في البدء:

أولاً: عدم استطاعتهم الجمع بين نصرته ومجد القيامة وسحق ومذلة الصليب، أي غياب فهم خطورة الخطية وأهمية الفداء والكفارة وغفران الخطايا.

ثانياً: تصور القيامة كحالة روحية فائقة وغير عادية وغير جسدية ملموسة، يصحبها قوة ومجد وسلطان ودينونة (وهو المقصود فقط عن المجيء الثاني).

ثالثاً: الإنحصار في الحوادث وعدم الالتفات والتمسك بالكلمات التي قالها الأنبياء، والتي أوضحها المسيح لهم بخصوص موته وقيامته وتصديقها في الحال.

رابعاً: عدم القدرة على تصور إمكانية إنقهار الموت وغلبته وقيام الجسد كما هو (توما).

لذلك كان درس المسيح منصباً على هذه العقبات سواء لتلميذي عماوس أو لتوما أو للتلاميذ المجتمعين. فشرح لهم الكتب وأراهم يديه وجنبه، ولسوه وأكل معهم، ونفخ فيهم الروح القدس وأعطاهم السلطان (المستمد من موته الكفاري) على مغفرة الخطايا. وكان نتيجة درس المسيح وشرحه النبوات لهم ونفخ الروح القدس فيهم، أن قبلوا القيامة لا كفعل زماني يحتاج بعد إلى ظهور الجسد ولمسه، ولكن كحقيقة حية خالدة وقوة فعالة لمغفرة الخطايا يمكن التبشير بها للعالم أجمع دون ما حاجة إلى مشاهدة حسية.

ففعّل القيامة الروحي الذي هو مجد ذاته قوة إلهية داخلية ونور أخروي وحياة أبدية وخلاص، إن كان يحتاج مبدئياً إلى الإيمان أولاً بالقيامة كفعل زماني تم وحدث، وذلك بتصديق الكتب ووعد الرب، لكن هذا يجد ذاته لا يكفي:

— فبدئياً، أنت تؤمن أن كلمة الله حقيقة، وبذلك تُصبح القيامة كفعل زماني حقيقة أيضاً. وإلى هنا لا تكون محتاجاً أن ترى المسيح القائم بالجسد، أو تطلب أن تراه وتلمسه. فقد وُثِّقَ المسيح توما والتلاميذ على طلب البرهان الحسي.

— أما من جهة الشهود فهي نحن الآن قد صار لنا شهود كثيرون من واقع الإنجيل، الذين رأوا المسيح المقام، وبولس الرسول قدّم نفسه كشاهد «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا لأني أصغر الرسل...» (١ كو ٢: ٨) حيث تحيي شهادته مصدقة لكافة الشهود السابقين وبعدهم جميعاً كشاهد عيان للمسيح المقام.

— لكن نحن يا إخوة لا يكفينا تقصي الحقائق التاريخية لنؤمن بالقيامة كحدث زمني فقط لكي نأخذ قوة القيامة كفعل إلهي. إن سبب ضعف إيمان التلاميذ بالقيامة هو أنهم لم يدركوا بعدها الإلهي الفائق للزمن؛ لذلك، وبعد أيام من قيامة الرب، ذهب بطرس وبعض التلاميذ لصيد السمك؛ وكأن القيامة فعل ماضي لا يختص بخلاصهم الأبدي. ولكن المسيح ظهر لهم ليرتفع بإيمانهم مرة أخرى فوق المهنة وأكل العيش وصيد السمك، وقال لبطرس: «إرع غنمي» (يو ٢١: ١٦).

فالحدث الزمني لا يكفي، إذ لابد من رؤية الحدث بإحساس ما فوق الزمن، لتقبل القيامة كفعل إلهي يختص بغفران الخطايا وخلصنا وتجديدنا وخلقتنا السماوية وحياتنا الأبدية.

الخطأ الذي وقع فيه التلاميذ هو أنهم نظروا القيامة كعمل غير مختص بخلصهم هم وبحياتهم الأبدية، بل مختص بالمسيح فقط؛ واكتفوا بأن المسيح سيأتي في ملكه ويملك فيملكون معه وكفى، وهذا الأمر لا يضع على عاتقهم أية مسؤولية. كما كانوا يعتقدون أن القيامة في أقصى مفعول لها إنما تختص بتحول ما، قد يحدث لهم فيما بعد، وهكذا ابتعدت عنهم قوة القيامة لما أبعدوها بفكرهم عنهم كفعل إلهي للخلاص لازم وعتم، ولم يفيقوا إلى مسؤوليتهم إلا بعد أن قال لهم المسيح: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩). لقد قال لهم أن تقول للتلاميذ أن «يذهبوا إلى الجليل (موطن الخدمة) وهناك يرونني» (مت ٢٨: ١٠) لتكميل الرسالة!!

يا إخوة تيقظوا معي... القيامة كفعل إلهي مسؤولية عظمى، ولن يعمل فينا هذا

السر الإلهي إلا إذا فهمنا أن القيامة فعل حياة ورسالة نتقبلها الآن لنحيا بها ونبشّر ولا
ننتظرها في اليوم الأخير كمرم ومرثا...!!

فالقيامة في وضعها الروحي فعل قوة لغفران الخطايا للخلاص والمجد وتجديد الحياة
وبشارة... كما ينبغي أن لا يغيب عن ذهننا قط أن المسيح وهو الإله، وهو القيامة
والحياة، تألم وجُلد وشتم وضُرب!، ونحن مدعوون بالمثل أن نعيش قوة القيامة تحت
الآلام!... وأن نذوق مجد القيامة تحت ثقل كل ضروب المعاناة... حينئذ فقط تُستعلن
القيامة فينا ويتمجد المسيح!! وهل يمكن أن نبشر بالآلام ونشارك
فيها؟

المسيح لم يستكره الظلم بل التصق بالآلام، وجعلها وكأنها شيء قريب إلى نفسه
ومحِب، بل ومكْمَلٌ لحياته «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

لذلك كلما ازدادت الآلام للسائرين في طريق الملكوت، كلما استعلنت قيامة
المسيح لهم وفيهم وصاروا شهود صدقٍ للمصلوب المقام.
(١٩٨١)

وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي (قانون الإيمان)

١ . ارتباط الموت بالقيامة بالنسبة للمسيح وبالنسبة لنا

«اخرستوس أنستي» .

يلاحظ : «اخرستوس» يعني «المسيح» أي «المسيا قام» ، وليس «إيسوس أنستي» أي «يسوع قام» .

الكنيسة بهذا النداء تعلن ، عن قصد وشهادة ، بدء العصر المسيا في جهاراً : «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً (مسيا)» (أع ٢ : ٣٦) .

لقد حرص المسيح أن لا يستعلن أنه المسيا طيلة أيام خدمته ، حتى يكمل آلامه بلا عائق و يوفي حقوق الكفارة على الصليب بمحض إرادة صالبيه ؛ لهذا كان عسيراً حسب المنطق البشري أن يربط تلاميذه بين الصليب والقيامة ، وهذا ما حدا بالمسيح أن يصححه بمجرد قيامته ، إنما بتوبيخ شديد لتلميذي عمواس اللذين اختلط عليهما الربط بين مجد القيامة وبين مهانة صلبه وموته «فقال لهما أيها الغيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو ٢٤ : ٢٥ و ٢٦) .

ويلاحظ أن هذه العشرة عنها اصطدم بها يوحنا المعمدان حينما أرسل تلميذين يسألان

المسيح: «أنت هو الآتى (المسيا) أم ننتظر آخر» (مت ١١: ٣)، بسبب بساطة مظهره وضعف سلطانه الديني على الرؤساء والملوك (الذين سجنوا يوحنا المعتبر أنه يعدُّ الطريق أمامه)؛ فردَّ المسيح عليه قائلاً بما يفيد حقيقة من هو باعتبار أن عصر المسيا وأعماله ها هي أمام أعينكم:

«اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمي يبصرون والعرج يمشون والبُرس يُطهِّرون والصَّم يُسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يعثر في» (مت ١١: ٤-٦).

هنا نلاحظ أن أقوى علامة تشهد له أنه المسيا هي سلطانه على إقامة الموتى، وهو سلطان الله نفسه. وقد أوضح المسيح علاقة سلطانه على إقامة الموتى بحقيقة أنه ابن الله «الآب يقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء» (يو ٥: ٢١).

أما قيامة المسيح نفسه من الأموات وصعوده إلى يمين الله، فجاءت لتؤكد أن صاحب السلطان الإلهي على الإقامة من الأموات يتعين عليه بالأوّل وبالدرجة الأولى أن يقوم هو من الأموات قيامة دائمة ومجدة: «وتعيّن أبْن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤).

بل وحصر المسيح القصد والغاية النهائية من مجيئه في إعطاء الحياة الأبدية وإقامة الأموات!! «هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمُه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٤٠). فالقيامة من الأموات هي جوهر رسالة المسيح للخلاص التي بدأها بنفسه وأكملها بنا في اليوم الأخير.

بسر التناول أصبحت قوة القيامة في متناول الجميع:

والمح المسيح أن قوة القيامة كائنة في جسده، ولهذا أسس سر التناول حتى تصبح قوة القيامة في متناول الجميع وبصفة دائمة مستعدة في كل زمان ومكان «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمُه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤). ولا يخفى على

القارىء أن في إعطاء المسيح لتلاميذه جسده ودمه يوم الخميس قبل الصليب لمغفرة الخطايا ولحياة أبدية، كشفاً ما بعده كشف أن القيامة والحياة كانت في جسده قبل الموت كما هي بعد الموت، وهو يسلمها لنا الآن على نفس النمط أي قبل الموت لتأخذ منتهى استعلانها بعد الموت وفي اليوم الأخير.

ولقد صرح المسيح مرة أنه هو هو المسيا الآتي وذلك للسامرية حينما واجهته بإيمانها المرهف «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يُقال له المسيح يأتي، فتي جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: (الاصطلاح الخاص بالتعبير عن كينونة الله) أنا هو Ego Eimi الذي يكلمك!» (يو: ٤: ٢٥ و٢٦).

ولكن المسيح حرص جداً أن لا تُستعلن شخصيته كمسيحاً، إلا بعد القيامة، حتى لا يتعطل الصليب. ولأن استعلان القيامة يلزم أن يكون النتيجة الإيمانية المباشرة لموت المسيح على الصليب، كما ورد شرحه في حادثة التجلي: «و بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عالي منفردين وحدهم. وتغيرت هيئته قدامهم (حالة قيامة). وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج... وظهر لهم إيليا مع موسى (شهادة الأنبياء والناموس)، وكانا يتكلمان مع يسوع... وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم أن لا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام أبن الإنسان من الأموات...» (مر ٩: ٢-٩).

وكما ورد في شهادة القديس بطرس: «وأنتم من تقولون إني أنا. فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح (المسيح) فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه. وابتدأ يعلمهم أن أبس الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مر ٨: ٢٩-٣١).

حتمية الآلام، هي طريق استعلان القيامة:

لقد صرح المسيح بعد قيامته مباشرة فكر التلاميذ، وبالتالي فكر الكنيسة كلها من

جهة حتمية الآلام والموت للمسيا لكي تُستعلن القيامة، وبالتالي الحياة الأبدية والملكوت؛ وذلك باستخدام المسيح شرح ما جاء عن ذلك في الأسفار المقدسة «ثم ابتداء من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به، باعتبارها المسيا، في جميع الكتب» (لو ٢٤: ٢٧).

ومنذ تلك الساعة بدأ التلاميذ وكل الكنيسة بعد ذلك في الدراسة والفحص والتفسير لجميع الكتب (الأسفار المقدسة) بهمة فائقة ونشاط شخصي وجماعي حتى استقرت تفاسير الأسفار كمصدر رسمي للتأكيد على صحة ما تم من ارتباط الآلام والموت بالقيامة في إيمان الكنيسة. وهذا نسمعه بوضوح من بولس الرسول عدة مرات: «فإنني سلمت إليكم (التقليد) في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١ كو ١٥: ٣ و٤).

ثم يعود بولس الرسول ويؤكد أن تألّم المسيا هو العلة الأساسية لاستعلان كونه أول قيامة الأموات، ليس كنموذج بل كمصدر. ثم أن ارتباط التألم بالقيامة يشكل علامة أساسية للتعرف على مجيء المسيا وبدء خدمته للعالم كله وذلك حسب الكتب. «فإذ حصلتُ على معونة من الله بقيت إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون،، إن يؤلّم المسيح يَكُنْ هو أول قيامة الأموات مزعماً أن ينادي بنور للشعب،، والأمم» (أع ٢٦: ٢٢ و٢٣)، هذا هو التقليد الموروث من الأسفار أن علامة المسيا هي أن يتألم ويموت ثم يقوم!!

حتمية القيامة، هي طريق اكتمال فعل الصليب:

كما يتحتم أن ندرك أن إيماننا بالقيامة وبفعلها وأثرها إنما يرتبط ارتباطاً جوهرياً بدبيحة كفارة المسيح على الصليب، حتى إن الصليب وحده دون القيامة يستحيل أن يقوى على غفران الخطايا، هذا ما حدا ببولس الرسول أن يقول: «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم» (١ كو ١٥: ١٧). إذأ، القيامة هي

برهان صلاحية المسيح على الكفارة، وهي الصك الختامي لغفران الخطايا وتوثيق عام بشهادة شهود لعمل الصليب. لأن على الصليب حل المسيح خطايانا وتقبل عنها عقوبة الموت في جسده الطاهر ليفدينا من اللعنة والموت. فلو ظل في الموت بدون قيامة لظلت خطايانا محبوسة بالموت وظل الموت سائداً علينا. ولكنه قام بقوة لاهوته وبعامل قداسته «ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه» (أع ٢: ٢٤)، مبطلاً الموت ومبطلاً الخطيئة بالتالي، إذ دفع ثمنها في جسده. ويوضح بولس الرسول بدقة العلاقة بين عمل الصليب وعمل القيامة وارتباط كل منهما بالآخر بالنسبة لنا هكذا: «الذي أُسلم (للموت) من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥).

وأيضاً يقول: «وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطيئة وأما الروح فحياة بسبب البر.» (رو ٨: ١٠) أي أننا بالإيمان بالمسيح يتم الاتحاد بجسده في الموت والقيامة؛ وبذلك نكون أبطلنا جسد الخطيئة، أي صلبننا معه الإنسان العتيق، «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة، لأن الذي مات قد تبرأ من الخطيئة» (رو ٦: ٥-٧). وهكذا يصبح ارتباط موت المسيح بقيامته جوهر الإيمان المسيحي الذي يقوم على أساس غفران الخطايا وانتظار الحياة الأبدية برجاء حي.

□

٢. قيامة المسيح ليست نموذج قيامة؛

بل هي القيامة ذاتها وكلها

يوجد أشخاص قاموا من الموت قبل قيامة المسيح وبعد قيامة المسيح؛ قيامة هؤلاء كانت خبرة فردية خاصة لم تتعدَّ عودة صاحبها إلى الحياة الأولى بالجسد الترابي وإلى فترة. أما قيامة المسيح فكانت حدثاً شمولياً لا فردياً وفعلاً فائقاً على الطبيعة البشرية

كلها ومرتداً عليها كلها، بتأثير خلقي جديد يفوق على كلٍّ من الموت والحياة معاً في وضعها المادي الطبيعي.

قيامة الأموات كانت عقيدة وإيماناً ومعنى متصلاً اتصالاً جوهرياً بالموت بل وبالحياة نفسها، وذلك قبل مجيء المسيح. وقد تعرض لها المسيح في حياته ليثبت أنها عملية كبرى تأخذ كيانها بعد الموت. وهي مرتبطة ليس بالإنسان فقط لأنه يموت؛ بل ومرتبطة بالله الذي هو مصدر الحياة «أما من جهة الأموات إنهم يقومون أفا قرأتم في كتاب موسى في أمر الخُلَيْفَةِ كيف كلمه الله قائلاً أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس هو إله أموات بل إله أحياء» (مر ١٢: ٢٦ و٢٧).

القيامة كانت هدف المسيح:

وأما بولس الرسول فيرى بوضوح أن قيامة الأموات بصورتها الشاملة والكاملة إنما جاء المسيح ليحققها بنفسه، فقيامة الأموات هي هدف كان موضوعاً أمامه وصمم على تكيله مهها كلفه من الآلام والموت «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ويحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ٢٠: ١٨ و١٩).

لذلك يضع بولس الرسول في الترتيب التعاقبي وجود مبدأ قيامة الأموات قبل قيامة المسيح، ليس فقط من حيث العلة والسبب بل ومن حيث الوضع الإيماني والعقائدي هكذا: «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم» (١ كو ١٥: ١٣ و١٤)؛ أي أن المسيح جاء ليكمل أو يفتتح عملاً معطلاً منذ الدهور كلها، هو جزء أساسي في خلق الإنسان وخلاصه وسعاده وعلاقته بالله. فالمسيح، والمسيح وحده، أبطل أولاً سلطان الموت وبالتالي سلطان الخطية؛ وقيد بذلك الشيطان ليفتح الطريق أمام الإنسان للحياة الأبدية والخلود.

القيامة كانت مخفية في المسيح،

واستُعلنت بموته، وامتدت في الطبيعة البشرية كلها:

قيامة المسيح ليست مجرد عمل من أعمال المسيح، بل كيان ذاتي بمفهومه الموضوعي الكامل. فكانت القيامة والحياة الأبدية مخفية فيه، ولكنها استُعلنت بموته: «قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير، قال لها يسوع: (تعبير يستخدمه الله في التعبير عن ذاته)، أنا هو Ego Eimi، القيامة والحياة» (يو: ١١: ٢٤ و٢٥).

قيامة المسيح لا تنحصر في شخصه، بل تمتد كعمل شمولي يتغلغل الطبيعة البشرية بأسرها، أي الإنسان ككل «وفيه يقوم الكل» (كو: ١٧)، «لأنه كما في آدم يموت الجميع»، هكذا في المسيح سيُحيا، الجميع، ولكن كل واحد في رتبته» (١ كو: ١٥: ٢٢ و٢٣)، حيث تأتي القيامة هنا ليس رداً إلهياً إيجابياً على فعل سلبى (الموت)؛ بل كحاجة صميمية في كيان خلقة الإنسان التي خلقها الله على صورته تنزع نحو الكمال. فالقيامة من الأموات لنيل الحياة الأبدية هي غاية حكمة الله من نخونا. — «فإنه إذ الموت بإنسان (آدم)، بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات» (١ كو: ١٥: ٢١).

— «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مُخلَّصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف: ٢: ٦ و٥). — «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته» (رو: ٦: ٥).

أي أنه إذا كان الموت الذي مات به المسيح عوض كل بني آدم هو عمل شمولي شمل الطبيعة البشرية ككل، أي كل إنسان، فكذلك القيامة شملت الطبيعة البشرية ككل، وبالتالي كل إنسان^(١). لأن الطبيعة البشرية التي اتحد بها بلاهوته هي في

(١) كلُّ مَنْ يُؤمن، لأن الاتحاد بالمسيح يظل فعل إيمان وقبول وإرادة، وذلك من قِبَل الله ومن قِبَل الإنسان «لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقميه في اليوم الأخير» (يو: ٦: ٤٤).

الواقع جوهر مطلق يمثل كل البشرية.

هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن قيامتنا تساوي قيامته، بل يعني فقط أن قيامته احتوتنا باعتبارها الكل المطلق: «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد الكنيسة، الذي هو البداة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء، لأنه فيه سرُّ أن يحلَّ كل الملء» (كو: ١٧-١٩). لأن قيامتنا تستمد كيائها وقوتها ونورها وشكلها من قوة قيامته، فهي تشبه قيامته بقدر ما هي متحدة به ولكن على مستوى اتحاد المحدود بالمطلق.

لذلك يوضح بولس الرسول هذه النقطة بإحكام بقوله عن اتحادنا بموته وقيامته هكذا: «متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً متحدين بشبه قيامته» (انظر رو: ٦: ٥)، فإن كنا بالإيمان والعماد نشبهه في موت الصليب ونشبهه في مجد القيامة، فذلك لأنه هو الذي حاول أولاً أن يشبهنا في كل شيء ليسهل اتحادنا به، لنستثمر قوة موته وقوة قيامته: — «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢: ١٤ و١٥). — «من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢: ١٧ و١٨).

وهكذا يتضح الآن قول بولس الرسول: «الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١ كو: ١٥: ٢٠)، بمعنى أنه قام معلناً بدء ملكوت الله. قام كفاتح لعصر القيامة وكمن سيضطلع بإقامة كل الراقدين الذين ماتوا — بالإيمان على رجاء القيامة — كل في رتبته، وذلك في اليوم الأخير «وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو: ٦: ٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥). هذه المقولة كانت على لسان المسيح باستمرار لأنها جوهر رسالته واستعلان قوة قوته وحكمته معاً.

٣ . قيامة المسيح ليست عودة إلى الحياة الأولى مؤقتاً؛ بل انتصار أبدي على الموت، والخطيئة، والشيطان، وتكريس ملكوت الله لحساب الإنسان، وإنارة طريق الحياة والخلود، والدخول بطبيعتنا إلى الأقداس العليا، والحصول لنا على فداء أبدي، وبرٍّ مجاني

ونستطيع أن نلخص مفاعيل القيامة هكذا:

أ — إبادة من له سلطان الموت (الشيطان):

المسيح قهر الموت بقيامته ففهر بالتالي سيد الموت . وإذ منح بسلطان قيامته كل إنسان القدرة والحق في القيامة من الأموات، فإنه يكون بذلك قد جردَّ الشيطان من سلطانه إزاء كل إنسان يؤمن بقيامة الأموات:

— «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس» (عب ٢: ١٤).
— «لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١ يو ٣: ٨).

ب — لن يسود عليه الموت بعد لأنه أبطل الخطيئة للأبد:

— «عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها الله» (رو ٦: ١٠٩).

— «الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥).

ج — فتح الطريق إلى الله بالكفارة بدمه:

— «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده (القائم من الأموات)» (عب ١٠: ١٩ و ٢٠).

د - أخضع تحت قدميه كل الرياسات والسلطين والقوات ،
فأصبح الطريق إلى الله بلا عائق :

— «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح ، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً ؛ وأخضع كل شيء تحت قدميه ؛ وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١ : ١٩ - ٢٣) .

هـ - لما أبطل ظلال الموت أثار بقيامته الحياة والخلود وسلّم الإنجيل كوثيقة عبور :

— «وإنما أظهرت (النعمة) الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت ؛ وأثار (بقيامته) الحياة والخلود ، بواسطة الإنجيل» (٢ تي ١ : ١٠) .

□

٤ . قيامة المسيح تُحسب خليفة جديدة لحساب الإنسان ،
خلقها بطبيعة جديدة في جسده القائم من الأموات

— «مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ، ولدنا ثانية ، ، لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، ليراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، محفوظ في السموات لأجلكم» (١ بط ١ : ٤٣) ، بمعنى أن قيامة المسيح أنشأت فيه ولحسابنا طبيعة جديدة (ولادة ثانية) حياة أخرى سماوية جديدة بمميزات جديدة كلياً ، ليس للموت سلطان عليها ولا الخطيئة ولا حزن ولا كآبة ولا تنهد !!

— «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع ، ولكن كل واحد في رتبته .» (١ كور ١٥ : ٢٢ و٢٣) ، بمعنى أن الحياة الجديدة ذات رتب فائقة في الجسد ؛ ولكنها تستمد طبيعتها جميعاً من جسد المسيح المجد .

— « صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محياً... وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح) » (١ كو ١٥ : ٤٥ و ٤٩).

التعبير عن المسيح بأنه تعين بالقيامة كآدم الثاني من السماء، يفيد حصول نسل وذرية روحية على أنقاض ذرية آدم، لكنها على صورة والدها في المجد. وهكذا أعطي للإنسان بقيامة المسيح من الأموات أن يستبدل كل ميراث آدميته الذي يبدأ من التراب وينتهي إليه بميراث سماوي محفوظ له في السموات :

— « إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا. وهومات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام... إذاً، إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. » (٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥ و ١٧)؛ أي أن الميلاد الثاني الذي حصل عليه الإنسان بالإيمان ومن الماء والروح القدس قد تم على أساس قيامة المسيح، للبدء بحياة جديدة منذ الآن تأخذ سمات الخليفة الجديدة وتستمد آمالها وأهدافها بل تستمد قوتها من الابن الوحيد الجالس عن يمين الآب بصفته قد ولدنا لنفسه حسب صورته .

— « إن كنتم قد فتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . اهتموا بما فوق لا بما على الأرض . لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ نظهرون أنتم أيضاً معه في المجد » (كو ٣ : ١-٤).

يلاحظ هنا أننا بالإيمان بموت المسيح الكفاري وبنوال سر العماد، نكون قد اشتركنا، أو صرنا على صلة بالفعل، في موت المسيح، أما قيامته فننال عربونها وصلتها الجوهرية بالروح القدس الذي نناله أيضاً بالمعمودية، ليلازمنا ويسكن فينا كقوة قيامة وحياة تبقى مخفية الآن عن عيوننا، ولكنها تعمل فينا كصلة دائمة بالله، لنطلب متطلبات الأحياء وليس الأموات، نطلب ما فوق لا ما على الأرض، حتى إذا جاء الميعاد فإن هذه القوة، أي الروح القدس، روح القيامة، يقيمنا مع المسيح وحينئذ نظهر معه في المجد

باستعلان مجد القيامة فينا.

إذاً، فكل مستلزمات ومقومات الخليقة الجديدة التي سننالها كاملة باستعلان القيامة هي الآن فينا بالإيمان والسر، وهي تعمل فينا بالروح القدس ونذوقها كعربون.

□

٥ . قيامة المسيح حققت بالفعل اتصالاً مستمراً وأبدياً مع المؤمنين الذين أحبوه

قيامة المسيح أنشأت لطبيعتنا قدرة القيامة من الأموات حياة أبدية، وقيامتنا، كفعل تغيير وتجديد وولادة ثانية، تبدأ من الآن وفي هذه الحياة، لذلك فالمسيح يعمل فينا منذ الآن، عن قرب، لتكميل فدائنا وتكميل مقومات قيامتنا. يعمل فينا بنفسه وبروحه القدوس وبقوة قيامته :

— «على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل... فن ثم يقدر أن يخلص إلى اتمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧: ٢٢ و٢٥).

— «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

فالمسيح لا يزال يكمل عمل فدائنا وخلصنا ولا يزال يتحمل مع الكارزين حسب وعده تكميل ما بدأه على الصليب :

— «دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت ٢٨: ١٨ — ٢٠).

— «بعد قليل لا تبصرونني (الموت والدفن) ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأنني ذاهب إلى الآب... فأنتم كذلك عندكم الآن حزن، ولكني سأراكم (بعد القيامة) أيضاً فتفرح

قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦ : ٢٢).
 — «لا أترككم يتامى إني آتي إليكم. بعد قليل لا يراني العالم أيضاً (بعد القيامة) وأما أنتم فتروني. إني أنا حي فأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي» (يو ١٤ : ١٨ — ٢١).
 — «سمعت أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم» (يو ١٤ : ٢٨).
 — «وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم وثبتت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦ : ٢٠).



٦ . قيامة المسيح أثمرت لنا إرسال الروح القدس الساكن فينا،
 والذي يعمل فينا لتحقيق القيامة منذ الآن جزئياً

— «يسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعون» (أع ٢ : ٣٢ و٣٣).

معروف جداً أن الروح القدس المعتبر أئمن هدية وأعظم موهبة وهبها الله للإنسان إنما أرسله الله كنتيجة حتمية لقيامة المسيح من الأموات، أي كنتيجة مباشرة لتحطيم سلطان الشيطان وفك لعنة الموت وإبطال سلطان الخطية. هذه الأمور التي كانت تعيق تأهيل الإنسان لرؤية الله أو التواجد معه، وبالتالي كانت تحرم الإنسان من لطف الروح القدس ومواهبه وعشرته.

لذلك نبّه المسيح تلاميذه الخزانى قبل الصليب بقوله :
 — «أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو ١٦ : ٧).

وكأنما يريد المسيح أن يقول لنا إن انطلاقه — أي القيامة بما فيها الصعود — هي مصدر الخير العميم لنا وكأنها تتم لحسابنا، وأنها المصدر الجوهرى الذى يتم بواسطته مجيء الروح القدس؛ لذلك يرتبط عمل الروح القدس ارتباطاً أساسياً بتحضيرنا لحالة القيامة، أي حياة سماوية كخلقة جديدة.

وأعمال الروح القدس فى الإنسان لتأهيله بلوغ القيامة أي الخليقة الجديدة تبدأ بالعمودية من الماء والروح التى يتم فيها الموت والقيامة مع المسيح بسر فائق: «مدفونين معه فى العمودية (بالماء والروح) التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات» (كو ٢: ١٢).

ولكن لا يتوهم أحد أن أي إنسان يمكن أن يبلغ حالة القيامة، أي التجديد كخلقة جديدة بالروح القدس، فى هذا الدهر بلوغاً كلياً، كما يوضح بولس الرسول هكذا:

— «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبهاً بموته، لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات. ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً، ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع. أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت، ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعلالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع» (فى ٣: ١٠-١٤).

واضح هنا كل الوضوح أننا بكل ما وهبه الله لنا من قوة قيامة فى المسيح، وبكل عطاء الروح القدس، وبكل سعي نشيط وتقدم مستمر، لا نستطيع أن نجزم أننا أدركنا ما أدركه المسيح لأجلنا، أي حياة القيامة الكاملة.

ويعود بولس الرسول فى موضع آخر يكشف عن أن فداءنا إلى الآن غير كامل، فنحن ننتظر فداء الأجساد بالقيامة الأخيرة من الأموات التى ننتظرها بالرجاء الحي: — «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله (مجد القيامة) ... بل نحن الذين لنا

باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نحن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا»
(رو ٨: ١٩ و ٢٣).

ثم يحذر بولس الرسول كل المغالين في أمر استعلان القيامة وكأنها قد حدثت وكأنما نحن نعيشها الآن بالكامل هكذا:
— «فكّر بهذه الأمور مناشداً قدام الرب أن لا يتماحكوا بالكلام الأمر غير النافع لشيء لهدم السامعين... قائلين إن القيامة قد صارت، فيقبلان إيمان قوم» (٢ تي ٢: ١٨ و ١٤).

والروح القدس وإن كان لنا بمثابة ختم لقيامته للحياة الأبدية على جباهنا وقلوبنا منذ الآن إلا أنه لا يزال يُحسب فقط كعربون إلى أن نرث المجد المحفوظ لنا في السماويات باستعلان كلي:
— «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا إلى أن نقبني الفداء لمدح مجده» (راجع أف ١: ١٣ و ١٤).

أي أن عمل الروح القدس الآن بالنسبة لشركة المجد في قيامة المسيح لا يتعدى كونه «رجاء حي» حسب الحاضر إلى أن يُستعلن بقوة في نهاية الدهور:
— «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين (الآن) بقوة الله محروسون بإيمان، لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير» (١ بط ١: ٣-٥).

غير أن الروح القدس لا يبقى فينا دون عمل فهو مع الصلاة يعيننا للتغيير عن شكلنا ونأخذ شكل المسيح القائم من الأموات قليلاً قليلاً:
— «ونحن جميعاً نأظرين مجد الرب (قيامته) بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من (حسب عمل) الرب

الروح» (٢ كو ٣: ١٨).

هذا بحسب عمله الآن فينا؛ أي يعدُّنا للنهاية السعيدة للقيامة من الأموات وشركة مجد المسيح.

ولكي ندرك مدى صلة وأهمية عمل الروح بالنسبة للقيامة يلزم أن نتذكر دائماً أن أول عمل عمله المسيح بعد قيامته هو أنه نفخ فيهم الروح القدس واستودعهم إياه ليُمَكِّثَ معهم إلى الأبد لتكميل عمل ما بعد الصليب:

— «فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠: ٢١ و٢٢).

— «وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليُمَكِّثَ معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦).

— «وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كُتِبَ معكم، ويكون فيكم» (يو ١٤: ١٧).

هذا هو الروح القدس المعبر عنه دائماً في الإنجيل بأنه روح القيامة الذي كان هو العامل الأساسي في قيامة المسيح من الأموات:

— «تعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا» (رو ١: ٤).

وهو هو أيضاً أصبح المتوط حتماً وبالضرورة بقيامتنا نحن أيضاً من الأموات:

— «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١).

هنا الروح القدس يحضرنا بعد القيامة إلى الآب، لا يفرق بين قريين (يهود) وبعيدين (أمم)، لأن المسيح مات عن الإثنين فجعل الإثنين واحداً إنساناً جديداً أمام الله:

— «ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريين لأن به لنا كليناً قدوماً في روح واحد إلى الآب» (أف ٢: ١٦-١٨).

□

٧. جسد المسيح المقام، وجسد قيامتنا

جسد القيامة بالدرجة الأولى وعلى المستوى المطلق هو جسد المسيح المقام في مجد دون أن يُمسك من الموت، قام بلحمه ودمه وعظامه دون أن يُعائِن فساداً، وهو المعبر عنه «بجسد مجده» المتحد بلاهوته «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩).

أما قيامتنا نحن فيستحيل أن تكون بلحم ودم بل ويستحيل أن نعبّر إلى القيامة دون أن نعبّر الموت ونحوز أجسادنا الفساد:

— «فأقول هذا أيها الإخوة إنَّ لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد» (١ كو ١٥: ٥٠).

أي يلزم لكي نحوز القيامة: «أن هذا (الجسد) الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا (الجسد) المائت يلبس عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة، وفي نصرة الحياة ابتلع الموت،» (راجع ١ كو ١٥: ٥٤). النصرة هنا نصرة القيامة بعمل الرب وروحه القدوس.

وبولس الرسول يرد على السؤال المحير كيف أن الجسد المائت الفاسد بعد أن يموت ويفسد يتغير إلى جسد لا يموت ولا يفسد؟ يقول بولس الرسول:

— «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢٠ و٢١).

إذاً، جسد المسيح القائم من الأموات هو أصل الصورة ومصدر القوة الفائقة التي ستغير شكل أجسادنا التي ستموت وتفسد، لتصير مرة أخرى في القيامة على صورة جسد مجده . وهذا العمل الفائق إنما يتبع قانون المسيح فيما بعد القيامة: «أن يُخضع لنفسه كل شيء» .

أي أنه في القيامة ستستمد أجسادنا شكلها ومجدها من جسد المسيح رأساً . لذلك كان تعبير الكتاب عن قيامة المسيح أنه باكورة الراقيين لا كمثال ، ولكن كأصل ومصدر وحامل لسماة القيامة الكاملة للذين سيكونون معه وهم منه وله : «المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١ كو ١٥ : ٢٣) .

أما حالة الشبه في جسد القيامة بين المسيح في مجده وبين المختارين الذين سيقمهم ليكونوا معه فقد تكرر وصفها في مواضع متعددة :
— «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة أبنه ليكون هو بكاراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨ : ٢٩) .

ومجد القيامة ستستمده الأجساد المقامة من جسد المسيح كالشمس التي تضيء ما يقع في دائرتها :
— «متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (١ كو ٤ : ٤) .

ويوحنا الرسول وإن كان يعجز عن أن يصف الأجداد التي سنشارك فيها مع المسيح في القيامة إلا أنه يتيقن من أمر واحد يقره :
— «أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١ يو ٣ : ٢) .

أما بولس الرسول فيقرر أن الجسد الذي سنقوم به سيختلف عن الجسد الذي نعيش به الآن اختلافاً جوهرياً في أمور لا يحددها ولكن يؤكد اختلاف نوعيتها وإمكاناتها :

— «ولكن يقول قائل كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟ ياغي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت (يتغير). والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة...، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البذور جسمه... هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام في مجد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة، يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني (بعد القيامة). هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير (المسيح المُقام) روحاً حياً... الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء. كما هو (آدم) الترابي، هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي (جسد المسيح) هكذا السماويون (أجساد القيام من الأموات). وكما لبسنا صورة الترابي (على شكل آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (على شكل المسيح)» (١ كور ١٥: ٣٥-٤٩).

الترابط العجيب والفائق بين جسد المسيح المُقام في المجد وأجساد القديسين في القيامة يصفه الكتاب أنه ترابط عضوي وكأنه جسم واحد للمسيح يتكون من اتحاد أعضاء، فلا يُرى المسيح بدون أعضائه (قديسيه)، ولا تُرى هذه الأعضاء وحدها بدون المسيح:

— «لأنه كما أن (أي) جسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً... وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١ كور ١٢: ١٢ و١٣ و٢٧).

— «أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح (باعتبار ما سيكون في القيامة)» (١ كور ٦: ١٥).

ويعود الكتاب المقدس ويلقي أضواءً عجيبة ورهيبية على جسد المسيح الكبير هذا

بأعضائه المهيبة التي أنبتا الله لنفسه وغرسها في جسد المسيح بسرّ يفوق العقول . فمرة
يعتبر الكتاب المقدس جسد المسيح الكبير هذا بأعضائه أنه كنيسة :

— «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة
وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً ،
وأخضع كل شيء تحت قدميه ، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي
جسده» (أف ١ : ٢٠-٢٣) .

ومرة أخرى يعتبر الكتاب المقدس أن جسد المسيح بأعضائه هو «بيت الله» :
— «من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا
ورئيس كهنته يسوع... وأما المسيح فكان على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء
وافتحاره ثابتة إلى النهاية (أي إلى القيامة)» (عب ٣ : ١ و٦) .
— «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح
روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١ بط ٢ : ٥) .

حيث المسيح هنا هو أيضاً :
— «... حجراً حياً مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كرم... والذي يؤمن به
لن يُخزى» (١ بط ٢ : ٤ و٦) .

ويعود بولس الرسول ويرى منذ الآن الجسد الكبير ينمو ولا يتوقف عن النمو؛ وينمو
بشبه المسيح الرأس وكل أجزاء الجسد المتحدة بالرأس مترابطة تعمل وتخدم وتحب في
انسجام يفوق العقل :

— «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي
منه كل الجسد مركباً معاً ومقترباً بمؤازرة كل مفصل الذي بحسب قياس عمل كل
جزء يحصل نحو الجسد لبنائه في المحبة» (راجع أف ٤ : ١٥ و١٦) .

ويلاحظ هنا سواء عند القديس بولس أو القديس بطرس أنها يختلسان نظرة من

وراء الدهور لصورة ما بعد القيامة، لجسد القيامة الكبير هذا بأعضائه الكثيرة القديسة؛ فينهران جداً ويعودان سريعاً إلى الحاضر، إلى الشبه والصورة، فيرى كلُّ منها أنه وإن كان كل شيء يسير الآن وفق القصد والغاية السعيدة إنما جزئياً وببطء، فيطالبان بمزيد من العمل والإيمان والانتباه والحذر والإخلاص في خلع الإنسان العتيق لنوَهِّل للجديد المخلوق على صورة الله، لئلا يفقد أحد مكانه المعد!! لأن القيامة تعمل منذ الآن في أرواحنا وترسم في كياناتنا صورة الآتى:

— «إن كنتم قد سمعتموه وعُلمتم فيه كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤-٢١).

— «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ١٠ و٩).

علماً بأن خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه لا يتم الآن إلا بصورة جزئية:

أولاً: كسر من أسرار عمل النعمة غير مرئي:

— «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧).

ثانياً: كتعليم وتلقين:

— «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل ٤: ١٩).

وثالثاً: كفعل إيمان، وإرادة، ودموع، وجهاد ضد الخطية حتى الدم. والثنى لا نقبضه بالكامل، ولكن الذي نقبضه هنا الآن هو عربون فقط.

لذلك نحن نئن متوجعين لسبيين:

الأول: أن الجسد ثقيل وهمومه كثيرة تحرمنا من متطلبات الحركة والوجود الدائم مع الرب.

والثاني: أن الموعد والميراث مرسوم أمام أعيننا في الإنجيل محفوظ لنا في السمويات، نترجاه وكأنه حادث أمامنا، فيلهب قلوبنا ويدعونا لمزيد من الجهد للتغرب عن هذا الجسد.

هذا المنظر يصوره بولس الرسول تصويراً رائعاً في موضعين:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا... بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا، لأننا بالرجاء خلصنا،... وإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨: ١٨ و ٢٣-٢٥).

+ «لأننا نعلم أنه إن نُقْضَ بيت خيمتنا الأرضي (الجسد الترابي) فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيدي، أبدي (جسد القيامة). فإننا في هذه (الخيمة أي الجسد) نئن مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء، حتى لا نوجد عراة؛ لأننا طالما نحن في هذه الخيمة (الجسد الترابي) فنحن نئن مثقلين إذ لا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكي تبتلع الحياة المائتة. ولكن الذي صنعنا لهذا بعينه هو الله الذي أعطانا الروح عربوناً، لهذا نحن نعلم واثقين أننا طالما نحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب لأننا نسلك بالإيمان لا بالعيان، لذلك بسرور نثق أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (راجع ٢ كوه: ١-٨).

وإلى هنا نجد أنفسنا وكأننا أمام دعوة جادة للنسك وإلا فإذا يعني سرور النية للتغرب الإرادي عن الجسد الترابي؟ أو قوله: «إن كان الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢ كوه: ٤: ١٦)، حيث الخارج هو جسد هذا الدهر والداخل هو جسد القيامة؟

٨ . علاقة جسد القيامة بالنسك

يستمد هذا الموضوع جديته من الآية القائلة : « لذلك فلنحرص أيضاً، مستوطنين كنا أو متغربين، أن نكون مرضيين عنده » (راجع ٢ كو ٥ : ٩) . ويقصد بولس الرسول أنه على أية حال سواء جاء المسيح وكنا مستوطنين في الجسد أو جاء فوجدنا متغربين، يلزم ويتحتم من الآن أن نكون مرضيين عنده ! أو، باختصار، علينا من الآن أن نحمل مسئولية ما بعد القيامة، ونهيب أنفسنا للوقوف أمام المسيح، لكي لا نوجد عراة، فنفتضح أمامه وأمام الملائكة والقديسين .

وهنا تحضر أمامنا آية الرؤيا : « تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان . أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار لكي تستغني و، ثياباً بيضاً، لكي تلبس فلا يظهر خزي عريتك » (رؤ ٣ : ١٧ و ١٨) ؛ أما الثياب البيض فهي كما يفسر الوحي نفسه في نفس السفر : « هي تبرّرات القديسين » (رؤ ١٩ : ٨) .

ويلاحظ في هذه الآية أن الرب ينبه نظرنا أننا قد نكون مخدوعين ونحسب أنفسنا أبراراً أي لابسين « ثياب مجد القيامة » ، وأن مخازي عرينا وقبحة أفعالنا مستورة عن عين فاحص الكلي والقلوب « ولست تعلم أنك عريان » !

إذاً، فن الآن يبدأ الفحص والمراجعة . ومن هنا يبدأ شراء الثوب الأبيض بالتفاوض مع تخينات رحمة إلهنا واقتناء آثار القديسين لاقتناء برهم . ولا داعي للنداء أنفسنا، لأنه إن كنا نستطيع الآن أن نكذب ونُدّعي البر أمام الناس وعلى مسامع الله ؛ فلا بد أن يأتي اليوم الذي نقف فيه عرايا مفضوحين تسبقنا خطايانا إلى القضاء، وليس ما يستر خزينا : — « تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوه : ٢٨ و ٢٩) .

— «لأنه لا بد أننا جميعاً نُظْهِرُ أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢ كوه: ١٠).

إذاً، فمن الآن ونحن في هذا الجسد نصنع لأنفسنا ثوب القيامة: إما بخيوط النعمة المضيفة المغسولة في نقع دموعنا والمبيضة في دم الخزوف، التي تنعكس عليها صورة المسيح الحي في مجد بهائه، فتُبْتَلَعُ أخطاؤنا مع كل ظلام أعمالنا الميتة، فتُظْهِرُ معه في المجد وكأننا مثله؛ وإما بقبح أعمالنا وخبث نياتنا وكذب ادعائنا على الله والناس نستنفذ حتى رصيدنا المجاني من رحمة المسيح، فلا يبقى لنا إلا أفعال خزيننا التي يظهر قبحها في نور القديسين أضعافاً مضاعفة.

فإلى أي قيامة نحن قائمون؟

(١٩٨٣)

من الصليب ... إلى القيامة

إن حياة المسيح كلها من الميلاد إلى القيامة، بكل الأحاديث والوصايا والوقائع والقصص والتعاليم والمصادمات، تحوي مضمون الصلب والموت بمفهوم الفداء والقيامة، لإعطاء الحياة الجديدة.

ولكن التركيز على الصليب هو لإيضاح ثمن الخطية؛
والتركيز على القيامة هو لإيضاح مقدار قوة البر.



١ . المحاكمة والصليب

نحن خطاة متعتدون على كل الفرائض والوصايا، صغیرها وكبیرها، وبذلك صرنا تحت حكم الموت. ونحن محتاجون إلى تبرئة أمام السماء ليكون لنا نصيب في الحياة الأبدية مع السمائيين. والمسيح، وهو بريٌ كل البراءة المطلقة بل هو هو الديان الذي يدين، أكمل هذا الحكم في نفسه على كل درجاته القانونية بكل دقة.

أولاً: المسيح قَبِلَ حكم الموت موتاً كاملاً، حيث انفصلت نفسه عن جسده، أما لاهوته فلم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده. ودُفِن، لكي يلغي قانون حكم الموت الأبدي بكل مشتملاته، حتى لا يصبح الموت بعد حاجزاً يحجز الإنسان منذ الآن عن الحياة والوصول إلى الله: «الذي به لنا جراءة وقدومٌ بإيمانه عن ثقة» (أف ٣: ١٢).

ثانياً: والمسيح، وهو القاضي المعين لفحص كل اتهام، حل كل أنواع الاتهام التي يستحقها كل إنسان مما يستلزم الموت من جرائمها، ومات بناءً عليها.

ثالثاً: قَبِلَ أن يقف قدام بيلاطس البنطي الذي كان ممثلاً لأعلى سلطة قضاء لتنفيذ حكم الموت رسمياً حسب طلب رؤساء الكهنة، وبحسب ناموسهم.

أ — ولكن بيلاطس برأ المسيح براءة شخصية (لو ٢٧: ٢٣) من كل براءة من أي علة.

ب — ثم وافق على حكم الموت بناءً على ادعاءات الناموس والأوصياء الرسميين عليه، وهم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون، مما يوضح ضمناً أن كمواطن وإنسان المسيح لم يمت بسبب أية علة شخصية وإنما بناءً على طلب الناموس عامة، مما يتسحب على كل إنسان، لكي يكون المسيح كفدية عامة. لذلك فبالرغم من براءته، حُكِمَ عليه وُصِّلَ كفاعل شر بحسب الناموس، وجُعل مع الأشرار قبره، ليجد فيه الأشرار محامياً ومخلصاً (إش ٥٣: ١٢)، بل وصديقاً وفادياً.

الصلب كشف المضادة العظمى:

و يلاحظ أن الآلام التي عاناها المسيح من المطاردة والإهانة والكراهية كما وصفه إشعياء في نُبوته: «مكروه الأئمة، عبد المتسلطين» (إش ٤٩: ٧)، والضرب حتى الصلب، هي نتيجة المضادة العظمى بين الظاهر الكلي والفساد الكلي، بين الله والإنسان، وهي مضادة مباشرة وواضحة ولازمة بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت. فهو إنسان عادي جداً ولكنه حامل صفات إلهية من ظُهر ونقاء وصدق ومواجهة جريئة وتوبيخ صادق للرؤساء. وكان من نتيجة ذلك أن المؤكِّلين بالحق والناموس والصدق كانوا هم أول من لم يحتملوا تبكيته الصامت بجياته في وسطهم. فكان الصلب نتيجة رفض الإنسان لله من جهة، ومن جهة أخرى قبول الله لشركة الإنسان بعد أن تبنى كل ضعفه وخطيته وبرأه ودفع ثمن جريمته.

فالصليب، في آنٍ واحدٍ، كشف عنف حب الله للإنسان، وعنف غضب الله على الخطية. كما كشف عنف كذب حكم الإنسان على الحق، وفظاعة عداوة الإنسان لله.

وهكذا في الصليب والموت انكشف الاثنان، وُرفِع الاثنان: الخطية والعداوة. ولا حظ أن عداوة الإنسان ضد الله، عقوبتها الوحيدة هي الفناء. فالمسيح واجه هذه العداوة، فكان الصليب، وهو أعظم عقوبة ممكنة؛ واحتمل ما كان يجب أن يحتمله الإنسان. لذلك كان التجسد ضرورة حتمتها عملية الفداء، وكان هو بدء التغرُّب عن الله واحتمال التذلل: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧: ٤٦). وهكذا تحمَّل المسيح عبءَ العداوة، عداوة الله والناس، وعبءَ أقصى عقوبتها، ثم تمَّ إلغاؤها باستحقاق بُنُوته لله، وقداسته المطلقة، وحبهِ وطاعته الكاملين.

أما سر الصليب وسر الخلاص في الصليب، فهو في أن المسيح، كما كانت له قدرته الفدائية على حمل الخطية في الجسد والآلام الفعلية والصلب، أي عذاب الموت عنا؛ كانت له أيضاً قدرته على رفعها جميعاً عنا: الخطية والآلام والصلب والموت. فهو حملها — كإنسان — ليرفعها كإله، لذلك كانت رسالة الصليب وتذكّارها يوم الجمعة العظيمة، ليست رسالة حزن بقدر ما هي رسالة نصرّة فائقة على عدو الإنسان، أي على الشيطان والموت والخطية، لإعطاء حياة قيامة جديدة للإنسان وإعادة المسرة والمصالحة مع الله، كمسرة الله.

ولا تنسى أن الرمز كان يحمل هذا الازدواج، أي أن ذبح الخروف (يوم الفصح — راجع خر ١٢: ٣-١٤) كان يصحبه تهليل العتق والخروج، وفي نفس الوقت كان يتضمن الانتقام من الأمة التي استعبدت شعب الله. لذلك وجب أن يكون تذكّار الصليب، أي يوم جمعة الصلبوت، ممزوجاً بإحساسين:

أولاً: النصرّة؛

ثانياً: النعمة:

النصرة على العالم والجسد والشیطان والخطیة والألم والقبر والهاویة الی استعبدت الإنسان؛ أما النعمة فعلی الذی استعبد الإنسان بالخوف والرعب من الموت وإذلاله سلطان الخطیة والتعدي والتجديف — أي الشیطان .

جوهر رسالة الصلیب؛

أعظم مصالحة وأعظم ارتباط بین الإنسان والله :

فرسالة الصلیب، ولو أنها فی ظاهرها تعبر عن خذلان من الله نحو أبنه، وإشهار ومذلة وضعف ومهانة لا تلیق بابن الله، إلا أن جوهرها ینفی هذا المظهر الزمینی . فكل ما وقع المسیح تحته من مهانة وعار و صلیب وبُعْدِ ظاهري عن الله الآب : «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧: ٤٦)، هذا كله احتمله بسرور لیرفعه إلى الأبد ویلغی سلطانه عن الإنسان ویؤمن الإنسان ضده . لذلك، فإن سر التجسد، ولو أنه یحمل فی ظاهره التخلي أو الإخلاء κένωσις بقبول الضعف والمهانة، إلا أنه یحمل فی جوهره أعظم مصالحة وأعظم قوة وأعظم ارتباط بین الإنسان والله بواسطة الابن . وهكذا كما نزل المسیح إلى الحضيض، إلى القبر والتراب والدفن، حاملاً فی جسده لعنة وعار الإنسان وذُلّه وإخفاقه، هكذا، وبنفس القدر بل وأكثر جداً، قام فی مجد ویقین أنه هو ابن الله بقوة القيامة . وإذ قام من الموت، أعلن نصرة الإنسان فیهِ وحصول البشريّة على نفس القيامة والشركة فی المجد والمیراث والمحبة الی یجب بها الله الآب أبنه الوحيد المحبوب : «... لیكون فیهم الحب الذی أحببتني به» (یوح ١٧: ٢٦).

ویتحتم أن ندرك ونثق ونشهد أن الله هو الذی صمم على فداء الإنسان منذ البدء، وهو الذی نفذه فی أبنه متحملاً كل عار وقع على أبنه بسببنا : «تعییرات معیّر يك وقعت علیّ» (مز ٦٩: ٩). هنا یكون الصلیب هو قوة الله للخلاص بالفعل، وكلُّ الآلام الی رافقتة هی ثمن قیامة الإنسان، وتجديد خلقته، وشركة مجده مع المسیح فی میراث الحیاة الأبديّة .

عالين علم اليقين أن الله في ذاته لم يكن في احتياج أن يتجسد أبنه ولا أن يؤلمه بهذا القدر واضعاً عليه كل عار الإنسان، ولكن هي حبة الله الفائضة من نحو العالم كله وكل إنسان فيه .

**لم يُمسك المسيح في لعنة الموت،
لذلك رفع عن كل إنسان سلطانها القاتل :**

كما نلاحظ أن المسيح قَبِلَ الموت بصورة صليب، وليس بصورة أخرى، لأنه هو النوع الوحيد من طرق الموت المحسوب في الناموس أنه لعنة كُثمن التعدي على الناموس. فالمسيح قَبِلَ الصليب ليصير لعنة من أجلنا، ليوفي كل عقوبات الناموس مرة واحدة: [«لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به... المسيح اقتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة.» (غل ٣: ١٠ و١٣؛ تث ٢١: ٢٣)]

ولكن المسيح لم يُمسك لا في هذه اللعنة ولا في الموت كُثمن اللعنة والتعدي، بل إذ حملها عنا ألقاها بعد أن أكمل كل طلباتها، لأنه هو نفسه قدوس وبلا عيب، ولم يتوقف لحظة، على الصليب أو حتى في القبر، من أن يكون هو البار القدوس الذي يمنح البركة للعالم كله .

فكان المسيح على الصليب هو هو الله الذي دان الخطية في الجسد، أي جسده، ودفع كل أجرتها بالموت: «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣)، ليرفع عن كل إنسان سلطانها القاتل . وعلى الصليب كان هو هو الديان العادل الذي انتقم للإنسان من عدوه المشتكي عليه ليل نهار، وأدانه، وخلّص الإنسان من سلطانه . فالآن، نحن لسنا تحت سلطان الخطية أو الموت أو الشيطان، بل تحت نعمة ربنا يسوع المسيح الذي فدانا بنفسه وصالحنا مع الله أبيه، وأُمنَّ الفداء بقيامته من الأموات وإعطاء الروح القدس لضمان دوام مغفرة الخطايا وتقديس الحياة ورفع الخوف من الموت، إذ جعله المسيح باباً للحياة

الأبدية بقوة القيامة من الموت: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو ٦: ١٤).

ولقد رضي الرب أن يوضع في قبر وحيداً، ويتركه التلاميذ والأهل والأم وجميع الأصدقاء، ليدوق وَحْشة الموت تأكيداً للموت. ولكن بينما جميع الأموات يُتركون هكذا إلى الأبد، قام هو في اليوم الثالث ليتقابل عند القبر مع محبيه و يعود سريعاً إلى التلاميذ في العلنية، تأكيداً على أن الموت فَقَد كل جوهره ومظهره. وهكذا أعاد للصورة القديمة المتعلقة بالموت حقائق جديدة مفرحة ومذهلة. فالقبر كان تعبيراً عن الفساد، هذا تركه المسيح منيراً فارغاً تفوح منه رائحة الأطياب والعطور. والكفن صار تذكار حياة تفوح منه رائحة القيامة. والدم المسفوك على الصليب لم يعد دم إنسان مات ويمكن أن يفسد، بل دم الحي المحيي دم آبن الله، فقال، بروح أزي يسح ويطهر ويقدس ويحيي الضمائر من كل الأفكار والتصورات والأعمال الميتة، وصار دم المسيح الذي تخضبت به الخشبة، خشبة الصليب، صار للحياة ولعفرة الخطايا. وهكذا انقلبت أدوات الموت وصورته إلى مصادر للحياة والتطهير والتقديس.

أما نفس الجسد المصلوب الذي مات والذي قام، فقد انفتحت أحضانه ليقبل شركة الإنسان فيه بيسر الروح، سواء في آلامه أو صلبه أو قيامته، شركة يعبر عنها سر عشاء الخميس، أي سر الأكل من الجسد والدم، بأنها شركة حياة وثبوت واتحاد: «من يأكلني يحيا بي» (يو ٦: ٥٧)، «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦)، «... ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد» (يو ١٧: ٢١ و٢٣).

الإيمان بقوة الفداء، هو المدخل إلى كل هذه النعم:

ولكن المدخل إلى كل هذه النعم هو قوة الفداء الذي تم بالصليب، التي إذا آمنا بها وحلّلت فينا، تجعلنا قادرين أن نتحمل صلب الإنسان العتيق فينا وموته ليحيا إنساننا

الجديد القادر على مقاومة العالم والشیطان، وله سلطان إمامة أعضائنا التي على الأرض، لا بضيق ولا بتململ، بل بفرح سِرِّ النصر وروح القيامة الساكن فينا، وحيث لا تعود الخطيئة تسود علينا بعد بل نعمة المسيح، لأن المسيح «أبطل الخطيئة بذبيحة نفسه» (عب ٩: ٢٦). و «أبطلها» تعني في اللغة: «أخلاها من مضمونها كتعدّ وأفرغها من سلطانها القاتل».

ولكن إذا لم ندخل بالفعل في شركة فداء صليب المسيح؛ ونحتمل موت الجسد العتيق وصلب الأعضاء التي تخدم الخطيئة والفساد؛ ونموت بإرادتنا عن شهوات الجسد والعالم، فهذه إشارة خطيرة إلى أن قوة القيامة لم تعدّ فعّالة فينا. فعلينا أن نبكي وننقطع للصلاة الكثيرة والتوبة، ونطرح أمام المسيح كل يوم كأموات بالذنوب والخطايا، حتى تعمل فينا قوة قيامته، وعلامتها الثقة بالمسيح التي تتحدى العالم وكل مخاوفه ومرعباته وحوادثه ومصادماته، لأنها تسخر من الموت ذاته. وهكذا ليس كأننا مطالبون أن نحارب أو نصارع مع الشيطان ونواجه عالم الظلمة بإمكانياتنا الضعيفة، بل علينا أن نتمسك بقوة القيامة المنبعثة من صليب ربنا يسوع المسيح ونستمد منه هو، بالروح، بقوة الإيمان، الاحتمال والصبر على كل ما يقع علينا من ضيقات ومظالم واضطهادات وآلام، باعتبارها أنها هي شركة الآلام وشركة الصليب مع المسيح. فإذا قبلناها معه بصبر وبفرح، نتزكى ونحسب أهلاً للعزاء وقبول سِرِّ قيامته المملوءة بهجة وسلاماً يفوق العقل.

**والشركة في الآلام وصليب المسيح،
تؤهلنا للدخول في سلام المسيح:**

كذلك، فإن صلب الجسد بالصلاة باجتهاد في صلوات كثيرة يجعلنا فعلاً قادرين ومؤهلين لمقاومة الخطيئة ولصلب الإنسان العتيق، قريين دائماً من النصر، مؤهلين أن ندخل سلام المسيح، الذي وهبنا إياه بقيامته من الأموات.

وبالعكس، فإن أي تذمر على أية ضيقة أو اضطهاد أو ظلم، سواء كان هذا من

أصدقاء أو أعداء يسوقهم الشيطان لتجربتنا، فإن هذا التذمر يُحسب كاستعفاء من شركة آلام المسيح وشركة صليبه وموته. كما أن أي ملل من الجهاد ضد الخطية حتى الدم (الاستشهاد)، بوهيم أن للخطية هذا السلطان الكاذب لأن تسود علينا وتستعبدنا، فهذا يعني أن قوة آلام المسيح وصلبه لم نَمسك بها بعد مسكاً جيداً لنأخذ منها قوة الموت عن الخطية والعالم وشهوته، بل وقوة الحياة الجديدة المنتصرة أيضاً. لقد هَزَمَ المسيح الخطية وأبطل سلطانها، وهو يمنحنا هذا السلطان في الصلاة وبالصوم والسهر، بقدر ما نؤمن به ونثق فيه غير مرتابين.

القيامة هي الثمرة الطبيعية لموت أبْن الله بالجسد!!
مجد القيامة هو النتيجة الطبيعية لهوان الصليب «المسيح مات من أجل خطايانا...،
وأقيم لأجل تبريرنا.» (١ كو ١٥: ٣؛ رو ٤: ٢٥)



٢. القيامة

+ قيامة المسيح من الأموات حقٌ اكتسبه لنا المسيح، لأنه من جهته هو لم يكن في حاجة إليها، فهو القيامة ذاتها والحياة، والموت لا يمكن أن يسود عليه ولا يمكن أن يُمسك هو في الموت. لذلك، فقيامة المسيح تَمَّتْ لأنه رضي أن يموت بإرادته، وهكذا أصبح موته هو موتنا وقيامته هي قيامتنا.

والقيامة قوة حياة جديدة دخلت إلى خلقة الإنسان لم تكن فيه قط، ولا هي من صفاته أو حقوقه، ولكنها هبة خالصة، حياة أخرى فوق حياته، حياة جديدة ممتدة في الأبدية مع الله لا يعترضها حزن ولا وجع ولا تهنيد ولا موت.

+ حينما نخلِّص المسيح لنا من قضاء الناموس تجاه جميع أنواع الخطايا بالموت الذي

ماته على الصليب، محكوماً عليه بها كمخالف للناموس، اكتسب لنا حق البراءة الأبدية في مصالحة كلية مع الله ضد الناموس لكل خاطيء.

١. التبرير:

هذا أول حق اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات، أي حصولنا على هبة التبرير أو البراءة تجاه قضاء الله العادل ضد كل عقوبات الناموس. فلم يعد حتى الموت عقوبة، إذ لم نعد نُحرم من وجهه الله أو الوجود في حضرته بعد الموت بسبب خطايانا، بل صرنا نُحسب حتى منذ الآن في شركة القديسين وفي زمرة المفدين القائمين مع المسيح تحت ملكه وتديره.

+ ولكن التبرير الذي نحصل عليه بقيامة يسوع المسيح من الأموات ليس حقاً عاماً أو نظاماً خارجياً عاماً يشملنا تلقائياً، بل التبرير هو هبة روحية يتحتم أن نكتسبها نحن أيضاً ونحصل عليها شخصياً، كل واحد، من المسيح بالطلب الحار كاحتياج خاص، وذلك بالصلاة التي يؤازرها عمل وسلوك وحب المسيح الشخصي، بالإضافة إلى تكميل سرّي العماد من الماء والروح القدس والتناول من جسد المسيح ودمه: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قَلَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبْرِرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ» (رو ٣: ٢٤-٢٦).

فالمسيح اكتسب لنا التبرير بالفداء حسب تدبير الله الأب بعمل وجهاد صعب للغاية، بتحمّل وصبر على الآلام والاضطهاد والحكم بالظلم وقبول شهادة الزور وتقبّل الضرب على الظهر والرأس والإهانة والمذلة، ثم الرضى أخيراً بأوجاع الصليب حتى الموت، طاعة للأب، لتكميل الفداء لاكتساب برّ الله لأجلنا ولحسننا.

لذلك، فنحن نوهب التبرير الذي ظفره المسيح، حينما نؤمن من كل القلب بما عاناه المسيح قبل القيامة، بل وحينما نكون مستعدين للافتخار والشهادة بكل آلامه

وصليبه ، وفوق الكل حينما نكون مستعدين بكل شجاعة للشركة في نفس الآم المسيح بدافع الحب : « تبكون وتكسرون قلبي لأنني مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل أسم الرب يسوع » (أع ٢١: ١٣) . وهكذا فعل جميع الشهداء بلا استثناء .

لهذا استطاع القديس بولس أخيراً أن يقول : « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي ، حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهب لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل ، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (٢ تي ٤ : ٧ و٨) .

٢ . حياة عدم الموت :

أما الحق الثاني الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الموت فهو حياة عدم الموت . هذه الحياة اكتسبها لنا المسيح لما قام بالجسد وظهر عياناً ، وشاهدوه ولمسوه وأكل معهم هو هو كما هو ، ليحييا إلى الأبد في عدم الموت ، بحيث لا يسود عليه الموت بعد . هكذا صار لنا بالمثل بكل يقين في تدبير الآب أن نقوم بأجسادنا يوم القيامة لنعيش في عدم الموت لحياة جديدة مع الله ، حياة أبدية لا تزول ولا يسود عليها موت أو خطية بعد .

إن قيامة المسيح بنفس جسده المصلوب المثقوب اليدين والرجلين والمطعون في الجنب بشهادة التلاميذ و بلمس يد توما ، كانت للعالم أعظم وثيقة وعربون قدّمهما المسيح علناً بشهود ، ليؤكد لنا أنه هكذا سنصير مثله على شبه جسد قيامته . هكذا يؤكد لنا القديس يوحنا الإنجيلي والقديس بولس الرسول :

+ « ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (أي بجسده الذي رآه التلاميذ ولمسوه وشاهدوه) » (١ يو ٣: ٢) .

+ « الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء » (في ٣: ٢١) .

إذاً، فنحن لا نحيا الآن باطلاً ونتعب ونتألم كأننا سننتهي، بعد هذا الجهد والجذب الشديد في هذا العالم، إلى لا شيء؛ بل إن لنا نهاية سعيدة تنتظرنا بعد تكميل نصيبنا في أيام هذا العمر، إذ قد تجهّزت لنا قيامة لبداية حياة جديدة ملؤها الفرح ولها من أسباب السعادة والسلام والشكر ما لا نهاية له، وليس كما اختبرناه في هذا العالم الذي كل ما فيه زائل ومتغيّر ولا مسرة حقيقية تدوم فيه: «ليس كما يعطي العالم أعطيكُم أنا» (يو ١٤: ٢٧). أما هبة عدم الموت فسننالها بأجسادنا بعد أن تتغير حتماً وتصير على شبه جسد المسيح المقام، كنموذج أعلى لحياة عدم الموت التي وهبها الله لنا لنكون ليس مثله فقط بل ومتحدين فيه أيضاً، لأن بدون الشركة الفعلية في قوة قيامة المسيح والاتحاد به، لا يكون لنا هذا الجسد الجديد، جسد القيامة لحياة عدم الموت، في نور الله الأبدي، كما يتخذ الغصن وجوده ونموه في أصل الكرمة آخذاً منها خواصها كلها ليحيا بها فيها، وكما الأصل هكذا تكون الأغصان، كما يقول الإنجيل: «لأننا... من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠).

٣. حياة جديدة:

أما الحق الثالث الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات فهو أن نحيا منذ الآن وفي هذا الدهر عربون القيامة المزمعة أن تكون وعربون نوع الحياة الأبدية، بأن نحيا منذ الآن في جِلَّة الحياة، أي نحيا حياة جديدة ليست كالأولى حسب الجسد العتيق وشهوته، بل حياة جديدة حسب الروح وحسب الله، بإنساننا الجديد الذي سيوهب لنا بصفات المسيح بقيامة المسيح من الأموات: «مباركُ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحَلُ، مَحْفُوظٍ فِي السَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ مَحْرُوسُونَ بِإِيمَانٍ لِحُلَاصٍ مُسْتَعِدَّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْآخِرِ، الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ (الآن)» (١ بط ١: ٣-٦).

وهذا الميلاد الثاني لا نحصل عليه كهبة عامة تشملنا خارجياً، بل هو هبة خاصة

لكل واحد، ينالها بعد المعمودية والتناول بواسطة الانشغال القلبي والفكري بالإنجيل، بكلمة الله الحية، بحياة يسوع المسيح وأقواله وتعاليمه المسجلة لنا في الإنجيل، حتى تسكن كلمة الله في قلوبنا بغنى، وتغضب الحياة كلها، كما يقول القديس بطرس الرسول، كل واحد بصفاته الخاصة التي يستمدّها حسب قامته الروحية: «مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١ بط ١: ٢٣).

أي إن كلمة الإنجيل هي التي تهنا حياة جديدة، وكأننا مولودون ثانية بقوة الروح، نفكر وندبر ونعمل ونسلك سلوكاً جديداً تشهد له ضمائرنا وتفرح له قلوبنا، وكأننا قد قننا فعلاً مع المسيح وذُقنا حياة ما بعد الموت. وكل يوم نرى رحمة جديدة وعناية من النعمة، وكأننا فعلاً نعيش في ملكوت الله تحت تدبير المسيح ونعمته المخلصة؛ ونذوق تقديس الكلمة وفعل السر ومحبة الرب يسوع ونتحكم بكل حكمة الخلاص؛ ونفرح بمشيئة الله مهما كانت ظروف أحوالنا الجسدية في العالم؛ ويتأكد لنا في كل معاملة جديدة مع الرب أننا ننال منه حياة جديدة لا تمتُّ إلى طبيعتنا الأرضية، ولكنها تهف في أعماقنا أن المسيح قام حقاً من الأموات، ونحن أنفسنا نكون ثمرة قيامته التي نعلنها في حياتنا؛ ونختبر سَبْقَ تذوق الشركة في مجده هناك، حسب وعده، كعربون قيامتنا وبرهان تبريرنا المجاني الذي وهبه لنا بالفداء بالكفارة بدمه، لنخدمه ونخدم قيامته بطهارة، النهار والليل، بتسبيح قلبي لا ينقطع وصلاة شكر لا تهدأ؛ والروح يعين ضعف صلاتنا بتشجيع دائم، ويرشدنا كل يوم إلى عمل جديد يُرضي محبته. وهذا نصبح بحياتنا الجديدة شهوداً لقيامه المسيح وشهوداً لعمل قيامته في تجديد الإنسان.

وهكذا نرى، بوضوح، أن «المسيح قام. حقاً قام» ليست بالقول كنداء التحية أو مجرد تعبير إيماني، ولكنها شهادة لحقيقة نحيّاها ونقدمها للآخرين.

بل وعلى النقيض جداً، إذا لم تكن نحيّا حياة البر والطهارة، وتشهد أعمالنا علناً بنعمة المسيح للروح القدس العامل فينا، نكون فاقدين كلَّ مكاسب قيامة المسيح، ولا

يكون المسيح قد قام بالنسبة لنا بل ونكون نحن لا نزال أموثاً بالذنوب والخطايا، ويكون الإيمان ميتاً، بحسابات القديس يعقوب الرسول (يع ٢: ١٧).

ألسنا أعضاء في جسد المسيح؟ ألسنا أعضاء ملتحمه به؟ إذاً، فقيامه المسيح ليست منطوق إيمان أو مجرد تقرير حقيقة نتحمس لها بأفواهنا، بل هي حياتنا الجديدة المقامة الآن في برٍّ وسط ظلمة وجحيم هذا العالم الذي نعيشه، وهي النموذج الذي قبلنا أن نعيشه بعد الموت في حياة مُقامة لا يسود عليها الموت.

كذلك حيناً ننشد أنه «بالموت داس الموت، والذين في القبور وهب لهم الحياة»، فنحن نقرر أننا في جانب الانتصار الذي انتصره المسيح على الموت وألغاه وفكَّ قيوده عن الموتى، وأنه أوقع الشيطان وانتزع منه سلطانه فألغى الخطية وألغى الموت والهاوية. فإذا كانت الخطية لا تزال تظهر كأنها قائمة وفعالة في العالم، وكذلك الموت، فهذه صورة مزوّرة أخذت وجودها الكاذب بسبب ضعف إيماننا وعدم رؤيتنا الصحيحة وضالة التفوق الذي نصنعه. فالخطية تتحرك فينا حركة كاذبة مع أنها مقتولة ومقهورة؛ والشيطان يرعبنا بحركاته، مع أنه مضروب ضربة الموت، وقد أعطي لنا أن نصرعه في أية معركة. وحقيقة الخطية والموت والشيطان معاً، يصفها أحد الأتقياء بأنها مثل حالة لاعب غبي للشطرنج مهزوم أمام خصم ذكي جبار تتحرك حركة سريعة ضده فأرداه مهزوماً وليس أمامه اختيار، ووقف الغالب ينظر حيرة المغلوب وهو يتحرك حركة اليأس، لأنه سدّ عليه كل المنافذ، فكل حركة تقربه من النهاية المحتمة.

الشيطان فقّد قوة حركته عندما صُلب المسيح، لأنه استخدم أقوى أسلحته وهو الموت إزاء مصدر الحياة فانتزع سلاحه إلى الأبد: «رئيس هذا العالم قد دِينَ» (يو ١٦: ١١)، «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠: ١٨). فكل الوقت الذي يمر الآن بالنسبة للشيطان والخطية هو وقت لا قيمة له بالنسبة للنهاية المحتمة لانكشاف وإعلان الانهزام الأبدي للنهائي للشيطان وعالم الإثم. أما بالنسبة للمسيح نفسه فقد

«أكمل» كل شيء على الصليب (يو ١٩: ٣٠). ونحن الآن نمر في أزمته الخلاص لتكميل كل شيء، لتكون وفق القصد والغاية التي من أجلها مات المسيح وأنهى على قوة الشيطان. نحن في أزمته تكميل تدبير خطة الخلاص لجمع كل ما في السماء وعلى الأرض: «دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٨ و١٩). وقد أعلن الرسول أن السماء كان ينبغي أن تقبل المسيح الى حين ردّ كل شيء أو اكتمال كل شيء (أع ٣: ٢١).

فالزمن الذي يتحرك الآن أمامنا، مع نشاط الخطية وحركة الموت وتسلب إبليس على الناس، هو محسوب أنه زمان منتو. فالخطية مغلوبة، والموت بطلت قوته: «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو ٥: ١٧). نحن لا نعيش بعد في «غُتق الحرف» بل في «جِدَّة الروح»؛ بل إن الخليقة كلها في زمانها الآن — وبعد أن أدخل ربنا يسوع المسيح الفداء إلى العالم وخصّص به الإنسان — يقول عنها القديس بولس الرسول:

+ «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨: ١٩ — ٢٣).

وزمان جديد:

إذاً، نحن نحيا حياتين: حياة تكميل لأعواز الجسد غير محسوبة، إذ هي امتداد لتكميل الماضي الذي يعمل لإنهاء ذاته، وكل حوادثها زائلة تسير بالقصور الذاتي نحو النهاية المحتومة؛ وحياة أخرى خرجت من باطنها بالصليب والقيامة، جديدة روحية لا تنتهي، تمتد بعد الموت في الأبدية. الأولى مستعبدة للحرف، والثانية حرة بالروح القدس، وقد أعطي للإنسان أن يحول حوادث هذا الزمن الضائع (الذي كما يقول عنه الكتاب: «الأيام شريرة» و «الوقت مقصّر» و «العالم كله قد وُضع في الشرير» —

أف ٥: ١٦؛ ١ كو ٧: ٢٩؛ ١ يو ٥: ١٩)؛ يحوّلها بالصلاة والحب والبذل والقداسة والتعفف إلى فضيلة وبرّ تخدم الأقداس العليا والأبدية. الخطية الآن تتحول إلى برّ بالنعمة.

الزمن الأول يحوي كل التراث الآدمي، وهو يبدو كتاريخ مع أنه لا يزيد عن كونه قصة تستهلك نفسها بنفسها ويطوّر الزمان إلى لا شيء. أما الزمن الثاني، فهو زمن يسوع المسيح، ويحوي قصة الخلاص العظمى التي تغطي كل الزمان الأول وتعمقه وترتفع به إلى الأبعاد العليا، هو تاريخ المسيح منذ سفر التكوين حتى الرؤيا بمجاده المركزية الثلاثة: الموت، والقيامة، والصعود. لقد مُنح لنا أن ندخل تاريخ المسيح الشخصي بالميلاد الجديد ونُحسب أن نكون أهلاً لبيت الله وليس بعد غرباء ونُزلاء على الأرض. إننا، بأعمالنا التي نعملها بالصلاة والحب والبذل حاملين صليب يسوع المسيح ونقبله ونُدخله إلى قلوبنا وواقع حياتنا، نُورّخ للمسيح فينا جديداً وللزمن الجديد ولنصرة المسيح على الخطية والموت والشيطان، مسيح القيامة والحق والحياة. لقد صارت حياتنا الجديدة في عمق أعماق تاريخ المسيح الحي الأبدى الذي لا يزول ولا يتحول، الذي جمع فيه شتات الإنسان لكي لا يبقى الإنسان وحيداً قط.

وبذلك، فإن أعظم حوادث الإنسان اليومية على مستوى الجسد والعالم، تُحسب أنها لا شيء، وأنها حتماً ستتقلص عبر الزمن لتصبح غير ذات قيمة؛ أما أعمالنا الروحية التي نعملها بالروح بإخلاص بشهادة المسيح والضمير لمجد الله إن بالصلاة أو بالدموع أو بعمل البذل والحب والاستشهاد، فهي نقط مضيئة ثابتة وباقية أبد الدهور، تتضخم لتصبح ضمن تاريخ المسيح كنور حقيقي يسير على هداها الألوفاً بلا توقف.

وهكذا، فإن قيامة المسيح كشفت عن حياة نصرّة كاملة جديدة، عن عالم بأكمله أُعدّ ليصير الإنسان مستوطناً فيه أبداً أبدياً، بعد أن كان متغرباً على الأرض وحيداً في هذا العالم مهزوماً متغرباً حتى عن ذاته، يستهلك نفسه ويستهلك عمره وزمنه ويرتضي في النهاية بأن يُدفن تحت التراب. قيامة المسيح خلقت أملاً، بل عالماً جديداً للإنسان يحيا

فيه جديداً، غير وحيد.

وهكذا، فإمّا نقبل هذه القيامة التي قامها المسيح على أنها لحسابنا وعلى أساس شركتنا فيها كبداية حياة جديدة، وإمّا نستهن بها فلا يتبقى للإنسان إلا خرافة الواقع الممزّق ووحشة الحياة اليومية بجوادثها الآيلة للانحلال ثم للزوال، يحيا دائماً في خوف من الموت ومن المستقبل تحت ثقل ضمير الخطية المميت، ينظر إلى الشيطان باحترام ورعبة، وإلى الخطية كقوة حتمية، وينتظر الموت كأنه حقيقة انتهاء كل شيء، حقيقة لا تُدحض. فهنا يحكم الإنسان على نفسه أنه يحيا خرافة فظيعة قوامها سيادة الشيطان والخطية والموت، هذه التي قد حطمها المسيح على الصليب وأنهى عليها تماماً، وفضحها بقيامته علناً، لكي يدوسها الإنسان كما داسها المسيح.

لقد اتضح للقديس بولس الرسول أن زمن الناموس والخطية عتق وشاخ، وهو إلى اضمحلال، لأن المسيح دشّن بقيامته أزمنة الخلاص لحياة البر الأبدية.

وإن كان هناك من لا يرى حقيقة القيامة ولا يحس بأزمنة الخلاص ولا يفهم إمكانية الولادة الجديدة، فهذا لا يلغي أن المسيح قام حقاً وافتتح طريق الحياة الأبدية والنور والخلود لتطرقه رجلُ الإنسان، وتنتفح عيناه لرؤية وجه المسيح القائم من الأموات وهو يمنح العطايا، جالساً عن يمين العظمة، معلناً قيام ملكوت الله وحكم الدهور، وأن الآن هو زمن التدبير لتكميل فترة الشهادة، وأن الله بصره وطول أناته ترك للعالم أطول فرصة ممكنة ليشهد لنصرة المسيح على الشيطان والخطية والموت، لكي يكون مجيئه الثاني لإعلان نهاية مهلة الخلاص وبدء الدينونة العتيدة.

إن من يظل لا يرى ولا يحس ولا يؤمن ولا يشترك، لا يمكن أن يضع العيب على الله الذي أرسل أبنه علناً. فالذين شهدوا وعبروا هم ألوف ألوف وربوات ربوات، إنما العيب على العين الكليية والآذان المسدودة والفكر المطموس للإنسان الذي استنزفته شهوته في كافة ميادين عالم الشهوة والضلالة وتمجيد الشيطان من حيث لا يدري.

القيامة والحياة الجديدة، نحتاجان إلى رؤية جديدة:

إن المسيح تراءى لكثيرين ممن اختارهم وليس للجميع، تراءى للذين انفتحت قلوبهم لرؤية أبعاد الحياة الجديدة — المجدلية وقفت أمام المسيح بعد القيامة مدة تخاطبه كأنه البستاني، لأنها كانت تحت أبعاد رؤية الإنسان العتيق، ولكن لما انفتحت عينها وانفتح قلبها للعالم الجديد، عرفت المسيح، وكذلك كثيرون من التلاميذ لما رأوه شكوا أولاً لأنهم كانوا منحصرين في توقعات الرؤية القديمة بأبعادها القديمة. والمسيح قام هو هو مجسده، إنما بأبعاد جديدة لا تحدّها أبعاد هذا الزمان. لقد دخل العلية والأبواب مغلقة. كذلك تلميذا عمواس، فقد قابلهما المسيح ولم يعرفاه في الطريق، وحادثهما طويلاً في نقاش وبحث طويل حتى إلى وقت كسر الخبز حيث انفتحت أعينها فعرفاه.

هذه هي الحياة الجديدة والقيامة التي أنشأت في الإنسان كياناً وقدرات ورؤية أعظم بكثير مما هي عليه الآن. لذلك، فالإيمان بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية تحتاج إلى عين جديدة وأذن جديدة وقلب وفكر جديدين: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). هذه الآية هي الدليل الذهبي لطالبي الدخول في عشرة المسيح: «قلباً نقياً أُخْلِقْ فِيَّ يَا اللَّهُ» (مز ٥١: ١٠).

إن أمور المسيح وعطاياه الآن تفوق عقل الإنسان، و يتحتم أن يكون الإنسان مستعداً للتغيير تحت يد الله والروح القدس، حتى يصير ابناً للقيامة وأهلاً للشركة مع المسيح وقديسه.

والمسيح جعل للإيمان قدرة واتساعاً وسلطاناً لقبول كل ما تستطيع الرؤية الحسية أن تحصل عليه. هكذا أعلن المسيح لتوما الرسول الذي صمم أن يقتنر إيمانه بالقيامة بإحساس أصابعه!! فرأى وأحس وآمن!! ولكن إزاء هذا التصعيب في الإيمان المشروط، أعطى المسيح للإنسان باباً سرياً لقبول الدخول إليه بدون رؤيا حسية من أي نوع، فقال لتوما: «لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩). هذا هو

المدخل السري العجيب للمسيح المقام من الأموات الذي به نتقابل معه في القلب بالرؤيا غير الحسية بالإيمان الذي يفوق الحواس جميعاً والعقل أيضاً، لأن أبعاد الرؤية اللازمة لإدراك القيامة هي فعلاً فوق طاقة الحواس والعقل والمنطق، ولكن هذه هي طبيعة القيامة.

المسيح القائم من الأموات الآن، هو مركز التاريخ الثابت والدائم والحقيقي، وتدور حوله كل حوادث الإنسان. أما الحوادث التي لا تمتُّ للمسيح بصلة فهي خارج التاريخ. هي بروزات وأعراض مَرَضِيَّة، تتقلص وتموت وحدها، وهي ليست بذات قيمة في مصير الإنسان الجديد، مهما كان وزنها وقيمتها التاريخيان.

والإنسان لا يستطيع أن يمزج بين تاريخ المسيح القائم الحي العامل لتكميل ملء كل شيء لاستعلان ظهور ملكوت الله، وبين حوادث وأعمال ونشاطات لا تمتُّ بصلة للإنسان الجديد ومسيرته مع الله.

عيد الصعود



من أدنى الاتضاع ... إلى أعلى الانتصار

المسيح ليس فقط نقض أوجاع الموت وقام منتصراً، بل وارتفع أيضاً بعد أربعين يوماً إلى أعلى السموات ودخل إلى عمق العظمة الإلهية في المجد الأسنى، بعد أربعين يوماً مكثها المسيح على الأرض وهو يظهر لتلاميذه ولكثيرين، يحقق لهم أثناءها قيامته بجسده ويعطيهم النموذج المنظور للقيامة العتيدة التي سنحصل عليها عند مجيئه الثاني. فكان المسيح يدرّب حواس تلاميذه لتتسع لإدراك واقع القيامة، لأن القيامة بالنسبة لنا ستكون على مثال قيامة المسيح تماماً، أي قيامة بالجسد الذي يمكن أن يرى ويحس ويتكلم ويسمع — أي في دائرة الحواس الجسدية — إنما باتساع وعمق وأبعاد أخرى جديدة تفوق الحواس الحاضرة وإدراك العقل العادي.

أما المواضيع التي كان يتكلم فيها مع تلاميذه والذين ظهر لهم، فهي أولاً تحقيق أنه هو المسيا بحسب جميع الكتب، وثانياً كان يشرح لهم الأمور المتعلقة أو الخاصة بملكوت الله، أي وضعنا الجديد مع الله كأحباء وأبناء بالنعمة وورثة مع المسيح لأبجاء البنوة، الأمور التي استطاع التلاميذ أن يبشروا بها بعد حلول الروح القدس بعد ما أخذوا قوة من الأعلالي لتتبرأذهانهم وتذكّرهم بكل ما علّم به المسيح.

عمل الصعود:

١. بالنسبة لنا :

أما نتائج صعود المسيح إلى السماء بالنسبة لنا فهي :

أولاً: التحقيق الأعظم لقيامته من الأموات.

ثانياً: السند الجديد الذي نالته البشرية بموقع يسوع المسيح الآن من العالم، فهو ارتفع

فوق جميع السموات ليجلس عن يمين الآب .

ثالثاً: وليبدأ عصر التدبير الخلاصي ، يقوده من السماء كملك جالس على عرشه يدير شئون مملكته ويحكم . والمزمور يصوّر هذا بالروح القدس تصويراً عجيباً : « اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ : ١) . هنا واضح أن المسيح جلس لِيَهَبَ أَحِبَّاءَهُ مَوَاهِبَ وَيُخْضِعَ أَعْدَاءَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . وكلمة « حتى » تفيد السبب والنهاية معاً . وفي موضع آخر يقول : « أنا أُقِمْتُ مِنْهُ مَلِكاً ... اسألني فَأُعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيراثاً لَكَ وَسُلْطَانَكَ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ لِتَرْعَاهُمْ بِقَضِيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ » (مز ٦ : ٨ و٩ — الترجمة السبعينية) .

٢ . تدبير أزمنة الخلاص :

فبذ أن تم الصعود تكون قد بدأت أزمنة الخلاص وحكم المسيح لتكميل الشهادة بالكراسة الملهمة بالروح في كل أنحاء العالم ، حيث أساس الشهادة هو قيامة المسيح من الأموات ، غالباً الموت وقاهراً لسلطان الشيطان والخطيئة . أما غاية الشهادة والكراسة فهي الإيمان بالمسيح كفادٍ ومُخَلِّصٍ ، حتى إن كلَّ من يؤمن بموته وقيامته يُخَلِّصُ وينال الحياة الأبدية بالتوبة والاعتماد باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا .

٣ . سلطانه اللانهائي في الحكم والتدبير :

ويلاحظ أن المسيح ، قبل صعوده ، كشف لتلاميذه حقيقة سلطانه الجديد الذي سيعمل به كل الأيام إلى انقضاء الدهور : « دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ ، فَادْهَبُوا (يلاحظ هنا حرف « فاء » أي « بناءً » على هذا السلطان الهائل) وتعلمنوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر . آمين » (مت ٢٨ : ١٨ — ٢٠) .

٤ . المواهب المترتبة على صعوده وجلوسه عن يمين الآب :

أما القديس بولس الرسول فيشير إلى الإفادة العظيمة التي نلناها بخصوص ثمرة صعوده إلى السماء : «...الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف ٤ : ١٠). هنا يوضح عمل الصعود وثمرته ووظيفته بالنسبة لنا ، فهو إذ صار في مركز القوة الأعظم مع الآب ، فهذا لكي يملأ الكل بالمواهب الخاصة بالخدمة والكراسة وتدير شؤون الكنيسة بمواهب الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . وإلى هذا الحد تنتهي رسالة الصعود فوق أعلى السموات .

٥ . تأمين سلطانه للحكم والتدبير كرأس الكنيسة :

والقديس بولس الرسول أيضاً يربط صعود المسيح بعمله من أجلنا وفيها ، ويوضح مدى التأمين الذي ناله ضد جميع أعدائه حتى يكمل عمله : «مستتيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين ، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين ، حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح ، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل أسم يسمى ، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً . وأخضع كل شيء تحت قدميه ، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ، التي هي جسده ، ملء الذي يملأ الكل (كل شيء) في الكل (كل أحد)» (أف ١ : ١٨-٢٣).

هنا يوضح القديس بولس الرسول أن عمل الصعود وعمل القيامة اللذين عملهما الله في المسيح يشيران إلى «عظمة قدرته الفائقة نحونا حسب عمله الذي عمله في المسيح ، إذ أقامه وأجلسه عن يمينه ، ليكون رأساً للكنيسة !!» . وفي نفس الوقت وبصورة أساسية وهامة جداً ، أعطاه كل السلطان الذي لله «لكي يخضع كل شيء تحت قدميه» ، لتشهد الكنيسة عملياً بنصرة المسيح الحقيقية فوق الشيطان والموت والخطيئة ، لتأمين عمل الكنيسة على مدى كل أزمنة الخلاص والشهادة بنصرة الرب ، بموازرة سلطان

المسيح في إخضاع كل أعدائه الذين هم أعداء الكنيسة، إلى أن تكمل أزمته الكرازة وتكمل الكنيسة رسالتها.

٦. الصعود والجلوس عن يمين الآب بالنسبة للمسيح نفسه:

كذلك، فإن صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب، وهما عمل الله من نحونا ليحكم المسيح السماء والأرض بسلطان الله الفائق، هما أيضاً لتكميل استعلان يسوع المسيح نفسه للعالم بواسطة الكنيسة، وهذا يوضحه القديس بولس الرسول أيضاً بقوة: «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاها اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممن في السماء وقرن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربُّ مجد الله الآب» (في ٢: ٩-١١).

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى وأثير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ٨-١١).

ويلاحظ أن كلمة «يجلس عن يمين الله» أو «عن يمين العظمة» لا تفيد المكان، ولكن الاصطلاح كله يفيد معنى التساوي مع الله في الوظيفة. فإن الله الآب أرسل ابنه إلى العالم ليعمل عمله الخاص بنفسه، ثم أجلسه الآب عن يمينه ليحكم بواسطة يسوع المسيح ويدبر الكنيسة لتكميل أزمته الخلاص. لأنه أُعطي كل سلطان الله ليكمل مشيئته من نحونا. فالمسيح هنا هو قوة الله، وهو الحامل لعظمة وسلطان الله من نحونا لتكميل مقاصده، وتجاه أعدائه أيضاً.

وقوله إنه «رأس الكنيسة» فهو يعني أنه المدبّر والحاكم، وأن كلَّ من في الكنيسة من رئاسات بعد ذلك أو مجامع أو خدام، إنما يعملون بحسب تدبيره وحكمه وباسمه،

وليس باسم أنفسهم ، وسلطانهم ينحصر في تكميل مشيئته .

ولكن حكم المسيح الآن يتعدى الكنيسة ، فالكل خاضع له تحت قضيب مُلكه . فالخليقة كلها تأتمر بأمره ، لأنه ليس انفصال بين عمل تدبير ابن الله كخالق للخليقة ، وعمل ابن الله كفاٍ ، وعمل ابن الله كمُدبر للكنيسة والخليقة كلها . وكل إنسان وكل شيء خاضع له ، سواء درى بذلك أم لم يدِر . لذلك قلنا إن المسيح هو مركز التاريخ وكل حوادث العالم ؛ وإن الكنيسة تدور حوله ، وإن كل ما هو خارج المسيح هو خارج التاريخ الحقيقي الذي يعمل ويهدف نحو تكميل عمل الخلاص الأبدي .

علماً بأنه ، كما سبق وقلنا أيضاً ، فإن الخليقة كلها مرتبطة بتكميل فداء الإنسان ، وتكميل فداء الإنسان يبلغ مدهاء بفداء الأجساد ، أي بقيامة الأموات التي تنتهي عندها أزمنة الخلاص ويكتمل حكم المسيح وتدبيره الخلاصي .

٧ . صعود المسيح ودخوله الأقداس العليا في السماء (العليا الروحانية) ، مهَّد الطريق للإنسان ، وفتح الباب الذي كان مغلقاً أمامه على مدى كل الدهور السالفة :

أ — ارتفاع المسيح بالصعود ودخوله إلى الأقداس كسابق من أجَلنا :

معروف أن المسيح دخل الأقداس العليا (كسابق من أجَلنا) ، « فوجد (لنا) فداءً أبدياً » (عب ٩: ١٢) . ويصوِّر القديس بولس الرسول أنه كان بين الله والإنسان حجاب يستحيل على الخاطئ أن يخترقه ، والذي يمثله حجاب الهيكل الذي يحجز قدس الأقداس . ولكن بموت المسيح الكفَّاري ، تمت المصالحة ، فانشق الحجاب على الأرض ، أما الذي في السماء فكان ينتظر صعود المسيح الفادي كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق ، ويمثله القديس بولس الرسول بالهَلْب ، أي مرسة المركب التي تُلْقَى في أعماق البحر فتجذب المركب ، هكذا دخل المسيح كمرسة مؤتمنة للنفس إلى ما داخل الحجاب ، أي « ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا » (عب ٩: ٢٤) ، وذلك ليجذب النفس إلى الحضرة الإلهية لتتراءى معه أمام الله بلا لوم في محبة يسوع المسيح الفادي :

«الذي هولنا كمرساة للنفس ، مؤتمنة وثابتة ، تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا» (عب ١٩: ٦ و ٢٠).

ويدعوننا القديس بولس الرسول ، بناءً على ذلك ، أن نمسك بالمسيح لأنه هو الرجاء الموضوع أمامنا حتى يجذبنا إلى قلب الله .

ب - ارتفاع المسيح بالصعود ودخوله إلى الأقداس كوسيط يحملنا في دمه وجسده :

هذا الدخول المبارك والفائق العظمة إلى الأقداس اكتسبه المسيح لنا بدم نفسه ، أي باستحقاق الفداء الذي أكمله على الصليب بسفك دمه . وهذا الدم عينه هوفديتنا ، فهو يحمل حياتنا الجديدة وأسماؤنا الجديدة المنقوشة على يده . بهذا الدم وجسد الفدية معاً صار لنا استحقاق الدخول ، كما يشرحه القديس بولس الرسول هكذا :

+ « فإذ لنا ، أيها الإخوة ، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب ، أي جسده ... » (عب ١٠: ١٩ و ٢٠).

فالجسد الذي تمزّق على الصليب مزّق الحجاب الفاصل . فإذ نأكل جسده المكسور لأجلنا ، نعبر بلا مانع ، إذ لم يعد حجاباً فاصلاً بل حجاباً واصلًا إلى حضرة الآب .

والدم الذي سُفك لأجلنا على الصليب ، هو عوض دمننا المطلوب سفكه بالموت بسبب الخطية ، فإذ نشرب دمه ، نشرب حياته بروحه الأزلي ، لنعبر فوق الموت ، لأنه أحياناً مع المسيح مبرّرين .

٨ . الصعود والجلوس عن يمين الآب لعمل الشفاعة الدائمة تكميلاً للفداء :

جلوس المسيح عن يمين الآب ممثلاً لنا ، فتح أمامه باب الشفاعة الدائمة عنا أمام الآب . وفي نفس الوقت أهله موته السابق لأجل الخطاة أن يحامي عنهم إزاء كل ادعاء أو شكوى تقدّم ضدنا من عدوّنا الذي يتمسك بخطايانا ليشتكي بمقتضاها علينا ليل

نهار: «يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً» (رؤ ١٢: ١٠).

يقول القديس بولس الرسول:

+ «فإذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا فنحن علينا؟ الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟ مَنْ سيشتكى على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرّر. مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحرى قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رو ٨: ٣١-٣٤).

هنا يركز القديس بولس الرسول على أربع نقاط:

الأولى: حقيقة أن «الله معنا»، هذا أمر تحتم بتجسد المسيح المسمّى «عمانوئيل» الذي تفسيره «الله معنا».

الثانية: إن الله أحبنا وبذل ابنه على الصليب كفدية لأجلنا، لذلك فإن أية موهبة أو عطية أو نعمة مهما بلغت، فإنها تكون أقل ألف ألف مرة من أن يموت الابن مصلوباً لأجلنا. لذلك يكون من المستغرب أن يتوقف الله عن أن يعطينا كل شيء نحتاجه لحياتنا الأبدية ولأن نكون مع المسيح كل حين.

الثالثة: إنه مهما كانت خطايانا نافعة للشيطان ليقم شكواه علينا، فإن كل شكوى تُرفض رفضاً نهائياً، لأن الله نفسه هو الذي أعطانا صك البراءة من كل خطية بواسطة صليب المسيح ودمه.

الرابعة: إن فوق كل شكوى ضدنا ونهاية كل شكوى ضدنا إنما تُقدّم للدينونة، والدينونة كلها أُعطيت للمسيح. فإن كان المسيح هو المنوط به كل الدينونة، فالبراءة حتمية، لأنه هو هو بنفسه نصّب نفسه محامياً عنا،

لا بالكلام وحسب، بل وبسفك دمه هو عوض كل خطية نخطئها، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، لذلك انتفى أن ندخل الدينونة قطعاً: «لكي لا تُدان مع العالم» (١ كو ١١: ٣٢)؛ بل «قد انتقلنا من الموت إلى الحياة» (١ يو ٣: ١٤). وهذه سمة كل الذين آمنوا بالمسيح وأحبوه وأحبوا ظهوره: «إذاً، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ١).

٩. متى تكمل أعمال المسيح نتيجة صعوده وجلوسه عن يمين الآب؟

بالرغم من أن المسيح صعد إلى السماء واختفى نهائياً عن أعين تلاميذه، إلا أنه سبق ووعد بأنه سيبقى موجوداً معهم على الأرض إلى مدى الأيام، وذلك ليس ظاهراً، بل بعمله وتأثيره وظهوره غير المنظور لتشديد مؤمنيه، كما حدث للقديس بولس الرسول. والملاكان اللذان رافقا صعوده وظهرا عياناً لتلاميذه، قطعاً بأنه سيعود:

+ «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفنا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع ١: ٩-١١).

هنا تأكيد الملاكين أن الرب سيأتي كما صعد تماماً بقوة الإلهية وبنفس هيئته وجسده، يدل قطعاً على أن فترة الصعود والجلوس عن يمين الآب هي عمل مكمل لعمل الفداء، له نهاية، وعندما تكمل سيعود إلينا، فيما يسميه الكتاب: «المجيء الثاني، المبارك، في مجده ومجد أبيه، مع ملائكته القديسين» (مت ١٦: ٢٧؛ مر ٨: ٣٨؛ لو ٩: ٢٦).

ومجيء المسيح هو جزء لا يتجزأ من شهادتنا وإيماننا ورجائنا الحي، كما يقول القديس بطرس الرسول: «منتظرين وطالبن سرعة مجيء يوم الرب» (٢ بط ٣: ١٢). كذلك فإن القديس بطرس الرسول نراه متيقناً أنه كما اشترك في رؤية آلام المسيح، هكذا سيشارك في شهادة مجده عند مجيئه: «أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلن» (١ بط ٥: ١).

والقديس يوحنا الرسول يثق من جهة ظهوره أننا سنراه كما هو، وسنكون أيضاً مثله، أي شركاء في مجد ظهوره واستعلانته: «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه» (١ يو ٢: ٢٨)؛ وأيضاً: «ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١ يو ٣: ٢).

أما القديس بولس الرسول فيرى، بالرجاء، إكليل البر الذي سيضعه المسيح على رأسه عند ظهوره في مجيئه الثاني: «...وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل (المجيء الثاني للدينونة)، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢ ق ٤: ٨).

هنا يوضح القديس بولس الرسول أن ترقب المؤمنين لظهور المسيح ومجيئه بفرح، هو علامة أنهم سينالون إكليل البر، وأنهم أكملوا فعلاً السعي، وحفظوا الإيمان؛ هذه علامة أكيدة.

وكذلك القديس بطرس الرسول يرى أن مجيء المسيح سيكون سبب فرح عظيم للذين ينتظرون مجيئه: «كما اشركتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١ بط ٤: ١٣).

١٠. مجيء المسيح رهناً باكتمال عمل الصعود وجلسوس المسيح عن يمين الآب:

هذا يعلنه القديس بطرس الرسول هكذا:

+ «فتوبوا وأرجعوا لئلا تخي خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣: ١٩-٢١).

هكذا يربط القديس بطرس الرسول مجيء المسيح باكتمال أزمنة ردّ (اكتمال) كل شيء، بمعنى تكميل أزمنة الخلاص التي أشار إليها المسيح على الصليب بقوله: «قد أكمل» (يو ١٩: ٣٠). فكما أكمل المسيح الفداء بعمله الخاص بدمه، هكذا وضع على الكنيسة أن تكمل الشهادة بقيامته ونصرته لتوبة الخطاة وخلاص كل بشر. لذلك، كان على السماء أن تقبله إلى أن تكمل الكنيسة رسالتها بمؤازرته وروحه القدس بصورة دائمة.

كذلك القديس بولس الرسول، فإنه يرى أن الكرازة والعمل بوصايا المسيح يتحتم أن تنشط وتستمر بلا انقطاع إلى يوم ظهوره:

+ «أوصيك أمام الله الذي يُحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبيته (سيظهره ويعلنه) في الوقت المحدد المبارك (الله) العزيز، الوحيد، ملك الملوك ورب الأرباب، الذي له وحده عدم الموت» (١ ق ٦: ١٣-١٦ ترجمة أدق).

ولكن إلى أن يجيء المسيح، مَنْ يستطيع أن يفصلنا عنه وهو جالس عن يمين العظمة في السموات؟ من يفصلنا عن محبته وهو الآن في ملء قوته وعظمته ومجده وسخاء محبة الآب؟ يفتخر القديس بولس الرسول على هذا الأساس، أي على أساس أن المسيح يملك الآن كل القوة والمجد والسلطان والحب في السماء والأرض:

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم غُرْي أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب إننا من أجلك نُماتُ كلَّ النهار. قد حُسبنا مثل

غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحببنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوَّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية. ولا عُلو ولا عُقْ ولا خليفة أخرى تقدّر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٥-٣٩).

إذاً، فالرباط الذي ارتبطنا به جديداً بصعود المسيح وجلوسه عن يمين العظمة في السموات يهبنا نفس غلبة المسيح على العالم. لذلك بكل جرأة يقول القديس بولس الرسول إنه «أقامنا معه وأجلسنا معه في السموات» (أف ٢: ٦)، مضيفاً أن «سيرتنا نحن (الآن) هي في السموات» (في ٣: ٢٠)، بمعنى أننا قد انفصلنا عن أمور العالم الحاضر وحوادثه اليومية، مهما كانت صعبة ومرعبة، فهي لا تضيف ولا تنقص منا شيئاً. فتاريخنا الآن يُكتب مع المسيح، وهو هو من صمّم تاريخ المسيح الذي استقر الآن من أجلنا عن يمين الآب، وأما كل زعازع هذا الدهر فهي لا تطاله، وبالتالي نحن أيضاً. هذا هو أمان العهد الجديد الذي يربطنا بالمسيح والذي لا يخضع بعد لأموال العالم الحاضر الذي نعيش عربونه الآن، إلى أن إلى أن يأتي فتُسعلن نصرة الإنسان الكاملة في المسيح يسوع.

وإن كانت الخطيئة تتحرك من حولنا كأسد يود ابتلاعنا، إلا أنها مقهورة لكل من يتمسك بالنعمة، لأن الشيطان نفسه مخترع كل الشرور والمفاسد قد غلبه المسيح وقد دين ودين تحت رجلي المسيح. وجلوس المسيح عن يمين الآب، وإن كان قد وضع حداً نهائياً لسلطان الشيطان، إلا أنه لا يزال له أن يختبر إيماننا وصبرنا واحتمالنا؛ وكما يقول الكتاب: «هنا صبرُ القديسين» (رؤ ١٣: ١٠). فالذي يصبر على مكائد العدو إلى المنتهى، فهذا سيغلب حتماً، لأن الرب قد أعطى للعدو فرصة ليختبرنا، ولكن ليس إلى حد الموت: «فقال الرب للشيطان: ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه» (أي ٢: ٦).

ومعروف أن كل ضيقات يسوقها العدو، مهما كان نوعها ومهما كانت شدتها، فإنها ستُحسب للمدح والكرامة، خاصة عند استعلان مجيء المسيح:

+ « أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير (نهاية هذا الدهر) الذي به تبهجون مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة، لكي تكون تركية إيمانكم...، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١: ٥-٧).

هنا القديس بطرس الرسول يؤكد أننا الآن تحت حراسة نعمة الله ننتظر استعلان خلاصنا النهائي بمجيء المسيح بفرح وابتهاج، بالرغم من الأحزان التي تكتنفنا قهراً من العدو بسبب التجارب، كامتحان لإيماننا الذي حتماً سيتزكى.

ومجيء المسيح بالنسبة للذين ينتظرونه بالصلاة والفرح سيكون لا كتمال استعلان خلاصهم الأبدي:

+ « هكذا المسيح أيضاً، بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » (عب ٩: ٢٨).

+ « لكي يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه » (١ تس ٣: ١٣).

+ « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقيين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقيين. لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » (١ تس ٤: ١٣-١٨).

(١٩٨٥)

ما بين القيامة والصعود

أربعون يوماً بعد القيامة أمضاها المسيح بين تلاميذه «الذين أراهم نفسه حياً ببراھین كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله.» (أع ١: ٣)

هذه الفترة الزمنية المحددة التي عاشها المسيح على الأرض بجسده الذي عبر به الموت والقبر وقام حياً، تُعتبر أعظم وأثمن موهبة وهبها المسيح لطبيعتنا البشرية.

فإمكانية القيامة من الأموات والحياة مرة أخرى بجسد منزّه عن الآلام والموت والفساد لم تكن من طبيعة الإنسان أصلاً، فالإنسان معروف أنه أصبح مائتاً بطبيعته بعد أن أخرجته الخطيئة من جنة الحياة مع الله، وهو وإن أُقيم من الموت أحياناً بأمر الله، فهو إنما كان يقوم ليموت أيضاً كلعازر، ولكن أن يقوم الإنسان ليحيا إلى الأبد مع الله بجسد لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، فهذه عطية المسيح الفائقة الوصف والكرامة التي منحها لنا لما قام بالجسد الذي أخذه منا.

إذن فكل من آمن بقيامة المسيح من الأموات يكون قد آمن تلقائياً بقيامته هو نفسه، فالإيمان بالقيامة هو قيامة مجد ذاته، لأن كل ما للمسيح قد وهبه المسيح لكل من آمن به!

ولكن كيف نأخذ فعلاً روح القيامة ليسكن فينا الآن ويعطينا في يدينا أو بالحري في قلبنا عربون الحياة الأبدية ؟ ... أو بمعنى آخر كيف نعيش الآن بروح القيامة أو كيف نحيا وكأننا قاثمون من الموت مع المسيح فنحس إحساساً يقينياً أن لا الموت ولا الآلام ولا كل الأمور الحاضرة لها سلطان علينا ؟

هذا السؤال يمكن وضعه بصيغة أكثر خطورة ليكون هكذا : كيف يعيش الإنسان عدم موته ؟ أو بمعنى آخر: كيف يحيا الإنسان الأربعين المقدسة لا كأربعين يوماً طقسية ، بل حياةً تخلو نهائياً من خشية الموت وسلطانه ؟ حياة ما بعد القبر ، حياة تؤهل للصعود !!؟

الجواب هنا فوق طاقتنا ، لابد من الرجوع إلى الإنجيل .

يقول إنجيل يوحنا :

« ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع (عشية الأحد) وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » (١) .

كل ما استطاع المسيح أن يعمل لتلاميذه لكي يؤمنوا بقيامته هو أنه أراهم يديه المثقوبتين من أثر المسامير وجنبه المفتوح من أثر الحربة ، فكان هذا كافياً جداً للتلاميذ — حتى لتوما وهو أكثرهم شكاً — أن يؤمنوا بالقيامة ، غير أن كل ذلك مع إيمانهم أيضاً لم يكن كافياً أن يهبهم روح القيامة وقوتها ! فلكني يؤمن الإنسان بأمر فائق عن حدود معرفته وتصوره واختباره ، كالقيامة من الأموات ، يلزمه البرهان ، ولكن أن يأخذ الإنسان ما يفوق طبيعته وما يفوق خبرته وإحساساته ومنطقه ، أي يأخذ قوة القيامة وطبيعته ؛ يلزمه

حتماً هبة روحية .

لذلك فالمسيح بعد ما قدم لتلاميذه برهان قيامته فأمنوا وفرحوا ، نجده يتقدم منهم وينفخ فيهم ليعطيهم ما هو فوق طبيعتهم وإمكانياتهم ، أي قوة القيامة ذاتها ، لا مجرد القيامة من الموت بل القيامة بروح الله كطبيعة جديدة للإنسان تؤهله لحياة جديدة أخرى روحانية ، حياة بروح الله مع الله لا يتسلط عليها خطيئة أو موت ولا تخضع للجهل أو للآلام .

هنا « النفخ » الذي نفخه المسيح في تلاميذه يعيد إلى الذاكرة النفخ الذي نفخه الله في آدم عند خلقته الأولى : « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية »^(٢) . النفخ في الحالتين عملية خلقة وإحياء :
النفخ الأول خلقة جسدية لحياة زمنية أرضية ،
والنفخ الثاني خلقة روحانية لحياة أبدية سماوية .

آدم استقبل النفخة الأولى فصار بهذه النفخة رأس الخليقة البشرية كلها الذي منه تسلسلت حياة الإنسان على الأرض ، وبقيت هذه النفخة فعالة في الطبيعة الآدمية حتى اليوم .

والتلاميذ المتحدون بالإيمان استقبلوا ككنيسة النفخة الثانية من المسيح ، فصار المسيح للكنيسة مصدر الخليقة الروحانية الجديدة ، ونفخته هذه بقيت في الكنيسة مصدر حياة جديدة سماوية دائمة .

بولس الرسول يقدم لنا مقارنة واضحة لهاتين الحياتين فيقول : « صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير (المسيح) روحاً محيياً ، لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني . الإنسان الأول من الأرض ترابي ، الإنسان الثاني الرب من السماء . كما كان الترابي هكذا الترابيون أيضاً ، وكما هو السماوي هكذا السماويون

(٢) تك ٢ : ٧

أيضاً . وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح) « (٣) .

نفخة المسيح إذن كانت بمثابة خلقة جديدة للطبيعة الآدمية أورثتها طبيعة روحانية جديدة لم تكن فيها أصلاً ، إذ أعطتها إمكانية القيامة من الموت والحياة الأبدية مع الله . المسيح هنا اعتُبر أباً جديداً للإنسان لأنه ولده ميلاداً آخر بروحه من بعد ميلاده الجسدي إذ أعطاه حياة جديدة يبدأ فعلها وظهورها بعد الحياة الأرضية أو فوقها ، تبدأ من بعد الموت ، تبدأ بالقيامة ، والقيامة تبدأ من الآن سرّاً حينما نقبل بعد الميلاد الجسدي الميلاد الجديد من الماء والروح ، ونقبل روح القيامة الذي تنفخه الكنيسة في كياننا ...

فنحن الآن جُزئنا الميلادين وتعمل فينا الحياتان : حياة من فوق حياة ، الروحانية جاءت بعد الجسدانية ولكن واحدة تضمحل لتلك الأخرى شيئاً فشيئاً : « إن كان الخارج يفنى (صورة الجسداني) فالداخل يتجدد (صورة السماوي) يوماً فيوماً » (٤) .

ولكن الخطير هنا أنه في حين أن الحياة الجسدية تضمحل حتماً وتلقائياً ، شئنا ذلك أو لم نشأ ، نجد أن الحياة الروحانية أو طبيعة القيامة لا تملك فينا إلا بإرادتنا وبمقتضى شوقنا . لذلك نجد المسيح حينما نفخ في تلاميذه الروح القدس ليعطيهم طبيعة القيامة وقوتها يقول لهم : « اقبلوا » الروح القدس ، « اقبلوا » هنا فعل يعتمد على مقدار استعداد الإنسان وشوقه . المسيح لا يعطي الروح القدس لطبيعتنا بدفع ميكانيكي أو بصورة تلقائية ملزمة ، فهبة الحياة الأبدية وطبيعة القيامة تستقبلها طبيعتنا البشرية بناء على سعي وشوق وقبول إرادي عميق من كل النفس والقلب والفكر .

النفخة الأولى للخلقة الجسدية كانت لا إرادية ، كانت عامة ، وهكذا صارت الحياة البشرية حقاً مكتسباً لكل ذي جسد ...

النفخة الثانية للخلقة الروحانية استقبلها التلاميذ بالفرح من بين ألوف وملايين

(٣) ١ كو ١٥ : ٤٥ - ٤٩

(٤) ٢ كو ٤ : ١٦

الناس ، لذلك اعتُبر التلاميذ أنهم باكورة الروح ، ولكن يُلاحظ أن الإنجيل يقول : « ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » ، هنا فرح الإيمان بقيامة المسيح هو السر الذي ألهل التلاميذ مباشرة لقبول نفخة روح القيامة .

إذن فروح القيامة وطبيعتها لا تُمنح عامة لكل إنسان شاء أو لم يشأ ؛ الذين يؤمنون ويفرحون بقيامة الرب هم المدعوون لقبول روح القيامة ، فالفرح دائماً أعظم دلالة لاستعداد الإرادة ، إما إرادة القيامة أو إرادة الحياة مع المسيح ؛ فهي ليست مجرد تمنى أو أحلام أو تأملات ولكنها عمل وجهاد وتطبيق : « إن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق » (٥) .

إذن فطلباتنا وسعيانا وجهادنا اليومي ومصدر سرورنا يكشف عن صدق موقعنا من القيامة . هذا يعني أنه يلزمنا أن نطابق كل يوم بل كل ساعة بين اتجاهات فرح إرادتنا وبين متطلبات الحياة مع المسيح أي حياة القيامة ، حتى نقبل فعالية نفخة الروح القدس لتجديد الطبيعة أولاً بأول .

ولكن السؤال هنا هو: كيف نبدأ نحيًا منذ الآن حياة مقامة من الموت ، حياة أبدية مع الله ، ونحن لا زلنا نعيش بالجسد الراض تحت ثقل الخطية ؟ أليس من المؤكد والمحتم أن الموت يملك على الجسد بالخطية ؟

الإجابة تأتي من الإنجيل ، إذ نجد المسيح بعد ما نفخ في تلاميذه الفرحين روح القيامة يقول لهم مباشرة : « من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكت خطاياهم أمسكت » (٦) .

هنا ولأول مرة في حياة البشر تقع الخطيئة تحت سلطان الإنسان بعد أن كان الإنسان واقعاً تحت سلطان الخطيئة ، هكذا تبدو نفخة الروح القدس التي منحها المسيح

(٥) كور ١ :

(٦) يو ٢٠ : ٢٣

لتلاميذه ذات فعل تجديدي خَلَقَ لصميم طبيعة الإنسان ، هنا حدثٌ إنقلابي عميق وخطير في حياة الإنسان .

هذا السلطان الجديد الذي تسلمه الإنسان بنفخة الروح القدس من فم المسيح يكشف بصورة واضحة وأكيدة أنه قد حدثت قيامة فعلية إنما سرية وغير منظورة للتلاميذ ، لأنه من ذا الذي يستطيع أن يغفر الخطيئة وهو مائت أو تحت سلطان الموت ؟ فإن كان التلاميذ قد أصبحوا ذوي سلطان على مغفرة خطايا الناس ، فهذا معناه أنهم بنفخة الروح القدس الذي قبلوه من فم المسيح قد حطموا عن أنفسهم سلطان الخطيئة ، وبالتالي قد تجاوزوا سلطان الموت نفسه أي قاموا من الموت بنصرة روحانية فائقة ، وليس ذلك فحسب بل وأصبحوا بهذا الروح القدس الذي سكن فيهم قادرين أن يحطموا عن الآخرين سلطان الخطيئة ، وبالتالي سلطان الموت أيضاً ، أي أن يهبوا بقيامتهم في المسيح روح القيامة للآخرين أيضاً إن كان هؤلاء الآخرون للقيامة مستحقين : « من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » .

هكذا نرى أن الصلة بين روح القيامة الذي نفخه المسيح في تلاميذه وبين حياة الإنسان فوق سلطان الخطيئة والموت أصبحت حقيقة واقعة بسر الغفران ، وهو سر غاية في الدقة والعمق ، إنه سر حياة المسيح الفعالة بعد قيامته من بين الأموات ، الذي بموته داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية !!

ولكن هل من علاقة بين نفخة المسيح للروح القدس في التلاميذ بعد القيامة وحلول الروح القدس عليهم يوم الخمسين ؟

العلاقة قوية وكل واحدة مترتبة على الأخرى ، فنفخة المسيح في التلاميذ أعطتهم القيامة والحياة الأبدية ، فالطبيعة البشرية هنا نالت قوة القيامة من الأموات واستقرت فيها الحياة الأبدية .

أما حلول الروح القدس يوم الخمسين فقد أعطى الطبيعة البشرية قوة روحية من

الأعالي للإلتئام ولإتحاد الإنسان بالإنسان من خلال الروح القدس ، سواء بالمخاطبة الروحية أو بالتأثير القلبي أو الخدمة السريرية أو الآيات والمعجزات أو المثل الحي الجاذب والمؤثر، وذلك كله لتكوين وحدة إنسانية متكاملة ومتحدة مع المسيح وبالمسيح تؤهل بها الطبيعة البشرية عامة – ككنيسة – للحياة مع المسيح في السماء .

إذن فننفخه الروح القدس في التلاميذ بعد القيامة كانت لإعطاء طبيعة الإنسان روح القيامة وقوتها .

أما حلول الروح القدس بعد الصعود على التلاميذ فكانت لإعطاء الإنسان روح الصعود وقوته . ومن أجل ذلك قام المسيح كبكر من الأموات ، ثم صعد إلى السموات ودخل إلى الأقداس كسابق من أجلنا .

فلولا أن المسيح قام بجسدنا ما قنا وما عرف الإنسان قط الحياة الأبدية ، ولولا أنه صعد أيضاً إلى السماء بجسدنا ما أمكن للإنسان أبداً أن يصعد إلى السماء حتى ولو قام من الأموات ؛ حيث المسيح يعطي هاتين القوتين أي القيامة والصعود بواسطة الروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويعطينا .

لذلك يقول القديس بولس الرسول مؤكداً ومتأكداً أن المسيح « أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات . » (أف ٢ : ٦)

فالآن نحن قد قنا مع المسيح ونحيا قيامتنا بنفخة روحه القدوس ، وإذ قد حل علينا روح يوم الخمسين فنحن مهياًون للصعود منذ الآن أيضاً ، ولا يحجزنا عن السماء إلا مجيئه الذي أصبح على الأبواب « ... آتى أيضاً وأخذكم إليّ . » (يوح ١٤ : ٣) □

(١٩٧٠)

الصعود

صعد الرب إلى السماء على مرأى من تلاميذه بعد أربعين يوماً من قيامته ظل يتراءى فيها لتلاميذه ولأشخاص آخرين كثيرين اختارهم ليكونوا شهود عيان لقيامته .

ما هو الموت ؟

وكما رأينا (١) في صلب الرب وموته حدثاً يكشف عن خطة الخلاص العظمى التي سبق الله وقصدها في نفسه ، إذ دبرها بتجسد ابنه حتى يرفع عن البشرية لعنة الموت كأجرة للخطية عندما تقبل هذه اللعنة في جسده ، ومات على الصليب ، وقام منتصباً على الموت ؛ فأصبح الموت ليس «لعنة» فيما بعد أو أجرة للخطية بل عبوراً إلى حياة أخرى أعلى وأفضل .

ما هي القيامة ؟

كذلك كما رأينا (٢) في القيامة التي قامها المسيح برهاناً أكيداً حياً لثمرة الموت الفدائي الذي مات عنا عندما نقض الموت وسلطان الهاوية ، معطياً للبشرية في ذاته غلبة الحياة فوق الموت ، وغلبة البر فوق الخطيئة ، وغلبة مشيئة الله الصالحة فوق مشيئة الإنسان المنهزمة ؛ فصارت قيامة المسيح إعلاناً منظوراً لباكورة الحياة الجديدة للإنسان حسب مشيئة الله التي هي بمثابة عينة أعطي للإنسان أن يحياها في المسيح بالقداسة منذ الآن

(١) عظة يوم جمعة الصلوات . (٢) عظة القيامة .

بالروح كعربون للقيامة النهائية التي سيقومها في المسيح عند مجيئه ؛ أي صارت قيامة المسيح لنا منذ الآن قوة سلوك في جدة الحياة كعربون للقيامة المزمعة .

ما هو الصعود ؟

هكذا أيضاً الصعود الذي صعد به المسيح بالجسد أمام تلاميذه عندما أخذته «سحابة» عن أعينهم ليجلس عن يمين العظمة في الأعالي ، هو في الحقيقة إعلان منظور لدخول المسيح إلى الأقداس العليا ليستلم من الآب سلطانه ومجده وملكوته كما سبق الله وأنبأ بذلك على فم دانيال في رؤياه : « كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقبضوه قدامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (٣) .

هذا حققه المسيح في نفسه وأعلنه بفمه بعد أن أكمله بصعوده وجلسه عن يمين الآب : « فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : **دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض** فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . **وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر** » (٤) .

ويجيء سفر الرؤيا ليشهد على أن المسيح المذبوح على الصليب قد صعد بالفعل ليأخذ هذه القدرة والقوة والكرامة والمجد والملك ويجعلنا نملك معه : « مستحق أنت أن تأخذ السفر (سفر الدينونة العتيدة) وتفتح ختمه لأنك دُبحت واشترينا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة ، فسنملك على الأرض ... مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (٥) .

(٣) ١٤: ١٣ و ١٤

(٥) رؤى ٩: ٥ - ١٢

(٤) مت ٢٨: ١٨ - ٢٠

أما هذه الأحداث العظمى الثلاثة : الموت والقيامة والصعود ، فهي متماسكة ، وكل حدث منها له تأكيده وبرهانه . فالموت تأكد بالدفن ثلاثة أيام ، والقيامة تأكدت بالظهور أربعين يوماً ، والصعود تأكد بالجلوس عن يمين الآب الذي رآه الشهيد اسطفانوس وأعلنه ساعة انتقاله : « فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله . فقال : ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (٦) . وصدق اسطفانوس سبق وأكده المسيح في بداية خدمته : « الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » (٧) . أما الجلوس عن يمين الآب فقد سبق المسيح أيضاً وأنبأ به بقوله ساعة المحاكمة : « فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحب السماء » (مر ١٤ : ٦١ و٦٢) .

صعد ليُجلسنا معه في السماويات :

وهكذا يتركز فعل الصعود عند غايته العظمى وهي الجلوس عن يمين الآب حيث « الجلوس » يعني التساوي ، و« عن اليمين » يعني النيابة الدائمة والحاضرة مع الآب في كل شيء . فالمسيح بجلوسه عن يمين الآب ، قد استلم بالفعل كل ما للآب من مُلك وسلطان وقدرة ومجد وقضاء الدينونة على كل الخليقة مما في السماء وعلى الأرض : « قد دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض » « لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض » (في ٢ : ١٠) .

ولكن هذا الصعود والجلوس عن يمين الآب هو مثل الموت والقيامة ، لا يُنسب للمسيح كأن المسيح مات لنفسه كمستحق لهذا الموت أو قام لنفسه كأن القيامة لم تكن فيه ، كذلك فالمسيح لم يصعد لنفسه كأنه لم يكن في حضن الآب لحظة ما أو انفصل عن

(٦) أع ٧ : ٥٥ و٥٦ .

(٧) يوا ١ : ٥١ .

السموات وقتاً ما . بل إن المسيح كما مات ببشرته أي بالجسد وذُفن من أجل خطايانا وقام وظهر ببشرته أي بالجسد من أجل تبريرنا ، هكذا صعد ببشرته أي بالجسد ليُجلسنا ويمجدنا معه في السماوات : «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٦).

أما المسيح بمجد ذاته كابن لله فلم يُحسب له الموت نقصاً بل هو اتضاع وطاعة في أعظم وأروع صفة للألوهة وهي الإخلاص : «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد... وأطاع حتى الموت موت الصليب» (أ^٨).

صعد لأنه غلب ،
وغلب لذلك أُعطي أن يدين :

كذلك أصبحت قيامته وصعوده بمجد الله وجلوسه عن يمين الآب لا تُحسب له اختلاساً . فالذي «صعد» هو الذي «نزل أولاً» ، فإن كان نزوله وتنازله لم يُحسب نقصاً في لاهوته ، فإن صعوده وجلوسه عن يمين الآب بمساواة لا يُحسب له اختلاساً !! (راجع فيلي ٢: ٦-١١) . وإن كان ليس نقصاً لمن نزل وتنازل وتجسد وأخذ صورة عبد واتضع وأطاع حتى الموت وقهر الخطيئة بصليبه ودانها في الجسد وأباد حكم الموت وأذل من له سلطان الموت ، فليس زيادة أو اختلاساً بعد ذلك أن يجلس عن يمين الآب و يأخذ منه «كل قضاء للدينونة» «وكل سلطان» فوق كل خليقة كقول بولس الرسول : «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السمويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل إسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه» (أ^٩) .

كذلك فإن كان صعود المسيح فوق جميع السماوات وترأسه فوق جميع الرئاسات بسيادة مطلقة هو نتيجة حتمية مباشرة لانتصاره على الخطية والموت وكل الرئاسات التي

(٨) في ٢: ٧ و٨ .

(٩) أف ١: ٢٠ و٢١ .

عملت في ذلك الموت ، يكون بالتالي جلوسه عن يمين الآب هو التعبير الحتمي الذي يشرح بدء الدينونة والقضاء ، أو بمعنى أوضح يحدد بدء مُلك المسيح أو ملكوته على كل خليقة ورئاسة في السماء والأرض .

فإن كان ملكوت المسيح لم يُستعلن بعد على مستوى العالم كله ، إلا أنه مستعلن سراً في كنيسته الآن بصورة قوية وفعالة ومنظورة . فالكنيسة الآن هي ملكوت المسيح الخبأة في وسط العالم بشبه الخميرة الصغيرة الخبأة في الثلاثة الأكيال دقيق التي تجوز زمان تخميرها سراً .

المسيح لا يحكم في الكنيسة ، بل يحكم معها :

ولكن كون الكنيسة هي الآن ملكوت المسيح ، أو مملكته المستعنة سراً ، لا يعني أن المسيح يدين أو يقضي فيها كمن يحكم عليها بل هو يدين بها العالم و يشهد بها على العالم . ولكن ليس هذا أيضاً معناه أن الكنيسة هي كرسي دينوته الذي يجلس عليه و يقضي ويحكم ، بل الكنيسة جسده وهو رأسها ، فالكنيسة شريكة الآن معه في تدبير ملكوته وقضائه ، لها فكر المسيح وسلطانه وكلمته وحكمته وقضاؤه وصبره وعدله وبره معاً .

من جهة هذا يتكلم بولس الرسول موضحاً : « أَلَسْتُمْ تعلمون أن القديسين (الكنيسة) سيدينون العالم . فإن كان العالم يُدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى . أَلَسْتُمْ تعلمون أننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة » (١) .

من هذا يتضح لنا أن قول الرب لتلاميذه : « قد دُفع إليّ كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » هو في الحقيقة عملية تسليم سري استلمت فيها الكنيسة سلطان المسيح على كل ما في السماء والأرض لتعمل معه وهو معها لحساب تلمذة العالم كل الأيام حتى إلى انقضاء الدهر . وهوليس سلطاناً هيناً بل هو كل سلطان المسيح نفسه الذي أخذه فوق كل رئاسة

(١٠) ١ كور ٦ : ٢ - ٣ .

وسلطان وقوة وسيادة في هذا الدهر وفي الآخر أيضاً — أي الرئاسات المنظورة في العالم أو غير المنظورة، ملائكية أو شيطانية.

ولكن هذا السلطان الفائق الذي استلمته الكنيسة بصعود الرب والذي تمارسه مع المسيح الآن هوروجي فقط، لحساب الخلاص وتكميل عمل الإيمان بالمسيح، ضد كل قوة عالمية مهما عظمت وضد كل سلطان الشيطان مهما قاوم وعاند.

وهكذا أصبح صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب واضحاً أمامنا أنه عملية أساسية مكملّة للصليب والقيامة، فهو إعلان بدء ملكوت المسيح الخلاصي من السماء بعد أن أكمل كل واجباته على الأرض. حيث استلمت الكنيسة معه في لحظة جلوسه عن يمين الآب الشركة الكاملة في تنفيذ وإعلان هذا الملكوت في كل الأمم بكل سلطاته وقدرته وسوف تستمر في تنفيذه وإعلانه كل الأيام حتى انقضاء الدهر.

شركة في الموت قبل شركة في الملك:

ولكن لكي تدخل الكنيسة في سر صعود الرب وجلوسه عن يمين الآب، أو بالحري لكي تدخل في شركة سلطان المسيح الفائق فوق كل رئاسة وسلطان وسيادة في السماء وعلى الأرض لإعلان وتنفيذ ملكوت المسيح في العالم، لا بد أن تكون قد جازت شركة مسبقة معه في آلامه وموته وقيامته. ولكن شركة الآلام والموت والقيامة ليست جماعية بل هي فردية، لا تجوزها الكنيسة معاً كجماعة ولكن يجوزها كل فرد بمفرده، لأن من أخص خصائص الآلام والموت أن يكون فردياً: «دُسْتُ المعصرة وحدي» (١١). الكنيسة تجمع لنفسها خبرات آلام وموت أولادها، تجمعها معاً وتضيفها لحسابها ككل!! وكل من لم يتجرباً ويدخل شريكاً في آلام المسيح وموته أو جزع من نير الصليب وتهرب منه لا يجوز على سلطان ملكوت المسيح ولا يُستأمن على سر الشركة في قوة كلمته وقضائه وإعلان ملكوته.

(١١) إش ٦٣: ٣.

من جهة هذا يصرخ بولس الرسول مراراً وتكراراً مشجعاً ليسكب فينا روح الجرأة والقدوم، في مواضع عديدة من رسائله، لندخل في سر شركة الصليب أي سر شركة الموت، سر شركة الاستعداد لسفك الدم طواعية مع المسيح، واضعين دائماً حكم الموت في أنفسنا لكي نعيش قيامتنا الأولى معه فلا يكون العالم حياً بعد في كيانتنا، حتى نستطيع أن نحكم عليه من موقع جلوسنا مع المسيح في السماء ولا تكون أهواؤنا لها سلطان فينا لئلا تبطل سلطان المسيح من قلبنا وفنا.

ثقة في اقتحام السماء من واقع الصعود:

ثم إذ نكمل هذا، ينتقل بنا بولس الرسول فجأة إلى الدعوة الواثقة الجريئة لاقتحام السماء نفسها على أساس صعود المسيح نفسه بثقة لا تُجارى: «فاذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان» (١٢)، باعتبار أن المسيح لم يدخل السماء يوم صعوده إلى السماء لنفسه بل «كسابق» و«لأجلنا»، ولكي يعد لنا بجلوسه عن يمين الآب جلوساً معه في السماويات. ولكي يضمن لنا من السماء، من يمين الآب، من مكان ملكه وسلطانه الأبدي وقدرته الفائقة، يضمن لنا فداءً أبدياً وشفاعة دائمة في كل حين بعد أن أكمل فداءنا الزمني يوم ذُبِح بإرادته على الصليب.

الجسد المكسور على الصليب صعد،

فصار الطريق الوحيد إلى السماء:

وبولس الرسول يصور لنا صعود المسيح إلى أعلى السموات وكأنه يفتح طريقاً جديداً إلى الأقداس العليا في السموات باعتباره كاهناً أعظم على بيت الله (السماء)، ولكنه يؤسس هذا الطريق لا بكلمة ولا بسلطان وقوة وجبروت ولكن بجسده الذي حمل عليه كل خطايا البشرية فرداً فرداً مبتدئاً بآدم حتى آخر إنسان على الأرض. وإذا مات وتبرأ من كل خطايا البشرية تبرأنا فيه فصار جسده مهياً أن يصعد بلا مانع إلى

(١٢) عب ١٠: ١٩-٢٢.

أعلى السموات ويجلس بكل كرامة ومجد الابن (متجسداً) عن يمين الآب، فصار جسده (الذي هو جسداً) الصاعد هو هو الطريق الوحيد؛ الذي إذ نتحد به، نعب فيه إلى أعلى السموات — إلى الآب — إلى الأقداس العليا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (المعمودية الطاهرة) ولنتمسك بإقرار الرجاء هذا راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (١٣).

كان الطريق والباب نحو الله الآب قد أغلق في وجه الإنسان، لأن الخطيئة فصلت قلب الإنسان عن قلب الله، الإنسان تلهى بنفسه كفاية وجوده وارتاح لذاته كأصل وسبب كل شيء، فأعميت بصيرته القلبية والذهنية عن رؤية خالقه الأصل والغاية لوجوده الحقيقي. والخطيئة كانت السبب الوحيد لعمى بصيرته وبعده عن خالقه.

المسيح رفع الخطيئة من الوسط، رفعها من على الإنسان ووضعها على جسده ونفسه ودانها في نفسه وقضى عليها بالموت في جسده، فألغى كل سلطانها. وهكذا انفتح الطريق المغلق، فتحة بجسده الذي انكسر على الصليب بالخطيئة ثم قام به مبرراً وصعد به ممجداً، فصار هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى الآب، ليس لدى الإنسان طريق آخر فقط إلى السماء غير جسد المسيح الذي مات وقام وصعد، لأنه من خلال جسد المسيح تسقط كل خطيئة وتفتح بصيرتي.

لذلك إن كان يوم صعود الرب وجلسه عن يمين الآب هو بدء استعلان قدرة المسيح الفاتكة وسلطانه وملكوته في الكنيسة، فما ذلك إلا لأنه سبق فاستودع الكنيسة سر جسده الذي أصبح هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى السماء الذي من خلاله تستمد الكنيسة شركتها في بر المسيح أولاً ثم شركتها في ملك المسيح وسلطانه ثانياً. (١٩٧٥).

(١٣) عب ١٠: ٢٣-٢٤.

صعود المسيح

فلنفرح بعيد الصعود الذي به أجلسنا المسيح معه في السماويات، وأعد لنا المكان السعيد، الذي سبق فتكلم عنه الذي هو معه عن يمين العظمة في الأعالي.

لأننا صرنا في المسيح مصالحين مع الآب إلى الأبد، محفوظين برضى ورحمة القدير؛ وليس كما كان آدم الأول في مجرد فردوس وشجر وثمر، يفترقه الله من حين لآخر، ولكن صرنا في فادينا الحبيب — آدم الثاني — مع الله على الدوام، وإن كنا متفرّبين الآن عن وطننا السمائي، متألّمين يسيراً ليتزكى إيماننا ونوجد أهلاً لهذا النصيب الفاخر، إلا أننا بالإيمان نعيش وكأننا مستوطنون دائماً بالرجاء الذي سكبهُ المسيح فينا، وبالحب الذي يحوّل الألم إلى لذة، وغير الموجود يجعله أماناً موجوداً بالرؤيا القلبية التي بالنور الخفي ترى النور غير المنظور، متوقعين بالصبر والشكر لحظة اللّقاء التي نخطى فيها بوجه الحبيب، فلا يعود يُنزع منا إلى الأبد.

لأن مسرة المسيح قبل أن ينطلق إلى الآب، التي قدمها بصلاة (يو ١٧)، أن نكون نحن حيث يكون هو على الدوام لنرى مجده ونوجد فيه؛ هذا الذي صار لنا بعد صعوده حقيقة حية رآها اسطفانوس الشهيد بعينيه، والتي لما رآها وتحقق منها سهّل عليه أن يخلع خيمته الأرضية بسرعة، ناظراً بيقين الإيمان والعيان معاً المكان الذي أعده له المسيح

والبناء العجيب الذي في السماء غير المصنوع بيد، الأبدى، جسد المسيح الذي يملأ الكل والكل فيه .

نحن الآن نأكل جسده ونشرب دمه وعيوننا مقفولة لا نستطيع أن نرى بهاء هذا الجسد وروعة هذا الدم لثلا نفزع ونرتعب ونسقط على وجوهنا ولا نضبط قوة أن نفتح أفواهنا لتقبل جمر اللاهوت الخفيف . ولكن ما بالنا لا نرى أنفسنا متحدين اتحاداً بهذا الجسد وهو في ملء نور اللاهوت ، ودم المسيح يسري فينا وهو حامل إلينا روح الألوهة يسكبها في كيائنا فنصير ملوكاً وكهنة لله أبية ونملك معه في ميراث بنوية الآب التي لا تُحْد؟ ...

لأجل هذا يدعونا القديس بولس الرسول بإلحاح سري لا يفهمه إلا الواصلون بالروح لسر الوجود الإلهي : «إن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس» (كو ٣: ١)، الذي معناه أن القيامة وحدها لا تكفي ؛ فبعد القيامة أعجاب الوجود في الحضرة الإلهية حيث جلس المسيح — بنا — عن يمين الآب رهن طلب الذين أحبوا المسيح ولم يطيقوا أن يبقوا بدونه أبداً . فحيث المسيح يوجد الآن يكون لنا حق الوجود . وطلبنا هذا هو من صميم طلب المسيح نفسه ومسرته التي سبق وأن ألح على الآب أن يمنحها لنا كلما طلبناها ، لأنها صارت من حقنا بسبب بشر يتنا التي اتحد بها بوفاق وحب وعهد أن لا يخلعها أبداً ولا يهجرها إطلاقاً ولا ينساها لحظة واحدة أو طرفة عين ! ...

أما أن «نطلب ما فوق حيث المسيح جالس» ، فهو أن نطلب الوجود الدائم في حضرة الله ، الذي صار لنا حقاً أبدياً في المسيح ، نطلبه الآن كطلب بدموع وإلحاح . فإذا ما أخذناه لا يعود يُنزع منا لأنه نصيينا المحفوظ لنا في السموات ، الذي لا يتدنس قط بسبب قصورنا بعد ، ولا يضمحل أبداً بسبب اضمحلال كيائنا الجسداني .

والوجود في حضرة الله ، بإحساس الاتحاد بالمسيح الذي أكمله فينا ولنا مجاناً ، هو سر السعادة التي وفرها المسيح لنا في وسط أحزان العالم وبرغم كل عجز البشرية وقصورها

المحزن والمؤلم.

الإحساس بالوجود في حضرة الله بالمسيح كفيلاً أن يعطي الإنسان سلاماً قلبياً يفوق العقل بكل اضطراباته وعجزه.

ولكن هذه الحضرة ليست مسرة نلهو فيها، بل هي عينا الصلاة، الصلاة في ملء حرارتها وهدوئها ورزانتها، الصلاة الكاملة التي فيها يبدأ الجسد وترتاح النفس وتبهج الروح بذكر الثالوث وتمجيد الآب وترديد إسم المخلص ونداء الروح القدس بتواتر ورجاء ودالة مستمدة من الصليب والدم المسفوك.

وإن كان ينبغي أن ننْ كثيراً في أنفسنا من أجل ثقل الجسد، وقد أصبح كالخيمة التي مزقتها الرياح المكروهة ونشتاق في أنفسنا أن نلبس فوقها الذي من السماء، ولكن هذا غير ممكن. لا بد أن نخلعها أولاً حتى نستطيع أن نلبس المسيح ونوجد فيه بلا مانع، لأن الفاسد لا يمكن أن يرث عدم الفساد. لذلك سوف تظل صلواتنا ممزوجة بالدموع، وفرحتنا بالوجود في الحضرة الإلهية يشوبها أنين الحسرة من أجل عدم قدرتنا الآن على لبس السماي... ولكن لنا ثقة أنه كما لبسنا الترابي نلبس السماي أيضاً ولن نوجد أبداً عراة من نعمة الله، لأن الذي خلقنا هو نفسه أعاد خلقتنا وهياها للتجديد المزمع أن يكون في ملء القداسة وبر الله.

لذلك ينبغي أيها الأحياء أن نعترف الآن بفقرنا جداً، مع أن غنى الميراث كله الذي للإنسان قد كُتِب وتسجِّل لنا نصيباً، ولكن ليس لنا هنا غنى أبداً حيث عالم الخديعة والغش. ليس لنا هنا مدينة باقية ولا وطن دائم ولا كرامة ولا صيت ولا إسم ولا راحة حقيقية، بل نطلب العتيد منها الذي ليس فيه غش ولا ظل دوران. لذلك يقول القديس بولس الرسول مُلحاً: «اطلبوا ما فوق»!! وهل يمكن لإنسان يطلب ما هنا ويسعى وراء ما هو في أفواه الناس أو في أيدي الناس أو في تراب الأرض، ثم يستطيع أن يرى ما فوق أو يطلبه؟ فإما أن نسعى إلى أن نكمل ما هنا ليكون لنا فيه فرحنا وسرورنا وراحتنا

ومجدنا ، وإما أن نرفض ما هنا لتتفرغ لطلب ما فوق لمجد الله .

الذي يسعى وراء كرامة على الأرض يطلبها في قلبه و يشتهيها في نفسه ، لا يمكن أن يتبقى له قوة إيمان بما فوق يمكنه أن يشد نفسه إليها و يطلبها ...

الذي يطلب ما على الأرض ، لا يمكن أن يقوى على طلب ما فوق !

الذي لم يتفرغ بالحق لطلب ما هو فوق ، هو محروم من مجد الصعود ، وضيع على نفسه ثمرة الصليب والقيامة . لأن المسيح احتمل الأحران والآلام والصليب من أجل السرور الموضوع أمامه ، سرور المصالحة العظمى في آخر مراحلها عندما قدم البشرية التي فيه للآب مفدية مبرأة مطهرة مغسولة بالدم ، وأجلسها معه عن يمين الآب !

فكما تكلمت آلام الصليب بالقيامة ، هكذا تكلمت القيامة بالصعود والجلوس عن يمين الآب . لذلك ففي الصعود سر الإحتمال الأعظم لكل ألم حتى الموت !! وفي الجلوس في السمويات مع المسيح نهاية كل رجاء وكل فرح ، بل وغاية كل الخليقة العتيقة والجديدة .



أما لنا نحن الرهبان ، فالصعود الذي يمثل أوج النصر على العالم هو عيدنا الذي نرى فيه أنفسنا تطير فوق هموم الدنيا وأوهامها وغرورها ...

فلو تمثلتم معي وضع الرب وهو صاعد والعالم كله واقع تحت قدميه ، لأدركتم معنى الآية : « قال الرب لربي إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطئ قدميك » (مز ١١٠ : ١) . هكذا كل راهب خرج من العالم خروجاً صادقاً بالروح والحق جاعلاً قلبه وفكره فوق في السماء ، هذا يكون قد حقق قوة الصعود التي وهبها لنا الله بالمسيح منذ الآن بالسر جزئياً ، أي بالفكر والقلب ، تمهيداً للتكميل الكلي المزمع أن يكون .

الراهب الحقيقي — إذأ — هو يعيش عيد الصعود مكتفياً بما فوق ، وبالروح والحق ، كل أيامه . لا يخشى شيئاً ما على الأرض : لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا عري ولا خطر ولا سيف ، وهو لا يشتهي شيئاً ما مما على الأرض : لا كرامة ولا صداقة ولا رئاسة ولا سلطان ولا مديح ولا اسم ولا شكل ولا لقب ، لأنه يغتذي سرّاً بما فوق من طعام الحق وشراب الحب الذي كل من يغتذي به ينسى كل ما في هذا الدهر ، ينسى أهله و ينسى وطنه و ينسى حتى نفسه .

كل إنسان في المسيح يترجى حياة الدهر الآتي حسب قانون الأمانة العام ، أما الراهب يا إخوة فهو إنسان يعيش الدهر الآتي لأنه مات عن هذا الدهر الفاني . الصعود ليس عيدنا — نحن الرهبان — وحسب ، بل هو عملنا اليومي تجاه هذا الدهر وهو حياتنا الوحيدة التي تبقت لنا .

من الملابس ذات المعنى وذات الفعل في إنجيل عيد الصعود ، قوله : « وفيما هو يباركهم ، انفرد عنهم ، وأصعد إلى السماء » . لا يمكن أن ندخل حالة الصعود بالروح يا إخوة أو نتذوقها إلا إذا كنا في هذه الحالة عينها ، أي « وفيما نحن نبارك » ، لا بد أن نكون على مستوى الصلاة والبركة على كل إنسان ، على كل مضطهد ، على كل مسيء أو شاتم أو معيّر أو مخرج كل كلمة شريرة علينا ، لا بد أن يكون قلبنا في حالة صفح كلي وسلام صادق وحنو ومودة لكل إنسان ، حتى نستطيع أن ننفك من قيود جاذبية الأرض والتراب وننتقل في إحساس الصعود ونتذوقه ونعيشه بالروح والحق .

ثم لا بد أيضاً أن نكون في حالة « وانفرد عنهم » ، حتى يمكن أن نمارس حالة إصعاد يتممها فينا المسيح فوق العالم . الإنفراد عن الناس يؤهل الراهب لحالة تقبل قوة داخلية يمارس بها الخروج الدائم والإرادي من العالم . الإنسان دائماً أبداً يجذب الإنسان أخاه إلى نفسه ليتعظم به أو يتقوى به أو يمتدح به أو يتسلى به ، والاثنان في النهاية كل منهما يخسر نفسه بهذا الجذب السليبي ، لذلك كل انفراد عن الناس هو قوة ، لو أن الانفراد كان مع

الله وبالله، وهو حتماً يؤهل لحالة الإنجذاب إلى الله، أو بمعنى آخر إلى إصعاد روحي بالحق وبالسر.

لذلك قلت لكم أن عيد الصعود هو عيدنا نحن الرهبان، بالدرجة الأولى، وهو عملنا وهو حياتنا، لو استطعنا أن نكون دائماً في حالة بركة صادرة من أعماقنا تجاه جميع الناس وكنا أيضاً في حالة انفراد إيجابي عن الناس من أجل الله.

□

(١٩٧٩)

تأملات في عيد الصعود

صعود المسيح ودخوله إلى الله في الأقداس العليا

عملٌ مكملٌ للفداء

- «فاذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله...
فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤ : ١٤ و ١٦).
- «فاذ لنا... ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،
طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب، أي جسده،
وكاهن عظيم على بيت الله،
لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان،
مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء
نقي (طاهر)،
لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو
أمين» (عب ١٠ : ١٩ - ٢٣).

الفداء الذي صنعه المسيح بَسْفُكِ دمه على الصليب كان تكفيراً عن خطايا البشرية.
بهذا اعتُبر صليب المسيح في اللاهوت الطقسي ذبيحة كَفَّارَة!

وذبيحة الكَفَّارَة في العهد القديم، كان يقدمها رئيس الكهنة المسمّى «الكاهن العظيم» مرة واحدة في السنة، إذ يذبح ثوراً مع ذبائح أخرى، عن نفسه وعن كل الشعب، ويأخذ دمها ويدخل داخل الحجاب الفاصل بين قدس الأقداس وبين

القدس، الذي هو مكان الكهنة وباقي الشعب، هذا الحجاب الذي يعبر عن الفاصل الخطير الذي يفصل الله عن الشعب وحتى عن كهنته. ثم يدخل رئيس الكهنة حتى إلى تابوت العهد الذي عليه الغطاء المسمى «إبلاستريون» أي «غطاء الرحمة أو الكفارة» (كابوراه)، والذي كان الله يترأى من فوقه. ثم ينضح من دم ذبيحة الكفارة أمام الله ليكفر عن خطاياهم وخطايا الشعب.

والآن، ما رأي القارئ إذا ذبح رئيس الكهنة «العظيم» هذا ذبيحة الكفارة ولم يدخل بدمها إلى الله داخل الحجاب الفاصل ويكفر عن الخطايا؟ واضح أن ذبيحة الكفارة تصبح ناقصة بل وعديمة الفائدة!

هكذا تماماً، بعد أن قدّم المسيح نفسه على الصليب ذبيحة كفارة كاملة لأجل كل الشعب، تحتم — بحسب اللاهوت الطقسي ومفهوم التكفير عن الخطايا — أن يدخل المسيح بدمه ليقدمه على عرش رحمة الله في السماء. وهذا هو الصعود!! وهذا العمل دخل في مفهوم عمل القيامة والصعود معاً ثم الدخول إلى الله. والقديس بولس يعبر عن الصعود بتعابير كثيرة، كلها جميلة، وكلها قوية وذات معاني عميقة تخص حياتنا.

فهو يقول عن المسيح باعتباره أنه هو الذي قدّم ذبيحة الكفارة لأجل الشعب بذبيحة نفسه على الصليب، أنه بهذا يكون هو «رئيس كهنة عظيم» أصلاً، لا انتساباً لرئيس كهنة العهد القديم؛ بل باعتباره المثل الأصلي Archetype الذي أخذ منه العهد القديم الصورة والاسم والوظيفة. ويقول القديس بولس عن صعود المسيح: «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله...» (عب ٤: ١٤). فالصعود هنا عبّر عنه القديس بولس بأنه اجتياز للسموات.

ثم عن الدخول إلى الله في الأقداس السماوية، لزم — بحسب اللاهوت الطقسي الموضح في العهد القديم أن يخرق رئيس الكهنة الحجاب الفاصل بين قدس أقداس الله في الهيكل، وبين بقية أجزاء الشعب والكهنة — أن يدخل المسيح إلى الله ليقدم ذبيحته

ودمه على يديه .

وهذا يعبر عنه بولس الرسول هكذا :

— « ليس بدم تيوس وعجول ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداءً أبدياً » (عب ٩: ١٢) .

— « ... فكلم بالحري يكون دم المسيح ، الذي بروح أزلّي قدّم نفسه لله بلا عيب ، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي » (عب ٩: ١٤) .

ولكن الأمر الذي يخصنا جداً من الصعود وتقديم المسيح ذبيحة نفسه ودمه لله ، هو أنه قدّم ذبيحة نفسه ودمه أمام الله ليس فقط لكي تُغفر خطايانا فيها ، بل إن دخول المسيح إلى الله كان افتتاحاً للطريق بالنسبة للذين كُفّر عنهم ليدخلوا معه و بدمه حتى إلى عرش الله ؛ معتبراً أن هذا حق إيمانيّ داخل في صميم اعترافنا ورجائنا في المسيح :

— « أ — فإذ لنا ، أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ، طريقاً كرسه (دشّنه) لنا حديثاً ، حياً ، بالحجاب أي جسده ،

ب — وكاهن عظيم على بيت الله ،

ج — لننقذ بقلب صادق في يقين الإيمان ،

د — مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (طاهر) ،

هـ — لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ، لأن الذي وَعَدَ هو أمين » (عب ١٠ :

١٩—٢٣) .

وفي هذه الآيات يكّدس القديس بولس المبرّرات التي تُلزمنا أن يكون لنا الجرأة والثقة بصعودنا مع المسيح ، ودخولنا مع المسيح إلى أقداس الله العليا نفسها .

أ — فهو يضع في أيدينا نفس المؤهل الذي كان في يديّ المسيح والذي أَهَّلَهُ للدخول إلى الأقداس ، إلى أمام الله ، وهو دم الذبيحة الكفارية الذي أَهَّلَ رئيس الكهنة في السابق ليدخل مرة واحدة ، وبصفة امتيازية جداً ، ليتراءى أمام الله في قدس الأقداس .

ب — ثم المؤهل الثاني وهو الأخطر، أن المسيح دخل بدم الذبيحة الكفارية، نعم، ولكن دخل كرئيس كهنة عظيم له من وظيفته — أي سلطانه في تقديم الذبيحة الكفارية وحده دون جميع الناس والكهنة — حق تقديم الذبيحة والدخول إلى الأقداس؛ هذا المؤهل انتسبنا إليه، لأن المسيح كرئيس كهنة عظيم لم يدخل من أجل نفسه، أي أن عِلَّةَ دخوله لم تكن شخصية، بل دخل ممثلاً لنا، وليس ممثلاً لنا وحسب، بل وماسكاً بنا ونحن ممسكون فيه كما يُمسك الهَلْبُ أو المِرْساةُ المركب.

— «الذي هولنا كِمِرْساةٍ للنفس، مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا» (عب ١٩: ٢٠).

وهذا الوصف عجيب حقاً، وهو يتناسب مع تصوُّرنا الأضعف: كيف يمكن أن نكون متّصلين بالله والأقداس السماوية ونحن هنا على الأرض؟ فالقبطان حينما يلقي بالهَلْبِ (المِرْساة) في أعماق المياه، فيشدُّ المركب إلى الهَلْبِ، تصير المركب مربوطة بموقع الهلب وهو في عمق البحر. هكذا اخترق المسيح السموات كِمِرْساةٍ مؤتمنة لسفينة كنيسته الواقفة في البحر المتلاطم، فربطها المسيح بما وراء السماء، بالله. فصارت السفينة ولواؤها في بحر العالم المتلاطم، إلّا أنها مشدودة ومربوطة بمناطق السلام العليا، حيث الله والمسيح.

— «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب ٩: ٢٤).

ولكن بحسب الواقع الروحي الفائق عن وصف الفكر، يقول القديس بولس إننا ونحن متحدون بالمسيح الذي هولنا رئيس كهنة أعظم، يكهن لنا ولحسابنا، دخلنا معه حيث دخل:

— «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... وكاهن عظيم على بيت الله...» (عب ١٠: ١٩ و٢١).

هنا يوضح القديس بولس أن المسيح ليس كاهناً عظيماً لنفسه، وإنما هو كاهن على بيت الله. وبيت الله، كما قال بولس الرسول مراراً وتكراراً، هو «نحن» (عب ٣: ٦، ١ كو ٦: ١٩، ٢ كو ٦: ١٦، أف ٢: ١٩).

فالمسيح بصفته كاهناً عظيماً لنا وعلينا كأهل بيت الله، فنحن مدعوون بالضرورة الحتمية أن ندخل معه ومن ورائه، في قدومه ومثوله أمام الله، لأننا موضوع عمل كهنوته. فهو لا يتراءى أمام الله بدوننا، ولا ننسى أبداً أننا ملتحمون فيه بالجسد، فجسده الذي يتراءى به أمام الله هو جسدها.

— «لأن به لنا كِلَيْتَا (اليهود والأمم)، قُدُوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذّاً بعد غرباء ونُزَلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٨ و١٩).
— «الذي به لنا جراءة وقُدُوم (أمام الله) بإيمانه عن ثقة» (أف ٣: ١٢).
— «وأقامنا معه وأَجَلَسَنَا معه في السماويات» (أف ٢: ٦).
— «لأن الذي دخل راحته (المسيح)، استراح هو أيضاً من أعماله، كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحدٌ في عِثْرَةِ العصيان» (عب ٤: ١١ و١٠).

أما بقية المؤهلات التي تؤهلنا للدخول مع المسيح والتراثي أمام الله كما وردت في الآية عب ١٠: ٢٢ و٢٣ ج، د، هـ، فهي كالآتي:
ج — «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان».
هنا يلتفت القديس بولس نحونا، بعد أن نبّه ذهننا إلى كفاءة المسيح في أنه يؤهلنا للدخول معه إلى الآب. فهنا يضغط على ما ينبغي أن نعمله نحن لكي تكون لنا جراءة وثقة للدخول مع المسيح والتراثي أمام الله، معتبراً أننا في تقدُّمنا للدخول، ومعنا دم المسيح كشهادة واعتراف، وفي معية المسيح كرئيس كهنة عظيم «أحِبْنِي وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)، يلزم أن يكون لنا قلب صادق.

وكلمة «صادق» هنا ترجمة عربية ركيكة، فالكلمة اليونانية ἀληθινῆς تعطي المعنى المزدوج: قلب حقيقي، ومن كل القلب. فكلمة «حقيقي» هنا هي في مقابل «شبه الحقيقة». تماماً كما قيل عن المسكن الحقيقي في مقابل المسكن الأرضي (عب ٨: ٢). وكلمة «من كل القلب» بمعنى أن لا يكون في القلب جزء غير منحاز لله والحق، والمعنى أن يكون قلبنا على مستوى الحقائق العليا التي نتطلع إليها.

«يقين الإيمان»:

وهنا كلمة «يقين» في العربية أضعف من الأصل اليوناني ἐν πληροφορίᾳ وتعني «في ملء الإيمان»، بمعنى «إيمان بلغ أقصى قوته». وهذا يعتبره القديس بولس مؤهلاً شخصياً يلزمنا لكي نشترك في صعود الرب ودخوله، كحق من صميم حقوقنا، إنما على مستوى قلب وإيمان بلغا المستوى الذي نسعى لامتلاكه.

د — «مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (طاهر)». هذا المؤهل هو في الحقيقة تحصيل حاصل، فهو حقيقة واقعة، لأننا ندخل ومعنا التمسك بالإفخارستيا والمعمودية وفعلهما الروحي المتجدر في الروح والقلب والإيمان.

فالقلب المرشوش يعني أنه مرشوش بالدم، أي الإحساس الإيماني الواقعي بعمل دم المسيح في الإفخارستيا، وفعله في تطهير الضمير من الأعمال الميتة، أي الأعمال التي تُميت، أي توقع تحت عقوبة الموت.

— «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلّي قدّم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضماثركم من أعمال ميتة» (عب ٩: ١٤).

وتكميل المؤهل يكون بالمعمودية، أي الاغتسال الروحي من خطايا الجسد بالماء «الطاهر» καθαρῶ (وليس «النقي» كما في الترجمة البيروتية) الذي للمعمودية.

هنا، في الحقيقة، يستحضر القديس بولس أمام وعينا نفس المؤهلات التي كانت

تؤهل رئيس الكهنة قديماً للدخول إلى الأقداس : وأولها ، حمل دم ذبيحة الكفارة عن نفسه ، مع دم الكفارة عن الشعب . فدم ذبيحة الكفارة الذي يحمله عن نفسه يؤهله للدخول ، باعتبار أن خطاياه قد سوَّى حسابها بدم الثور الذي ذبحه .

أما نحن ، فنحمل دم المسيح الذي يتغلغل أعماق القلب والضمير ليرفع الخطية كلياً . ثم المعمودية ، وهي المقابل لما كان يعمل رئيس الكهنة قبل أن يُقدِّم على ذبح الثور بأن يرحض جسده بالماء للطهارة على مستوى الجسد .

ولا يتعجب القارئ لماذا جاءت الإفخارستيا هنا قبل المعمودية ، فإننا بصدد «ذبيحة المسيح» ؛ ومعروف أن دم الذبيحة خرج وعمل عمله ، وبعده تم الموت الذي تستمد المعمودية فِعْلَهَا منه !

هـ — المؤهل الأخير «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ، لأن الذي وَعَدَ هو أمين» .
القديس بولس يكرر القول عن «إقرار الرجاء راسخاً» لأنه يعتبره الأساس الذي يبنى عليه المؤمن كل تطلُّعاته نحو السماء في علاقته بالله . والاصطلاح «إقرار الرجاء راسخاً» يأتي في اليونانية : *ὁμολογίαν τῆς ἐλπίδος ἀκλινῇ* .

وفي آيات سابقة يؤكد على الرجاء ، وثقة الرجاء ، ورسوخ الرجاء ، واجتهاد الرجاء ، والتمسك بالرجاء ، وافتخار الرجاء ، ومجازاة الرجاء ، وثبوت الرجاء ، ويقين الرجاء :

- «لنُتَمَسِّكْ بالرجاء الموضوع أمامنا» (عب ٦: ١٨) .
- «ولكننا نشتهي أن كلَّ واحد منكم يُظهِرَ هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية» (عب ٦: ١١) .
- «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات ، يسوع ابن الله ، فلنتمسك بالإقرار» (عب ٤: ١٤) .
- «وأما المسيح فكابن على بيته ، وبيته نحن ، إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (عب ٣: ٦) .

— «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة» (عب ١٠: ٣٥).

حيث كلمة «إقرار» باليونانية *ὁμολογία* هي أصلاً المستخدمة في المعمودية بمعنى «الاعتراف»، الذي هونوع من الإقرار بالعهد الجديد أن المسيح «مات وقبر» في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الآب». وهذا هو الجزء الهام في قانون الإيمان. ولكن القديس بولس يأخذ منه الجزء الخاص بالصعود والدخول إلى السموات، مُعتبراً أنه الجزء من الإيمان الذي هو على مستوى الرجاء، أي الإيمان بغير المنظور والذي يترجّاه الإنسان بالإيمان كأنه حادث. وهذا يعبر عنه القديس بولس في آية أخرى هكذا: «لأننا بالرجاء حَلَصْنَا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨: ٢٤ و٢٥).

فالإيمان بالرجاء في الآيات السالفة الخاصة بصعودنا مع المسيح ودخولنا معه، هو إيمان الرجاء غير المنظور الذي يحتاج منا إلى تعبئة الإيمان للتطلع بالرجاء من كل القلب الصادق، وذلك باليقين والثبات والرسوخ والاجتهاد والتمسك، لكي نأخذ حقاً ونصيبنا في فداء المسيح الذي أكمله بدخوله، ودمه عليه أمام الله، حتى نتراءى أمام الله معه في جراءة وعدم خوف، ولنا إيمان المسيح، إيمان البتوة في أبوة الله، ومعنا كل مؤهلات الدخول والظهور معه أمام الله.

ومن هذا العبور السريع على مفهوم صعود المسيح «أذهبي إلى إخواني وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧)، وذلك لتقديم دم كفارته أمام الله، يتضح لنا عظم أهمية عملية الصعود التي نعيدها لها بعد عيد القيامة، لأنها الجزء الثاني من الفداء الذي يكمل ذبيحة المسيح التي استوفاهها ذبيحاً وسفك دم على الأرض. أما الجزء الذي تمّ في السماء على مستوى سرّ الله، فهو الذي به تمّ فعل الكفارة بتقديم دمه على مذبح رحمة الله، فأكمل الفداء.

ثم يتبين لنا مدى عظم أهمية شركتنا في الصعود والدخول معه ، ونحن نحمل علينا
وفينا دم الفداء: «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في
حينه» (عب ٤: ١٦).

— «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس»
(كو ٣: ١).

(١٩٩٠)